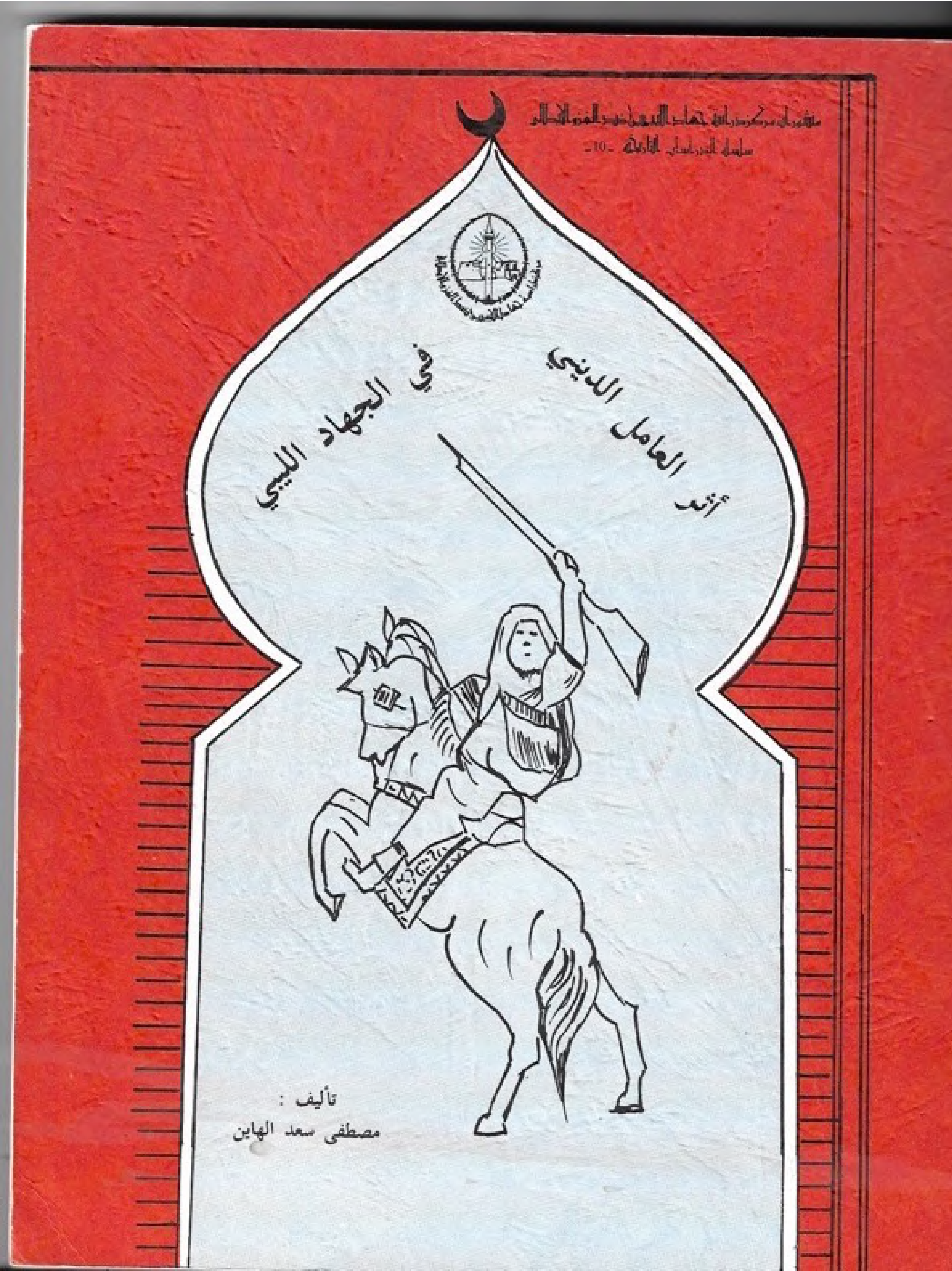


منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي
سلسلة الدراسات التاريخية -10-
أثر العامل الديني
في الجهاد الليبي
تأليف :
مصطفى سعد الهاين

أثر العامل الديني في الجهاد الليبي

تأليف :
مصطفى سعد الهاين

مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

طرابلس — ص. ب ٥٠٧٠
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

رقم الايداع ٧١٧/٨٠٩ /دار الكتب
الطبعة الأولى — ١٩٨٠م

أثر العامل الديني في الجهاد الليبي

مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي

طرابلس - ص.ب ٥٠٧٠

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية

رقم الايداع :717 ـ1990- دار الكتب

أثر العامل الديني في الجهاد الليبي

تأليف مصطفى سعد الهاين

«المقدمـة»

بسم الله الرحمان الرحيـم

الحمد لله قبل بداية كل مقال منه التوفيق وعليه الاتكال هو المعين في كل عمل، وبفضله يتحقق الامل. والصلاة والسلام على من بعث لكافة الخلق فنصر الحق بالحق وختم برسالته ما سبق.

وبعد

ان الجهاد رأس الفضائل واكثرها مشقة واحتمالا لأن التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والوطن تحتل أعظم مراتب الفدائية واصدق دليل على الغيرة الوطنية فالمجاهد الذي يبرهن بالعمل على صدق الالتزام بمبدإ الجهاد يحق له أن يمجّد ويعظّم، فلولاه ما كانت الرسالة المحمدية تنتشر فتعم الكون بأنوارها وتُعجز المعاندين ببراهينها وقوة افكارها، وتدحض أباطيل المكذبين بسلامة حجمها وتوالي أسرارها، ولولا المجاهد ما تحقق للأمة العربية حكم ما بين الصين شرقا وجبال البرانس غربا، ولا سلكت جموع الناشرين لمبادىء الاسلام في مجاهل الارض دربا.

ان للمجاهد همَّة تزيل الظلم والحيف، وعزما أشد مضاء= من السيف بصموده تم الظفر للمسلمين في اكثر من مكان وبعزمه يقع النصر في أي زمان وذلك كله بفضل العقيدة التي أمدت المجاهد بالقوة المعنوية المتزايدة فاكتسب الصفات الفدائية الرائدة حتى أصبح للجماعة الاسلامية حصنا مكينا، وفي وجه الغزاة سدا متينا، ومن ذلك نرى أن القيم الروحية تسمو بالرابطة الاجتماعية بحيث تنتفي البغضاء والحسد ويتحدّد الهدف والقصد، ويسود التآلف والتكاتف، وينبذ التخالف فيكون للفعل قوة التأثير لأنه نبع من العقيدة وامتحن في مواقف الشدة.

فلولا العقيدة وقوة تأثيرها لبقي في النفوس إلى الحسد نزوعها، وبالمطامع ولوعها فانتفت وحدة جماعة المسلمين وزال تآلف المجاهدين ولكن العناية الالهية القادرة والمعونة الربّانية الدائمة أزالت مسببات التفرق ووحّدت القلوب على نصرة الحق.

قال تعالى :
«لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم انه عزيز حكيم»(الأنفال ٦٤).

ان الرابطة الاجتماعية بالايمان يقوم كيانها لأنها منه تستمد القيم الروحية، وبفضله تحقق رسالتها التاريخية، وقد كان لكليهما في مراحل التاريخ الأثر البعيد وفي صنع احداثه يأتيان كل يوم بجديد.

وان مهمة النهوض بأعباء الجهاد وتكاليفه لا بد لها من أمرين أساسيين : أولهما تمكن الايمان في القلوب، وثانيهما فعالية التحريض على الجهاد، وهما أبرز الواجبات المناطة برجال الدين الذين كانوا اهلا لتحمل المسؤولية بشقيها التوجيهي والعملي إذ لم يتحقق للمسلمين نصر إلا ولهم فيه مشاركة بالارشاد المفيد والتوجيه النافع والقيادة الشجاعة والمساهمة الملحوظة في النضال، وذلك بداية بالمواجهة بين الاسلام والشرك في حروب الغزوات الاولى ومرورا بمعارك الانتصار على الغزاة والمحتلين للوطن العربي على اختلافهم وصولا إلى فترة جهادنا ضد الايطاليين الصليبيين.

هذا ولا يمكن إغفال العوامل الأخرى التي أثرت في الجهاد الاسلامي والعربي بشكل عام غير أن عامل الدين يتصدرها وخاصة في جهاد الليبيين ضد الطليان أقول ذلك استنادا إلى الروايات الشفوية التي سجلت لاولئك الذين ساهموا في صنع أحداث الجهاد

الليبي، واعتمادا على الوثائق المخطوطة المتضمنة لتلك الأحداث، واقتباسا من المصادر الأجنبية المختلفة يتضح أن الليبيين في سرعة تواجدهم في ساحة الجهاد وفي قوة صبرهم على مشقاته وتصريفهم لشؤونه كانوا مجاهدين في سبيل الله بالايمان عمرت قلوبهم ولمبدإ الجهاد صدقت نواياهم، ومن هنا يتضح للباحث سر صمودهم الطويل وسبب تفردهم بصنع ملحمة الجهاد البطولية العظيمة. تلك الملحمة التي تستوجب من الجيل الحاضر دراستها واظهارها، ومع معرفتي بالصعوبات الكثيرة التي تواجه الباحثين في تاريخ الجهاد الليبي الذي كانت مدته الطويلة جدا سببا رئيسيا في تعدّد أحداثه وتشعبها وبروز بعض المتناقضات فيه — فإنني لكوني أحد المهتمين بتاريخ الجهاد الليبي منذ مدة طويلة، وأحد المواظبين على دراسته والمجتهدين قدر المستطاع في تسجيل رواياته، وجمع وثائقه، ولأن تناول الجهاد الليبي بدراسة تشمل جميع المناطق وتنصفها وتركز بشكل خاص على إبراز تأثير الدين في أحداثه لم تطرق — حسب مبلغ علمي — حتى الآن ولم يصدر أي مؤلّف يتناول أثر الدين في جهاد الليبيين.

لذا : فقد استخرت الله العلي القدير للقيام بهذه المهمة، ومع اعترافي بأن جهدي هو جهد المقل فإنني اتعشم بعون الله تعالى أن تكون هذه المساهمة شاملة لأهم أحداث الجهاد الليبي مبينة لأثر الدين فيه موفية بحق أبرز الشخصيات الجهادية بعيدة عن العيوب التي تؤخذ عادة على المؤلفات المماثلة. لقد التزمت في هذا البحث بإعطاء أهمية للحوادث والأفعال التي تترجم مبدأ الجهاد في الاسلام، وذلك لأن كافة المواقف الايجابية هو صانعها كما أن كافة المواقف السلبية تعنى الحيدة عنه، مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة الحكم على بعض الأمور التي حدثت في فترة الجهاد الليبي لقسوة الظروف المعاشة حينذاك.

لم أكن في إبرازي لأثر الدين في الجهاد أتعمد أن ألبس الاحداث ثوبا دينيا لأصل إلى هدف البحث المبتغى بقدر ما كانت الأحداث نفسها تمدني بالعون المتواصل وتؤكد صدورها عن شخصيات طبّقت مبدأ الجهاد في الاسلام منهجها يوميا شمل كافة التصرفات والتحركات والتوجهات وتنزّه كفاحها عن جميع المقاصد الشخصية والمطامع الدنيوية الخاصة وظهر تأثير العامل الديني في مسلكها بوضوح تام. وأود التذكير بأنني كنت استشير المصادر وأحيل عليها في كل مسألة ذات جدل واجهتني محاولا بعد ذلك اثبات رأيي الخاص والمتواضع في جملة الأحداث واضعا في الاعتبار التركيز على الجانب الذي يعنيني وهو الجانب الديني مع الحفاظ على توالي الأحداث التاريخية كما أنني أخذت بملاحظات اللجنة التي أجازت الكتاب. إن هذا الكتاب يشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة كما وضعت في آخره ملحقا ببعض الوثائق المخطوطة التي استعنت بها في اعداده وفي مرحلة المراجعة النهائية استحدثت ملحقين جديدين لهما أهميتهما وقد قدمت الفصول فكانت كما يلي :

الفصل الأول :

مبدأ الجهاد في الاسلام ودور الليبيين في ترسيخه وينقسم إلى موضوعين :

تحدثت في الأول عن فريضة الجهاد فشرحت معناها وتشريعها كما بينت تفضل المجاهد وجزاء الشهيد أما الموضوع الثاني فقد شرحت فيه كيف وجّه الاسلام الروح القتالية العربية ووظّفها في تحقيق مبادىء الجهاد الاسلامي كما بينت ايضا كيف حقق الاسلام الترابط بين العوامل المختلفة المؤثرة في الجهاد، وقد اوردت شواهد من الجهاد الليبي تؤكد وتبرز دور الليبيين في تطبيق وترسيخ مبدإ الجهاد في الاسلام.

الفصل الثاني :

النشأة الدينية وأثرها في حياة رجال الجهاد

وقد اشتمل هذا الفصل على مدخل وضحت فيه ان اعظم الأنتصارات الاسلامية كانت قد تحققت بفضل قادة تميزوا بشدّة التدين وبينت في نهايته ان الجهاد الليبي من اجل العقيدة والوطن تواصل بفضل صمود شعب كان ابرز ما يميزه كونه ينطلق من منظور ديني في توجهاته النضالية حينذاك.

بعد المدخل المختصر اوردت تراجم لعدد من الشخصيات الجهادية الليبية تبين لي دورها البارز في الجهاد بثباتها على المبدا وكراهيتها المستمرة للمستعمرين او رأيت ان المصادر الايطالية تذكرها بنعوت تدل على كونها قد شكلت خطرا كبيرا على الايطاليين أثناء فترات الجهاد، ومن الشخصيات التي تناولتها هذه التراجم احمد الشريف وسليمان الباروني وسعدون السويحلي وعبد النبي بالخير ومحمد بن عبد الله البوسيفي وعمر المختار، وقد وجدت ان المصادر الاجنبية والمحلية قد اوردت ذكر قبيلة أولاد بوسيف

كثيرا فاوليتها اهتماما خاصا باعتبارها إحدى القبائل التي ادت دورها الوطني بإخلاص وتضامن وبشكل جماعي لمدة طويلة.

ثم انهيت الفصل بخاتمة بينت فيها بشواهد مختصرة من الجهاد الليبي كيف طبّق الليبيون التزامهم بمبدأ الجهاد في الاسلام عمليا في ميادين النضال.

الفصل الثالث :

نظرة عامة في تاريخ الجهاد الليبي، وقد تحدثت في هذا الفصل من ناحية تاريخية عن الجهاد الليبي وابرز احداثه واشهر قادته ووقائعه ابتداء من الغزو الايطالي حتى استشهاد البطل عمر المختار آخر قادة الجهاد الليبي المشهورين.

وقد اردت لهذا الفصل ان يشكّل — مع الفصلين السابقين والفصل اللاحق له — فكرة شاملة ومفيدة عن الجهاد الليبي في عمومياته، وكنت اريد تسميته بالفصل الرابع ولكنني وجدت ان الفصل الرابع وهو :

«تنظيمات المجاهدين الليبيين الحربية الادارية»
يتناول التفاصيل التنظيمية والمسائل الادارية واساليب التخطيط والقتال فأردت ان اسبقها بفكرة عامة وموسعة عن تاريخ الجهاد لتتكون لدى القارىء حصيلة تاريخية عن الجهاد قبل التطرق للتفاصيل اليومية المستفيضة، والتقديم والتأخير في نظري في هذين الموضوعين لا يخل بالهدف المطلوب من البحث اذ تشكل الفصول مجتمعة جسما واحدا وتكمّل الاحداث بعضها بعضا.

الفصل الرابع :

تنظيمات المجاهدين الليبيين الحربية والادارية في المحلات والادوار والمعسكرات

وشمل هذا الفصل الموضوعات التالية :
(١) — التنادي للجهاد
(٢) — التسلح والتدريب
(٣) — اهتمام المجاهدين الليبيين بالمسائل الادارية
(٤) — أساليب القتال والخطط الحربية عند المجاهدين الليبيين.

ان من بين المشاكل التي واجهتني في اعداد هذا البحث ما يلي :
١/ ندرة المراجع التي تناولت هذا الموضوع أو ذات الصلة الوثيقة به، وبعض المراجع التي وجدتها كانت امكانية الاستفادة منها قليلة لأن اكثرها بالمكتبات الخاصة، ومايوجد بالمكتبات العامة ومراكز الثقافة اصبح من المراجع القديمة والقليلة التي يتشدّد امناء المكتبات كثيرا في تسهيل مهمة الباحث بالاطلاع الكافي عليها وقد وجدت صعوبات كثيرة في التردد لدراستها وصعوبات اكثر في تصوير ما هو شديد الصلة كثير الاهمية بالنسبة للبحث.

٢/ صعوبة وضع هيكل البحث ومنهجيته نتيجة اتساع الموضوع ودسامته وتشعبه وتنيجة عدم صدور أي كتاب عنه في السابق وقد استدعى الأمر ترتيبا على ذلك دراسة الموضوع دراسة شمولية وافية والاعتماد على المجهود الشخصي كليا للكتابة فيه حيث جمعت كل ما امكنني الحصول عليه من المراجع ذات الصلة بالموّضوع وفتشت في ثناياها عن كل ما له ارتباط بالموضوع من قريب أو بعيد وتنوعت هذه المصادر ما بين الرواية الشفوية والتسجيلات الصوتية من المجاهدين ومن وسائل الاعلام الس جمع الصحف والمخطوطات والكتب.

وفي الختام فإنني أذكر بالفضل جميع الذين قدموا لي المعاونة المشكورة اثناء قيامي باعداده واخص بالشكر أسرة مركز الجهاد وعلى رأسهم الأخ الدكتور محمد الجراري كما اعترف بجميل اساتذتي الاجلاء في كلية التربية بجامعة الفاتح الذين حللت بينهم في قسم الدراسات العليا ١٩٧٩ مع تحية تقدير خاصة إلى الاخوة الدكاترة عبد المجيد الديباني وعقيل البربار وعبد المولى المصراتي ومحمد الوافي وجميع من أعانني في مهمتي العلمية راجيا لهم جميعا من الله حسن الجزاء .

والله الموفق.
مصطفى سعد الهاين
مدينة شحات في ١٩٨٣/١٢/٣٠

الفصـــل الاول

مبدأ الجهاد في الاسلام ودور العرب الليبيين في ترسيخه

* فريضة الجهاد معناها وتشريعها *
* فضل المجاهد وجزاء الشهيد *

الدين الاسلامي دين الحجة والبرهان، دين العزة والخير دين السلام القائم على القوة، وليس السلام الذي ياتي نتيجة الضعف والعجز والتخاذل والجبن والتولي والنكوص، ويأتي حرص الاسلام على عزة ابنائه وضرورة تمسكهم بهذه العزة مع عدم التجبر والطغيان تحقيقا لقول الله سبحانه وتعالى : «ولله العزة ولسوله وللمؤمنين» [١].

لقد جاءت رسالة النبي ﷺ متمثلة في امرين اساسيين هما التوحيد والجهاد فتوحيد المسلمين فكرا وصفا وهدفا وعملا انما كان الفضل فيه للعقيدة الواحدة التي رسخت في قلوبهم وجعلتهم كالبنيان المرصوص يحمون دينهم ويذودون عن اوطانهم فإذا تعرضت عقيدتهم للهدم او تعرضت اوطانهم للغزو الاستلاب هبوا هبة رجل واحد لدفع العدوان عنهما لأن عقد الايمان بين المرء وربه من شروطه ان يبيع الانسان نفسه وماله في سبيل الله في مقابل ثمن مبارك وفوز عظيم وسعادو دائمة مؤكدة في قوله تعالى : «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» [٢].

ان المجاهدين هم حماة الاسلام في كل زمان ومكان وهم اهل الفضل في نشر الرسالة الخاتمة والحفاظ على بقائها. ذلك لأن صور التضحية المثلى في مختلف اشكالها والبطولة في اسمى معانيها انما تتمثل في المجاهد الذي يجود بالنفس والمال في سبيل الله ردا للبغي وردعا للعدوان تنفيذا لقول الله تعالى :

«فقاتل في سبيل الله، لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا» [٣]:

ولأن الجهاد فريضة محكمة ولأنه شعار المؤمنين الموحدين فقد كانوا يتسابقون إليه فعند النداء للجهاد تمتحن قوة الايمان في قلوب الرجال فاما اهل الايمان الصادق والعزم القوي فيقول الله في شأنهم «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين» [٤].

ثم يصور حال من لا إيمان لهم ويصفهم بالتردد وخلق المعاذير فرارا من الجهاد فيقول سبحانه «انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» [٥].

فالمؤمن الحق لا يتردد امام جبروت اعداء العقيدة ولا يستسلم للحزن ويقهره الخوف ولا يتسرب إلى نفسه الضعف والهوان فذلك كله لا يصح من المسلم الحق وهو يقرأ قول الله تعالى : «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون» [٦].

فإذا جد الجد ووضع المؤمن على المحك الحقيقي في ميدان الاختبار فإن الصدق مع الله بالجهاد في سبيله هو الطريق الخير والمسلك الحميد لأن الله اثنى على الذين وفّوا بما عاهدوا الله عليه فصبروا في ميادين الوغى وتشجعوا عند ملاقاة العدو فلم يهنوا او يستكينوا قال تعالى :

«من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا» [٧].

وليس هناك اعظم من عمل يؤديه الانسان من اجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه لأن فيه جماع الخير كله لقول الرسول ﷺ :
«لغدوة في سبيل الله او روحه خير من الدنيا وما فيها» [٨].

لقد شرع الاسلام في البداية القتال وامر باتخاذ عدته ورغّب فيه وذلك في السنة الثانية للهجرة وجاء امر الله بمقاتلة الكفار عندما لم يتعظوا بالبراهين والمواعظ الدامغة الصادقة الواردة في القرآن الكريم والتي جاد لهم المسلمون بها فلم ينفع معهم الاحسان

إليهم والصبر على أذاهم ولم يكتفوا بهذا الموقف السلبي فقط بل جردوا سلاحهم لحرب السملين ولا حقوهم بالاذى والتنكيل اينما اتجهوا وعندئذ أمر الله المسلمين بحمل سيوفهم لمقاتلة أعداء الحق فقال تعالى :

«اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير»[٩].

وقد اتخذ القتال في الاسلام هدفا عظيما وابتعد عن كل الاهداف المشينة وصار دفاعا عن العقيدة وذبا عن شريعتها وحماية لاوطانها ولم يكن قتالا من أجل الهوى او الثأر او المغانم او الظلم التزاما بقول الله تعالى :

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين»[١٠].

ومن هذا نتبين ان الله حصر اهداف القتال كلها وجعلها في سبيل الله يقول الكاتب ظافر القاسمي :

«ليس في المعاجم ما يفيد ان لفظ القتال يعني الحرب كما ان لفظ القتال يرد في القرآن الكريم بمعنى الجهاد كما في قول الله تعالى :

«كتب عليكم القتال وهو كره لكم»[١١].

وكما في الآية التي سبقتها والمراد من الآيتين قتال من يتعرضون للمسلمين ويقاتلونهم والجهاد فيهم بما يقهرهم ويخذلهم ويضعف قوتهم».

ويقول القاسمي ايضا :

«اذا كان كل جهاد قتالا فليس كل قتال جهادا بدليل ان الرسول ﷺ تبرأ من قتال خالد بن الوليد يوم فتح مكة وهو اعظم فتح شهدة الاسلام».

ويقول ايضا :

«لقد ادرك المؤلفون من علماء الشريعة بذوقهم اللغوي ان القتال في الاصل فرع عن الجهاد وعن الحرب فقالوا :

قتال اهل البغي وقتال المحاربين وقطاع الطرق، ولم يقولوا :

«جهادًا لأن البغاة والمفسدين وقطاع الطرق ظلوا في نظر الفقهاء مسلمين ولكنهم بغوا فلا بد من مقاتلتهم حتى يفيئوا إلى امر الله بينما الجهاد لا يطلق إلا على الخلاف في المعتقد واما الحرب فقد يطلق على الامرين بدليل ان الفقهاء سموا مقاتلة الطوائف السابقة حروب المصالح»[١٢].

ويرى القاسمي : «ان الحرب لفظ جاهلي ولم يرد بشأنه في القرآن او السنة ما ورد بشأن الجهاد الذي قال عنه الرسول ﷺ :

«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو مجاهد».

كما ان الحرب يمكن ان تكون محقة او مبطلة عادلة او ظالمة مشروعة او غير مشروعة بينما لا يجوز اضافة هذه الصفات إلى الجهاد.

هذا ولقد اورد القاسمي ايضا العديد من الآراء والتعريفات للفقهاء حول الجهاد في الاسلام وحصرها في ثلاث نظريات رئيسية هي النظرية الاولى :

«ان الله تعالى وكّل المسلمين باستصفاء عباده غير المسلمين على وجه الأرض من غير ان يرتكبوا ذنبا او يقترفوا اثما او يأتوا امرًا أدّا وما ذلك إلا لأنهم لم يعتنقوا الاسلام فهم إن شئت كافرون وان شئت مشركون وفي الحالين على الأمة الاسلامية في كل زمان ومكان ان تجاهدهم بالأموال والأنفس».

وقد عارض القاسمي هذه النظرية وانتقدها فقال : «انها مخالفة لنصوص القرآن الكريم لأن الله اراد الناس مختلفين لحكمة يراها ولأن الذين فرضوا الجهاد لأنه مبني على الكفر استعجلوا الأمور التي ارادها الله ليوم القيامة ولذلك فان الله قد خاطب الرسول بقوله :

«أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»[١٣].

كما انها مخالفة للسنة النبوية لأن النبي قد تفاوض مع غير المسلمين من اهل الكتاب فثبت ان القتال ليس هو الأمر الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه.

وانها مخالفة لعمل الخلفاء الراشدين ومن عاهدهم من الصحابة ومن كان لهم قائدا أو أميرا أو عاملا وهؤلاء قوم قد تلقوا الشريعة من مبلغها الرسول الأعظم.

ويوافقه ايضا فيما ارتآه الدكتور محمد الحبيب اذ يقول :

«دعوى استباحة قتل المشركين والكافرين بعلة الشرك او الكفر وحدها لا تستقيم وكيف يصح ذلك والقرآن يجعل في الرجل المشرك من قوم لهم ميثاق ما للمؤمنين من حق في الفدية فيقول في الذي يقتل من المشركين:

«وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى اهله وتحرير رقبة مؤمنة »[١٤].

يقول محمد الحبيب : وهل تلك الدعوى إلا من تلفيق المبطلين ولو كانت حقا لقتل الرسول مشركي مكة اثناء فتحها ومشركي هوازان بعد حنين»[١٥].

النظرية الثانية :

«تقول بأن الحرب المشروعة هي حرب الدفاع ومنع الفتنة وهي وحدها يقول القاسمي ـــ النظرية التي ارادتها الشريعة وعمل بها صاحبها ومبلغها ومنفذها وهي الحقيقة الوحيدة الواجبة الاتباع»[١٦].

خلص القاسمي في نهاية تعديده للتعريفات الواردة في الجهاد الى ما يجب معرفته بالنسبة لحربنا مع اسرائيل فقال :

«ان العالم الاسلامي يجب ان يكون في حالة حرب مع اسرائيل وحلفائها وانصارها واعوانها بالقول والفعل وفي حالة الحرب ايضا مع من يمدونها بالسلاح والعتاد والمؤن والوقود وان الواجبَ يقتضي اعداد القوة الكافية لأنها هي الكفيلة بالقضاء على كل الأخطار وكسب المؤيدين للاسلام».

وعودة الى تعريف الجهاد فإن محمد الحبيب يقدم لنا الرأي الآتي :

«الجهاد بخلاف الحرب والكفاح والقتال أما الحرب فلانها مذمومة وهي ضد السلم الذي أمرت به الشريعة، واما الكفاح فلأنه مطلق مواجهة وهو في الحرب المضاربة تلقاء الوجوه وقد استعمل حديثا في مغالبة الشدائد بمواجهتها وهو لا يتسع ليشمل معنى الجهاد، واما القتال فهو البروز للحرب من الطرفين المتقابلين وهو مذموم ايضا إلا ان يكون لتحرير البلاد او لتوطيد الدعوة وصيانتها، وهذه الالفاظ الثلاثة لا يمكن ان تغني عن لفظ الجهاد ولا ان تجانسه للدلالة على معناه فالجهاد لفظ اسلامي شامل وجامع للدعوة القائمة على الحرية والسلم مع ضرورة صيانة العقيدة وحماية الكرامة»[١٧].

ويمكن لي ان اقول انه لكون الصراع بين الحق والباطل قديم ومستمر وان الصليبية الحاقدة ما تزال تباشر هجومها على الاسلام وبمختلف الأساليب/ ولكوننا نعاني من الاستعمار العنصري الاستيطاني ونتعرض للتهديد المستمر من المستعمرين الطامعين فإن فلسفة الكلمة من الناحية القانونية وان كانت تهمنا وتزيد من تأكيد شرعية منهجنا إلا ان كافة اشكال المقاومة التي نقوم بها ضد اعداء العقيدة وان تعددت مسمياتها ومهما طعن فيها من جانب الاعداء تبقى منظوية وداخلة تحت اسم الجهاد الذي دعانا الاسلام لمداومة القيام به والحفاظ عليه ومن المعلوم ان اعداء الله ترهبهم القوة المادية ويحسبون لها الف حساب ولذلك فقد أمر الله بها في قوله تعالى :

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفى إليكم وانتم لا تظلمون»[١٨].

وقد اطلق القرآن القوة ولم يقيدها لتأخذ الأشكال المتطورة والمناسبة لكل زمن عبر مراحل النضال ضد اعداء الله والوطن ولتناسب روح كل عصر ولتنمو وترقى فتصبح قادرة على الردع باستمرار، ولقد كانت القوة في الماضي بسيطة ويسيرة تتمثل في القوس والرمح اما اليوم فتتمثل في الاسلحة الحديثة المتطورة بمختلف انواعها والقرآن وان اطلق معنى القوة فقد حدد هدفها في ارهاب العدو وردعه فالاسلام لا يسعى إلى تدمير البشرية وإفنائها كما يفعل اولئك الذين سخروا نعمة العلم في هلاك الناس، وقد جاء ذكر الخيل في الآية لأنها كانت هي القوة الضاربة حينذاك بينما يقتضي الأمر إعداد القوة المناسبة لكل عصر، وفي الآية تحذير من عدوين احدهما ظاهر الوضوح والآخر يعلمه الله فقد يكون داخل الصفوف وقد يكون من الاصدقاء ولهذا وجب ان نكون دائما على حذر وفي يقظة تامة واستعداد مستمر تحسبا لظهور المخاطر في اكثر من جهة وبأكثر من وسيلة.

ان القوة المادية ليست شيئا مهما إذا لم تسبقها القوة الروحية لأنها الأعظم والأخطر فلا جدوى من الاعداد المادي إذا لم

يسبقه الاعداد المعنوي لأن هذه القوة الجبّارة لها آثارها في كفاح المسلمين على مدى التاريخ كما يظهر في قول الله تعالى :
«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين»[١٩].

ان الحق وحده هو أمضى سلاح إذا وجد الحماة الذين يدافعون عنه بصدق وعزم فمتى كانت الروح المعنوية قوية والرغبة في الموت اكيدة والعقيدة راسخة والنفوس موصولة بالله انتصر المسلمون رغم قلة العتاد والعدد.
قال الله تعالى :
«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلّة فاتقوا الله لعلكم تشكرون»[٢٠].

وذلك لأنهم كانوا في بدر يمتلكون الروحانية المشعة التي وصلتهم بربهم فانتصروا، وقد حدث العكس في معركة حنين عندما تملكهم الغرور والخيلاء بكثرة العدد والعدة ولم تكن روحهم المعنوية عالية فأصابهم الخوف عندما حمي وطيس المعركة.
قال تعالى : «ويوم حنين إذا عجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين»[٢١].

ومن المعروف ان الرسول في معركة حنين ثبت كعادته في موقع القتال وصمد في وقت الخوف والهلع وحوله بعض الأفراد الذين صدقوا النية في طلب الشهادة ومنهم العباس الذي اخذ ينادي الانصار فتجمعوا ورجع الكثير من المسلمين وهم اشدّ أسفا واكثر انابة وطلبا للمغفرة من الله على ما بدر منهم في بداية المعركة من الاعجاب بكثرتهم فشملهم الله برحمته بعد ان تطهرت نفوسهم من الخيلاء والعجب وامدهم بأسباب النصر وفي مقدمتها القوة المعنوية.
قال الله تعالى :
«ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها...»[٢٢].

ان من بين اساليب القرآن في تحريك العقيدة وحمل الناس على الجهاد اسلوب الترغيب ومحاربة بواعث القعود عن الجهاد وتأكيد حياة الشهيد لكونه يرزق رزقا طيبا في كنف ربه وحماه وينعم بحياة رغيدة هانئة رفيعة سامية.
فقال تعالى :
«ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٢٣].

وقد قيل انها نزلت في حق عبد الله بن عمرو الانصاري الذي وضع اهله وماله في خدمة الاسلام وقد حضر غزوة احد وقال لابنه في بدايتها :
«لا أراني إلا مقتولا في هذه الغزوة بل لعلي سأكون أول شهدائها من المسلمين».

وقد قاتل قتال/مودع وشهيد فكتبت له الشهادة ومر الرسول بأهله وهم يبكونه فقال ﷺ :
«ابكوه او لا تبكوه فإن الملائكة لتظله بأجنحتها»

وبشر الرسول ابنه جابرا فقال عليه الصلاة والسلام :
«يا جابر ماكلم الله احد قط إلا من وراء حجاب ولقد كلّم أباك كفاحا فقال له : يا عبدي سلني اعطك فقال :
يارب أسألك أن تردني إلى الدنيا لأقتل في سبيلك ثانية فقال الله له : انه قد سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون قال :
يارب فابلغ من ورائي بما اعطينا من نعمة فانزل الله تعالى :
«ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ....»[٢٤].

كما كان أسلوب الترهيب أيضا من أساليب القرآن في رفع الروح المعنوية للمجاهدين فقد بين الله ثواب الشهيد ثم اتبعه اسلوب الترهيب والتخويف للمتقاعسين في أمره لهم بقوله :
«انفروا خفافا وثقالا....»[٢٥].

والخطاب هنا للغني بأحماله الكثيرة والفقير بزاده القليل وللصغير النشيط وللكبير المسن فتساوى في الأمر بالاستنفار كل الناس تطبيقا للحديث «وإذا استنفرتم فانفروا»[٢٦].

وقد رغب الله المؤمنين في الجهاد ايضا وبين لهم ان ثواب الآخرة لا يمكن ان يقاس بمتاع الدنيا وصدّر الآية بمخاطبتهم بالمؤمنين لتحريك العقيدة في نفوسهم فقال تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل»[٢٧].

لقد هدّد الله القاعدين والمتقاعسين عن إجابة دعوة الجهاد تهديدا قاسيا يؤلم النفوس الحرة الابيّة ويدفعها دفعا سريعا للمشاركة في الجهاد وقد تمثّل هذا في تحذيره الشديد لهم بالعذاب الأليم والذل المشين الوارد في قوله تعالى :

«الا تنفروا يعذّبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير»[٢٨].

وقد وعد الله الذين يضحّون بأنفسهم واموالهم في سبيله ويؤثرون ما عنده من ثواب على الدنيا ومتاعها ـــ وعدهم بالخير والفلاح فقال تعالى :

«لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم»[٢٩].

وقد تكرر الترغيب للمؤمنين في الجهاد والترهيب والتحذير من مغبة التأخر عن إجابة دعوته متفقا مع ما جلبت عليه النفس البشرية من كره القتال والرغبة في تجنبه، ولذلك فقد عدّد الله فضائل الجهاد وبين ما يعقبه من خير وما حققه من عزة للاسلام ونصر للمؤمنين، ولسائل ان يسأل كيف يوجّه الله التهديد والتقريع الى المسلمين عامة وفيهم من سبق نداء الجهاد الى ساحة الوغى تطوعا ورغبة في الاستشهاد وفيهم من جهّز الجيوش والتزم بالبذل عليها من ماله الخاص كما فعل عثمان بن عفان في غزوة تبوك وللاجابة على التساؤل نقول : بما أن القرآن تعليم دائم للمؤمنين فإن ذلك التوبيخ لمن تأخروا عن الاشتراك في الجهاد اذا لم ينطبق في تلك المرحلة إلا على قلة ضئيلة فإنه ينطبق في هذا الوقت على اكثرية ملحوظة.

بعد استعراضنا لأغلب الآيات التي تناولت الجتهاد وشرحت هذه الفريضة وحكمها ومعانيها ودعت الى الالتزام التام بها وبعد أن رأينا الفرق بين القتال والحرب من جهة واختلافهما في المعنى والهدف عن الجهاد .

يلزمنا ان نقول ايضا ان الرباط وهو ملازمة الثغور لحماية الحدود القصية واماكن الخطر المتوقع لقول الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[٣٠].

ولقول الرسول ﷺ :

«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ،وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[٣١].

ولقوله ايضا :

«كل الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر»[٣٢].

اما في بيان فضل الجهاد في السنة فإن الاحاديث النبوية كثيرة ومنها قول الرسول ﷺ :

«والذي نفسي بيده لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[٣٣].

ولقوله عليه الصلاة والسلام :

«ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فمسته النار»[٣٤].

وقوله ايضا :

«ما أحد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وماله على الأرض من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»[٣٥].

يلزمنا التذكير ايضا بأن الجهاد انواع ومن أهمها الجهاد ضد الكفار والمعتدين دفاعا عن العقيدة والوطن والمجتمع والجهاد لحماية الدعوة الى الدين الاسلامي والجهاد ضد الانحراف والخروج عن الشريعة.

ان عالمية الاسلام تقتضي الجهاد لتبليغه للناس كافة لكن الواقع الاسلامي عامة والعربي خاصة في هذا الوقت يحتم ان نجاهد جهادا صادقا للحفاظ على عقيدتنا وتحرير وحماية اوطاننا يقول الدكتور الدسوقي :
«الجهاد وسيلة للحماية وارهاب اعداء الله وتبليغ الدعوة الخاتمة للناس كافة لا الزام بها لأنه لا اكراه في الدين»[٣٦].
ويقول الشيخ السيد عبد الحافظ :
«الجهاد وسيلة لقمع الشر والاذى وخضد شوكة العدو وارهابه وليس هو غاية ولا هو للابادة ولا هو للاكراه على الاسلام»[٣٧].

هذا ومع ان هناك شبه اجماع على ان الجهاد فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي فإن واقع المسلمين اليوم وهم يعيشون في فزع دائم من المخاطر التي تتهددهم جعل من المتعين عليهم جميعا ان يجاهدوا جهاد صدق تنتفي فيه النيابة ويتساوى فيه كل مواطن ومواطنة يقودهم جميعا الأمل الدائم في العلي القدير الذي أخذ على ذاته الكريمة عهدا دائم التحقق لمن يخلصون في صلتهم به ويلتزمون بأوامره ونواهيه وينطبق عليهم قوله سبحانه :
«انما مؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم لصادقون»[٣٨].
وكذلك قوله :
«يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»[٣٩].
وقوله تعالى :
«وكان حقا علينا نصر المؤمنين»[٤٠].

* الاسلام يوجه الروح القتالية العربية ويحقق الترابط *
* بين العوامل المؤثرة في الجهاد مع شواهد من الجهاد الليبي *

عندما نتصفح تاريخ العرب وندرسه دراسة متأنية منصفة سوف ندرك حقيقة ثابتة ونلمس معطية بارزة وهي ان العربي فيما مضى من تاريخه لم يكن يعرف الخوف ولم يوصف بالاستسلام والخنوع امام الاحداث والمحن الجسام، وحتى اذا حدث ان بعض الفترات في تاريخ العرب تميزت بالسكون والهدوء بفعل غلبة مؤقتة او ظروف قاهرة فقد كان ذلك السكون هو السكون الذي يسبق العاصفة القوية التي ما تلبث ان تقوم لتجتاح الاخطار وتكتسح المعوقات وتحقق الحرية فالعرب لم يناموا على ضيم ولم يضعفوا امام المخاطر، وهذه الصفات يثبتها استقراء التاريخ ومطالعة احداثه صفات في العرب قديمة متأصلة واصيلة اقتضتها طبيعة الحياة القاسية التي عاشها العرب قبل الاسلام وهي حياة الكر والفر والنزال والطعان إحياة الخشونة في العيش والظروف الصعبة التي نتج عنها تميزهم بالشجاعة وعدم الركون الى الظلم والهوان فلما انعم الله عليهم بنعمة الاسلام هذّب سلوكهم ورسّخ صفات العزة والأباء في نفوسهم ووجّه صفة الشجاعة فيهم الى انبل الأهداف واكثرها سموا ووظّفها توظيفا موفقا حيث امرهم بنشر العقيدة بهمة عالية وحماس صادق عن طريق الاقناع بالوسائل السلمية اولا ونهض العرب بهذا التكليف الشريف فواجهوا بحجج الحق باطل الخصوم وقابلوا بالصبر شر الأعداء .

فلما تعرضت عقيدتهم السماوية للهدم والتوهين وحريتهم المقدسة للقيد والعبودية لم يجدوا سبيلا غير سبيل النضال دفاعا عن العقيدة وصونا لها وعملا على نشرها مستفيدين من صفات الشجاعة الأصيلة فيهم آملين في نصر العلي القدير لهم تحقيقا لوعده الصادق للمؤمنين الوارد في قوله تعالى :
«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير»[٤١].

ان تمكن الاسلام من القلوب وتأثير العقيدة في النفوس نتجت عنه ابرز واخطر النتائج في تاريخ البشرية برمتها وفي تاريخ العرب خاصة..

فالاسلام جمعهم بعد فرقة ووحدهم بعد تناحر وقواهم بعد ضعف فنهضوا بالرسالة الموكلة اليهم خير نهوض وقاموا بواجب نشرها والدفاع عنها خير قيام وبفضل الهمة الاسلامية والشجاعة العربية بلغ الاسلام شأوًا عظيما وانتشر انتشارا واسعا.

لقد تحدث مؤلف كتاب «حاضر العالم الاسلامي» عن سرعة انتشار الاسلام فقال :
«لم يمض على ظهوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف الأرض ممزقا ممالك عالية الذرى متراصة الأطراف وهادما أديانا قديمة كرت عليها الحقب والأجيال ومغيرا ما بنفوس الأمم والاقوام وبانيا عالما حديثا متراص الاركان هو عالم الاسلام»(٤٢).

كان العرب في الفترة الاولى من الاسلام وحدة واحدة حققت النصر وصنعت المعجزات وحتى بعد حدوث الانقسامات في جسم الامة العربية الاسلامية في زمن لاحق. كان للوحدة فضل صنع المفاخر العربية والاسلامية فبفضل الاسلام تحقق الالتحام بينهم وتناسوا المشاكل العارضة وتوحدوا في مواقف الخطر أمام العدو المشترك وتبرز في فترات المحن شخصيات قيادية فذة سلاحها الايمان تقف كالطود الشامخ تجمع الشمل وتوحد الكلمة وقد عزمت على التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والوطن والوصول الى النصر المؤزر.

فيصبح موقفها مثالا يحتذى ويفيض على الجموع المحيطة بها فيكسبها ثباتا على المبدإ وانتصارا للحق وتتحقق عزة الوطن ويصان الشرف بفضل قوة الايمان وصدق النوايا، وتتوالى امثلة كثيرة عبر التاريخ الاسلامي تؤكد ما اردنا التذكير به فقد اتحد المسلمون ضد الكفار بقيادة البطل المسلم سيف الدين قطر واتحدوا ضد الصليبيين بقيادة صلاح الدين الايوبي وانتصروا على الفرنجة في الاندلس بفضل يوسف بن تاشفين وفي العصر الحديث اشترك المجاهدون المسلمون والعرب مع اخوانهم الليبيين في الحرب ضد الطليان، وكان الحافز والدافع فيما سبق من احداث وسيظل هو العامل الديني.

ذلك لأن العقيدة اذا تمكنت من النفوس وعمرت بها القلوب اصبح الناس بفضلها اخوانا في الله وذابت بينهم العصبيات وزالت الفوارق فاصبحوا ولاحمية عندهم إلا للاسلام ولا دفاع عندهم إلا الدفاع عنه ضد الكفر واهله التزاما بقول الله تعالى :
«الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا»(٤٣).

ولست بكل الذي ذكرت وبكل ما سوف يرد تباعا في فصول هذا البحث اغفل واقلل اهمية العوامل الأخرى في الجهاد والتي يأتي في مقدمتها العامل القومي، ولكن يجب ان اذكر بأمرين هامين :

الأول :
ان الاسلام هو وعاء القومية وان تأثير العامل الديني سبق فيما اعلم تأثير العامل القومي وكانت محصلته ملاحم نصر متوالية حققت للعروبة مجدا وصنعت شرفا ويأتي تركيزنا على العامل القومي في الظروف الراهنة لأننا ندعوا الى الوحدة العربية التي بها يتحقق النصر ايضا ومن هنا يظهر التلازم بين العاملين وتبرز اهميتهما وقوة تأثيرهما في الاحداث عبر مراحل التاريخ.

وبما ان مرحلة المواجهة لتي تعيشها الأمة العربية اليوم تقتضي الوقوف بحزم وعزم امام التحدي الخطير الذي يستهدف الاسلام والعروبة وحيث ان تجارب الماضي اثبتت ان نداء الاسلام بالدفاع عن العقيدة والوطن قد سمع بوضوح ووجد الاستجابة الفورية من جميع المسلمين في كافة البقاع العامرة بالاسلام فتحققت نتائج باهرة في مواجهتنا للاحداث الجسام والملمات الخطيرة ولكون العامل الديني ظاهر التأثير شديد الفعل في الجهاد الليبي على وجه الخصوص فإن مبررات تقديمنا له عما سواه بالبحث فيه لا تحتاج الى كثير من الاقناع أو الجدل لأن فعالية العامل الديني في حربنا ضد الطليان كانت هي الاقوى والاكثر بروزا.

فالايمان هو الذي جعل الليبيين يثبتون في العديد من الوقائع التي تنخلع فيها القلوب رهبة وهلعا والايمان هو الذي جعلهم يحبون البذل والتضحية ويملكون التصميم الدائم على النهوض بالاعباء الجسام.

الثاني :
انه مع تسليمنا باهمية العامل الديني في تحقيق النصر فإن ذلك لم يكن عند المجاهدين في الماضي يعني التوكل دون العمل واتخاذ الاسباب المؤدية الى النصر والمهمة في الحروب ومنها التدريب المتطور واعداد السلاح والقيادة الجيدة والاهتمام بالجوانب الاقتصادية ودليل ذلك ما جاء على لسان المجاهد احمد الشريف وهو ان من بين ما تعلمه في شبابه التمرينات الحربية من طراد ورماية وفك وتنظيف السلاح، والتجارة والحدادة والنسيخ، والزراعة والغرس، والعلوم المختلفة كعلم الكيمياء.

فكان طلبة العلم اكثرهم فرسانا ورماة ويجيدون بعض الحرف[٤٤] هذا بالنسبة للمجاهدين في شرق ليبيا الذين وصفهم بعض الكتاب بأنهم رجال دين اكثر من كونهم رجال حرب مع ما في هذا القول من خطأ خاصة اذا اتخذ صفة التعميم .

اما في غرب ليبيا فالمعروف ان قادة الجهاد اكثرهم من الضباط المثقفين والمتعلمين وبعضهم تلقى التدريب العسكري في المدارس الحربية التركية[٤٥].

وقد كانت مدرسة الجغبوب تماثل المدارس الحربية التركية في مناهجها وهي التي تعلم فيها عمر المختار[٤٦].

غير ان اهم الامور في ملحمة الصمود البطولي ضد الطليان مرجعه الى الدين والى ام الفضائل فيه وهي فضيلة الطاعة التي ادرك «ابن خلدون» اهميتها في الماضي فقال :

«ان العرب يتحقق بينهم الاجتماع ويسهل الانقياد ويحصل الملك عن طريق الدين»[٤٧].

لقد كان عمر المختار قائدًا مطاعا لأنه يملك مهابة خاصة منحها الله له فجعلته يأمر فيطاع دون تردد وسر ذلك أيضا فيما كان يقدمه من دروس نظرية وعملية لجنوده عن الطاعة، وقد تحدث صاحب كتاب «صفحات من جهادنا الوطني» عن سر انتصارات المجاهدين فأرجعهاالى الطاعة التي كانوا يتحلون بها وأورد أنه بينما كان يناقش المجاهد سالم الزوبيك اذ دخل عليهما المجاهد الضابط الكبير ابراهيم شنينة فوقف المجاهد الزوبيك البالغ من العمر سبعين عاما ليؤدي التحية العسكرية لرئيسه في الجهاد.

وقد علق الكاتب على ذلك بقوله :

«هذا الموقف الذي رأيته بنفسي هزني من الاعماق وعرفت أن نوع من الرجال هؤلاء الذين حاربوا ايطاليا عشرين عاما كاملة»[٤٨].

تلك أمثلة أوردتها من واقع لمسته وسمعته بنفسي وشهده وسمعه غيري فأثبته ولن اسهب كثيرا في التفاصيل التي ليس هذا مكانها ومما سبق وضح لنا ان الجهاد دفاعا عن العقيدة تاجه الطاعة كما ان الدفاع عن المثل والصفات العظيمة كالكرامة والشرف والعزة وغيرها هو دفاع عن العقيدة لأنها الاصل الذي نبعث منه هذه القيم السامية وبالدفاع عنها والحفاظ عليها يكون بقاؤها وديمومتها.

يقول المفكر معمر القذافي :

«ان الشعب الليبي جاهد في سبيل الحق ولا شيء سواه وقدم ثلاثة ارباع مليون شهيد ليبي في ربع قرن دفاعا عن الحرية والكرامة والعزة والدين والقومية والشرف والمثل العليا[٥٠].

وهذه الصفات أصيلة في الليبيين وتجلت في فترة الجهاد بوضوح ظاهر. وهي صفات السلف الصالح الذي ايعنت غراسه في نفوس الليبيين كما أكدت ذلك وقائع الجهاد واحداثه.

يتحدث الرحالة «جورج ريمون» الذي زار ليبيا في فترة الجهاد ١٩١٢ م عن تمسك الليبيين بهذه الصفات العظيمة فيذكر ان المجاهدين وجهوا خطابا الى الطليان بعد اسقاطهم لطائرة إيطالية في منطقة سواني عبد الغني بالفويهات وكان مما جاء فيه :

«ان هؤلاء المجاهدين الذين يكيلون لكم الصاع صاعين هم احفاد أولئك العرب الذين هزم خمسة وثلاثون من جنودهم المؤمنين مائتي ألف من جند الروم المدرعين في معركة اليرموك الشهيرة»[٥١].

ويؤكد ريمون أيضا ارتفاع الروح المعنوية المتأصلة في الشعب العربي الليبي وفعاليتها فيقول :

«مما يسر الخاطر ان يرى المرء شعبا مثل هذا الشعب الفقير الذي رفض بشمم ان يتخاذل أو يفرط في وطنه»[٥٢].

وليس ذلك بغريب على شعبنا المناضل الذي عركته التجارب وصقلته المحن وتعود على مواجهة الاخطار عبر سلسلة من الاحداث التاريخية المتلاحقة.

ان اتصاف المجاهد العادي بعزة النفس وحبه الرائع للدود عن عقيدته يرجع الى اقتدائه بسيرة قادة عظام مثلوا بمسلكهم اباء المؤمن في أعظم صورة وبرهنوا على الشجاعة في أسمى معانيها /

يقول «اقراتسياني» متحدثا عن عمر المختار «كان حريصا على عقيدته يواجه كل من يعترض لها بسوء يكره الدخلاء ويحارب كل من يعتدي على وطنه ولا يقبل أي تدخل من أي أجنبي في قضية وطنه العربي وبالاخص ليبيا»[٥٣].

وعمر المختار الذي امتدحه عدوه اللدود «اقراتسياني» هو ابرز تلاميذ مدرسة الجهاد الرائدة التي أسسها المجاهد الاسلامي الكبير أحمد الشريف الذي تحدث عنه الضابط التركي الكبير/ أنور باشا في مذكراته فقال :

«انه الرجل الصلب القوي الايمان بقضيته وعقيدته»[٥٤].

وأحمد الشريف هو القائل :

«انني أعاهد الله علي ان لا اتساهل مع الطليان في حق من حقوق أهل البلاد ولا اتنازل لهم عن مقدار حافر حصاني»[٥٥].

ومثيله هو عبد العاطي الجرم البطل الغيور على دينه وعروبته الرافض لمبدأ التفاوض ومسرحية الاتفاقيات مع الطليان وهو الذي ضرب أحد المتفاوضين الطليان وقال :

«قم ... علاش نتفاوض هاذي بلادنا وارضنا ... نتفاوض معاك بهذه وشهر بندقيته ثم الى هناك واشار الى ساحة الميدان»[٥٦].

والمعني : قم لماذا نتفاوض هذه بلادنا وارضنا ونتفاوض معك بهذه البندقية في ساحات القتال وقد حدثني بعض رفاقه فقالوا :

طوال مدة جهادنا لم نجد قائدا مثل عبد العاطي الجرم فقد كان صادقا في جهاده وكان يكره ان يتدخل في النزاعات والفتن التي حبكتها ايطاليا للايقاع بين المجاهدين فكوّن مجموعة لم ترفع السلاح الا في وجه العدو[٥٧].

وهذا المجاهد فرحات الزاوي في موقف يشبه موقف المجاهد أحمد الشريف يرد على من نصحوه بالاتصال بالطليان والحصول منهم على كل ما يريد فيقول :

«ان ضميره حي وانه لم ولن يبيع ذمته لاعدائه»[٥٨].

ان العقلية الايمانية التي امتاز بها هذا الرعيل الجاد في الدفاع عن دينه وارضه هي نتاج تربية اسلامية تناقلها الخلف عن السلف ومنبعها الاسلام الذي نقل العرب من حياة الهوان والجهل والخور الى ذرى المجد والعزة والنور كما اننا اذا درسنا احداث التاريخ البعيدة فاننا نجد دوافع نفسية ايجابية لدى الليبيين جعلتهم يسارعون الى نجدة المظلوم وافتداء الوطن عندما تحيق به الأخطار بردع الظالم وكبح غطرسته فقد وصل احد قادتهم الى ارض فلسطين في ماضي الزمن عندما كون الليبيون الاسرة الثانية والعشرين في مصر وفرضوا هيبتهم البحرية على سفن الاعداء في بداية القرن التاسع عشر الميلادي واظهرت رسومات معبد الكرنك براعتهم قديما في الفن الحربي ونبوغهم في صنع الاسلحة وخاصة العربات الحربية التي وجدت صورها في جنوب ليبيا[٥٩].

هذا ولقد حولت العقيدة الاسلامية الاستعداد القتالي والحمية العربية عند الليبيين الى مواقع الذود عن الحمى والتضحية من أجل الوطن والدفاع عن القيم الخيرة والمبادىء النبيلة والمكتسبات الثمينة الغالية المتمثلة في الأرض والأهل والمجتمع برمته وبكل ذلك يتحقق الدفاع عن العقيدة التي تنبثق عنها ومنها كل القيم والمكتسبات السابقة فصيانة الوطن هي صيانة العقيدة لأنه لا يصون الوطن من لا يملأ جوانحه الايمان القوي الصادق فالعقيدة والوطنية بينهما تلازم وتلاحم.

يتحدث محمد الغزالي عن الايمان فيقول :
«الايمان قوة ساحرة اذا استمكنت من شعاب القلب وتغلغلت في اعماقه تكاد تجعل المستحيل ممكنا» .

ثم يستطرد شارحا كيف أن ايمان أي فرد بفكر معين يجعله مناضلا من أجله وان العقيدة الاسلامية تسمو على ما عداها من العقائد وتتقدمها وتفضلها فيقول :

«لقد راينا شبابا وشيوخا يلتقون عند فكرة من الفكر يحلونها من انفسهم محل العقائد الراسخة ومع انها فكرة مادية بحتة إلا انهم يجعلون من حياتهم وقود حركتها ويتحملون اقبح الاذى في سبيل نصرتها ويرون ذلك بعض الجهد الواجب لانجاح مبادئهم ودفعها الى الأمام فكيف اذا كان الايمان الذي ظهر في صدر الاسلام ايمانا بالله رب السموات والأرض وايمانا بالدار الآخرة حيث ينقلب الانسان من هذه الدنيا لتستقبله في جوار الله الحدائق الغناء والقصور الزهر من تحتها الانهار الجارية والنعيم المقيم»[٦٠].

ان معطيات الجهاد الليبي واحداثه العديدة اكدت ان الدافع الروحي والحافز المعنوي الذي اصطبغت به حياة الرعيل الاول من المسلمين وقادهم في ملاحم الجهاد هو نفس الدافع الذي وجه تصرفات المجاهدين الليبيين ودفعهم الى اقتحام مواقع الخطر ومجابهة العدو الغازي لمدة طويلة من الزمن حيث قدموا ارواحهم واموالهم عن رضا وقناعة وطيب خاطر قربانا في سبيل نصرة العقيدة وحرية الوطن، وليس هناك اقوى عقيدة ولا اثبت جنانا من انسان يجاهد وهو واثق انه ان فاز بالشهادة فمصيره الجنة وان انتصر فقد حقق العزة له ولدينه ولوطنه وهذه المبادىء التي لا يماثلها شيء في سموها وعظمتها هي التي احتلت شغاف القلوب عند الليبيين فجعلتهم يتسابقون الى معسكرات الجهاد شيبا وشبابا باذلين النفس والنفيس بصدق وجد، وهذا «جورج ريمون» يذكر انه التقى بقائمقام «فساطو» عمر العربي وكان جريحا وتحدث الى الرحالة «ريمون» فقال :

«نحن الليبيين كلنا اهل حرب وانا نفسي قد خضت المعارك اكثر من عشرين مرة وما ازال اتأهب للعودة اليها مرة اخرى للجهاد في العزيزية ضد اعدائنا، وهل ترى ذلك للجندي الذي كلفته بحراستك انه ابني وعندي غيره خمسة عشر ولدا آخرين انخرط كبارهم في الجيش كضباط وكجنود والصغار اخذوا يتدربون على السلاح منذ الآن»[٦١].

لقد كان اندفاع الليبيين وحماسهم للاشتراك في المعارك مثار الاعجاب وموضع الفخر فقد سارعوا الى ميادين الجهاد كبارا وصغارا رجالا ونساء وهذا أنور باشا القائد الحربي لدور الظهر الحمر بدرنه ١٩١٢م يذكر مساهمة الليبيين من مختلف الأعمار في ملاحم الجهاد فيقول :

«... اما قوات الميليشيا والضباط والشيوخ فلا زلت اراهم وهم يمتطون صهوات خيولهم ويسيرون مثنى ويتبعهم الرجال وهم يسيرون ايضا ازواجا حاملين على الاكتاف اسلحتهم من بنادق الموزر الجديدة وبنادق القربينة القصيرة وغيرها من القطع التي سبق الاستيلاء عليها من الايطاليين ويضم هذا الحشد من الرجال بعض اولئك الطاعنين في السن بلحيهم البيضاء وهم يسيرون الى جانب احفادهم حاملين حجر الصوان للقدح».

ويقول ايضا : «انتهز الفرصة هنا لأعرب عن إعجابي الشديد ببساطة النساء البدويات وتواضعهن واحتمالهن وقوة شخصياتهن وشجاعتهن»[٦٢].

والروايات الشفهية ايضا تؤكد هذه الحقائق فقد روى لي المجاهدان علي محمد عقيلة ومحمد ابوبكر بونبا بانهما التحقا بدور الظهر الحمر وهما في سن صغيرة فأما الاول فلم يلبث ان تحصل على بندقية كغنيمة من احدى المعارك بل انه نال شرفا عسكريا لأنه ساهم مع آخرين في قتل مجموعة من ضباط العدو واما الثاني فقد اوكلت اليه اولا مهمة نقل الرسائل بين مواقع القتال ثم أدخل المدرسة التي اقامها انور هناك وارسل الى المدرسة الحربية في تركيا وتدرّج في السلك العسكري ووصلت ثقة الاتراك في كفاءته الى تكليفه بمهمة عسكرية سرية في اسبانيا لمدة من الزمن [٦٣].

وفي رواية المجاهد يونس امحمد عطية افاد بأنه اشترك في الجهاد وهو صغير السن وبدون سلاح وقال :
«جرت العادة ان الذي بدون سلاح يتناوب مع آخر في حمله والقتال به حتى اذا سقط احد الشهداء يستلم سلاحه»[٦٤].

وتؤكد المصادر أيضا ان مجموعة كبيرة من قادة الجهاد كانوا من الطاعنين في السن ومنهم سالم بن عبد النبي الزنتاني والفضيل عمر ومحمد فكيني والسلطان حمودة التازقي وعمر المختار وغيرهم .

هذا وباستماعي للعديد من الروايات وجدت أنها تجمع على أن المحرك للمجاهدين والدافع لهم إلى ساحات الحرب هو الدفاع عن العقيدة وان الممارسات اليومية ظلت تبرهن على الحفاظ على الشحنة الايمانية في النفوس فالصلاة كانت تؤدى في أوقاتها ومجموعة الفضيل عمر شهيد معركة الاثرون هوجمت وهي تؤدي الصلاة على سبيل المثال وقراءة القرآن كانت هي الشغل الشاغل للحفاظ على المتواجدين بكل دور أو محله والاستشهاد في سبيل الله كان مطلبا مرغوبا يتدافع إليه المجاهدون والصادقون في حماس وهمة وحب يفوق الوصف والتصوير .

العامل الديني أهميته في الجهاد ومحاربة المستعمرين له والمقاومة الليبية ضدهم

وحتى الذين بحثوا في استفاضة عن أهمية العامل القومي في الجهاد الليبي دفعتهم أمانة البحث العلمي إلى التأكيد الصادق على اهمية العامل الديني في رفع المعنويات والحفاظ على استمرارها. فهذا صاحب كتاب «الشعب المسلح فلسفة وتطبيق في الجهاد الليبي» وقد صدر أثناء اعدادي لهذا البحث نراه تحت عنوان «الاعتزاز بالعوامل المعنوية» يقول :

« عندما نقف امام ظاهرة الجهاد العربي الليبي عبر التاريخ لنبحث عن العوامل التي دفعت المجاهدين للاستمرار في الجهاد والصمود فيه نجد أن العامل المعنوي متمثلا في الايمان بالله يقف على رأس عوامل الصمود »(٦٥) .

وقد اورد في بحثه بعض الآراء التي تؤكد على اهمية العامل الديني في الجهاد الليبي ومع تأكيدي على اهمية العامل القومي وبروزه في بعض الاحداث والاقوال اثناء مسيرة الجهاد الليبي الا انني اود التذكير بالامور التالية :

١ * ان العامل الديني ظل هو البارز والمؤثر في جميع ملاحم الجهاد في الوطن العربي كله وفي ملحمة الجهاد الليبي على وجه الخصوص.

٢ * ان الوعي القومي لم يكن ظاهرا بوضوح إلا في فترة متأخرة وعلى سبيل المثال كان المفكر رشيد رضا صاحب جريدة المنار المعروفة يرى حينذاك «ضرورة بناء دولة اسلامية حقيقية ورفض كل المحاولات لخلق دول في العالم الاسلامي لا تقوم على وحدة الدين»(٦٦).

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين اكد الكثير من المفكرين العرب المسلمين والمسيحيين ان فكرة القومية العربية لم تكن واضحة ولا محددة ومنهم «الكواكبي وعزوري»(٦٧).

وهذا مع وجوب التذكير بأن الجهاد الليبي سبق تلك الفترة وحتى الذين دعوا بإخلاص الى القومية العربية لم يتح الاستعمار لهم الفرصة واستغل هيمنته على الوطن العربي حينذاك لتوجيه الامور الى الوجهة التي تخدم اهدافه.

٣ * ان درجة الفهم لاهمية العامل القومي في الساحة العربية حنيذاك لم تكن واضحة لدى عامة الناس وهم المجموع المؤثر في حركات الجهاد فان كان هذا هو المفهوم السائد في البلدان العربية الشرقية الاكثر ثقافة حينذاك فإن ليبيا وقد كانت تعاني من الاستعمار المتعدد الوجوه لم تكن بأحسن من غيرها.

٤ * ان الذين قالوا بأن الوعي القومي كان ظاهرا ومؤثرا ودللوا على ذلك بحضور بعض العرب الى ساحات الجهاد في ليبيا كان عليهم ان يعلموا بأن مجيء اكثر هؤلاء كان استجابة لنداء الاسلام بالجهاد ودفاعا عن آخر معاقل الخلافة الاسلامية في افريقيا، وعليهم ان يعلموا بأن هذا التلاحم لم يلبث ان تلاشى تقريبا بعد ان خرجت دولة الخلافة «تركيا» من ليبيا بوقت قصير وبقي الليبيون وحدهم في الميدان الملتهب يحركهم دافع حماية العقيدة ويشغلهم مطلب حرية الوطن وكان جهادهم دون مساعدة من اي كان في اغلب واصعب سنواته مرارة وقسوة .

٥ * واخيرا يجب القول بأن عامل الدين سابق عن العامل القومي كما ان تأثيره ظاهر الوضوح ونتائجه كانت مشرفة ولنا خير دليل في انتصارات الاسلام الاولى..

كما يتقدم على العامل القومي بدليل انك يمكن ان تكون سوريا او ليبيا ولكن لا يمكن ان تكون غير مسلم.

اما الذين يقولون بتقديم العامل القومي اليوم فهم ايضا اكدوا على اهمية العامل الديني كما ان تقديمهم للعامل القومي يبرره الوضع المتشتت الذي يعيشه الوطن العربي اليوم ورغبتهم الصادقة في ابراز الفكر الذي يحقق هدف الوحدة ولا شك ان التقدم الذي تحرزه القومية العربية هو تقدم للاسلام وبعزة العرب ووحدتهم تتحقق عزة الاسلام فالعرب هم قلب الاسلام النابض وهم اهل الرسالة الامناء عليها فلا إسلام بغير عروبة ولا عروبة بلا إسلام.

لقد ادرك الاجانب منذ سنوات الجهاد الليبي الاولى سر اندفاع الليبيين الى ساحات الجهاد وسبب صمودهم وشجاعتهم فهذا الرحالة الصحفي الفرنسي (ريمون) يتحدث عن ذلك فيقول :

«انهم يهجمون على عدوهم وقد ملأت نفوسهم الرغبة في سحقه وحينما يتلقى احدهم في اثناء ذلك طعنة مميتة فإنه يسلم روحه الى باريها دون ان يحس بذلك من شدة اندفاعه ثم لا تلبث الملائكة ان تتلقف تلك الروح وتطير بها الى جنة الخلد وهذا افضل سبيل لملاقاة الموت»(٦٨).

وقد كان المراسلون الغربيون يصورون الجهاد الاسلامي دائما بأنه جهاد تعصب للدين، ولم يغفل القادة المثقفون في ليبيا خطورة هذا القول فهذا المجاهد الكبير فرحات الزاوي يرد على المراسل (ريمون) قائلا :

«الحرب المقدسة لا تذكر هذه العبارة في مقالاتك عنا بربك اذ ان التلفظ بها كفيل بأن يجعل الناس في فرنسا يظنون بنا الظنون... لا تقل اننا متعصبون للدين»(٦٩).

ولقد دلل المجاهد الزاوي برده هذا على فطنة المجاهدين الليبيين وبعد نظرهم وتفهمهم المبكر لمقاصد الأجانب ومن المعروف أن محاربة الاستعمار للدين الاسلامي قديمة ومتواصلة وخاصة تركيزه الشديد على محاربة التعبئة الروحية وهدم مظاهر القوة المادية واسبابها والتي يعد مبدا الجهاد ابرزها واكثرها فاعلية وتأثيرا .

ولذا نجد ان الفكر الاستشراقي الغربي بالذات استطاع ان يؤثر بالفعل في بعض العقول واوجد من بين المسلمين من يحاول جهلا او تجاهلا تعطيل مبدإ الجهاد في الاسلام وعندما كشفت هذه المكائد وشعر المستعمرون بالفشل في هذا المسعى الخبيث حاولوا ان ينشروا فكرا مريضا يخدم اهدافهم الاستعمارية ويحقق مطامحهم ويتلخص في قولهم :

ان فريضة الجهاد محصورة في وقت الرسالة ومحدودة بزمن الدعوة المحمدية وقد أوكل الاستعماريون هذه المهمة الهدامة الى المستشرقين الذين وثق البعض من المفكرين الاسلاميين بهم ورددوا اقوالهم ناسين او متناسين خطورتها وينبه الى هذا الموضوع الخطير في اكثر كتاباته المفكر الاسلامي الدكتور محمد البهي (٧٠) .

وقد نبّه ايضا الى ان المستشرقين اسرفوا في تمجيد الاغراق في التصوف الاسلامي وعلى الأخص مجّدوا عقيدة الفناء في الحب الالهي لأن الاعتقاد بالحلولية يسقط التكاليف كلها ومن بينها الجهاد ويصرف المحب للفناء في الله عن الاحتفاظ بالجماعة الاسلامية وعن القيام بدفع الاعتداء عليها عن طريق تمسكه الدائم بمبدا الجهاد وهكذا فللمستشرقين آراء عديدة غريبة وعجيبة تتفق في مجملها على جعل الاسلام «روحية خالصة» تبعد بالفرد عن التفكير في السيادة والحكم وعن اقامة العلاقات الاجتماعية ونبذ مظاهر القوة المادية والتمسك بأسبابها ووسائلها في مقدمتها الجهاد ولكن اشد افكارهم خطورة هو هدم القرآن الكريم الذي هو اعز وامنع حصن يحتمي به المسلم لأنه مصدر العقيدة وموئل العزة ومنبع الكرامة وينسى اولئك المشككون انه لا يمكن لانسان سوي العقل سليم التفكير ان يتبع ظلالاتهم ويستبدل بها دينا قيّما ارتضاه الله لعباده ويقول مؤلف كتاب (ظلال القرآن) :

«ان اعداء الجماعة الاسلامية لم يكونوا يحاربونها بالسيف والرمح فحسب انما كانوا يحاربونها في عقيدتها بالدس والتشكيك ونثر الشبهات وتدبيرلأ المناورات كانوا يعمدون الى عقيدتها التي انبثق منها كيانها وقام وجودها فيعملون فيها معاول الهدم والتوهين ذلك لانهم كانوا ومايزالوا يدركون ان هذه الامة لا تؤتى إلا من هذا المدخل».

ان مكائد اعداء الاسلام والعروبة تتمثل في عمل المستعمرين الدائم على صرف المؤمن عن عقيدته لأنها مصدر قوته وسر صموده في وجه الاستعباد والاحتواء وذلك ليسهل عليهم تحقيق اهدافهم وفي سبيل ان يحقق المستعمرون اطماعهم في هدم العقيدة الاسلامية واستعباد المعتنقين لها فقد لجأوا الى خلق الكثير من المشاكل ضد العرب على وجه الخصوص لأنهم يمثلون مركز الثقل في العالم الاسلامي وقد تعرضت ليبيا العربية نتيجة لهذا المخطط الاستعماري المستمر إلى العديد من المشاكل وقاست الأمرين من الاستعمار الغربي الصليبي فقد احتلها الاسبان وفرسان مالطة وقامت الاساطيل المعادية بمحاولات عديدة لفرض سيطرتها عليها وفي العصر الحديث تعرضت للهجمة الاستعمارية الايطالية وقد كان الايمان المعزز بالعمل هو السلاح الفعّال الذي فرض هيبة الليبيين ورفع ذكرهم في العالم الاسلامي فالاستعمار وان انتصر بوسائله المادية الرهيبة فإنه لم يستطع هزيمة العقيدة الراسخة التي تعمر بها قلوب الليبيين لأنهم تمسكوا بفريضة الجهاد التي تحمي العقيدة وتحافظ على الكرامة وتحقق النصر وبما ان حلقات الكيد للاسلام والعروبة ماتزال مستمرة وخاصة ضد بلادنا التي تملك من المزايا الطبيعية ولاقتصادية ما يجعلها مستهدفة للغزو والاستعباد كما تمثل ذلك في الحملة الامريكية على خليج سرت التي وصفت بأنها حملة صليبية جديدة.(٧١)

فلن ينجينا من هول الاستعباد إلا التمسك بعقيدتنا مع العمل المضني والاستعداد الجدي تحسبا لكل الاحتمالات والطوارىء استجابة لقول الله تعالى :

«ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز»(٧٢).

ان الاستعمار يريد من المسلمين والعرب ان يرضخوا لسياسته وان يخضعوا لحكمه وان ينحرفوا عن عقيدتهم وقد كان الليبيون على وعي تام بأساليبه إذ اكدوا في صراعهم المرير ضد الصليبية الفاشستية صدق الوفاء لعقيدتهم مدركين مغزى قول الله تعالى :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من ولي ولا نصير » (٧٣) .

لقد استخلف الله الانسان في الأرض وكرّمه دون سائر المخلوقات وترتّب على هذا التكريم والتفضيل ان يتحمّل الانسان مسؤولية اكثر وامانة اكبر فيعمل للدنيا وللآخرة وان يراعي في هذا العمل حقوق نفسه واهله ومجتمعه وبما ان اعمال التقوى الفردية لا تكفي وحدها ليحصل الانسان على رضا الله وحسن جزائه وان مقتضيات الايمان الصادق تستلزم بالضرورة اسهام الانسان باخلاص في تأسيس واسعاد مجتمعه فإن مكتسبات هذا المجتمع مهددة بالزوال مما يستلزم دوام الدفاع عنها وعدم التفريط فيها وبمنا ان العقيدة الاسلامية هي اثمن المكاسب وافضل النعم التي انعم الله بها على العرب وخصّهم بواجب الدفاع عنها لذا فقد استحقت كامل اهتمامهم لأن العمل على حماية العقيدة لا يعدله أي عمل آخر من اعمال التقوى العظيمة فقد قال تعالى :

« اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عن الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده أجر عظيم » (٧٤) .

لقد وعى المجاهدون الليبيون الدروس المستفادة من الدين الاسلامي وتعمقوا القيم العظيمة الكامنة فيه فكان لهم من عقيدتهم الراسخة وايمانهم القوي ومن تجارب الماضي وعبرة وعظاته ذلك الزاد الروحي الدائم والدافع الى الجهاد كما كان لهم التكوين النفسي والوجداني للجندي الصادق في جهاده الذي يفتدي بروحه ودمه المبادىء السامية والقيم النبيلة ولذلك نجدهم قد وقفوا موقفا مشرفا وفريدا ولمدة طويلة من الزمن ضد اعتى انواع الاستعمار حمقا وهمجية وانحطاطا كما يصفه احد الصحفيين الاجانب. الذين احضرتهم ايطاليا خصيصا للكتابة عن حوادث احتلالها لليبيا الذي توقعت واهمة سرعة تنفيذه حيث يتحدث الصحفي «فرنسيس ماكولا» في كتابه المترجم تحت عنوان (الغزاة) عن الوحشية الايطالية التي تمثلت في القتل الجماعي للكبار والصغار وللرجال والنساء دون تفريق بين المسالمين والمحاربين.

يقول (ماكولا) :

«كانت جثث الموتى من العرب منتشرة هنا وهناك على الرمال وكان هذا المنظر يبعث على الالم الشديد»(٧٥).

وليس الصحفي (فرنسيس ماكولا) فقط هو الذي تحدث عن فظائع الطليان الرهيبة في ليبيا بل شهد غيره ايضا بها فقد قال (السيركوسيرا مراسل) جريدة (اكسيلسوار) الباريسية :

«لا يخطر ببال احد مارأيناه بأعيننا من مشاهد القتل العام ومن اكوام جثث الشيوخ والنساء والاطفال يتصاعد منها الدخان»(٧٦).

وقال مراسل (فرانكفورت تسايتونغ) «لقد رايت بعيني فظائع هائلة لم تسمع اذن انسان بمثلها ولقد بلغ الى الآن عدد المذبوحين من الاهالي سبعة آلاف من رجال ونساء واولاد اذ بيح للجنود قتل كل من يصادفون»(٧٧).

ويقدر شكيب ارسلان بشهادة آخرين ان الذين شنقهم الطليان من اهالي طرابلس وبرقة بدون محاكمة وبأوامر قائد او ضابط صغير بعدد عشرين الف نسمة.

ويقول شكيب ارسلان معلقا على افعال الطليان المشينة بليبيا ما يلي :

«ان اخواننا الطرابلسيين لأمر يريده الله ابتلوا من الاستعمار الايطالي الفاشستي بالداهية الدهماء والبلية الصمّاء التي مهما كثرت مصائب الاسلام في هذا العصر فلا شيء منها يشبهها».

ولقد ادرك الطليان سر الصمود الذي ابداه الليبيون ضدهم وفهموا ان سبب ذلك هو تمكن العقيدة من نفوسهم وان الدين هو امضى سلاح جوبهوا به ولهذا فقد استهدفت حربهم اول ما استهدفت رجال الدين لأنهم قادة الجهاد ووجهوا قذائف مدافعهم نحو بيوت الله كما فعلوا في طرابلس والكفرة والجغبوب ومسجد الفتائح بدرنة والكثير من المساجد والزوايا الاخرى قال شكيب ارسلان :

«الايطاليون شديدوا الحرص على إبادة رجال الدين ومحو معالم الاسلام من ليبيا».

وقال ايضا : «ان استئصال الدين الاسلامي من طرابلس واجتثاث عروقه بمحو رجاله من هناك كان ولا يزال محور سياسة الفاشست في ذلك القطر ليبيا»[٧٨].

ولقد جمع السفاح (غراسياني) جميع مشائخ الزوايا وأئمة المساجد والفقهاء في برقة في معتقل بنينة ثم ارسلهم الى ايطاليا واعادهم مرة أخرى لمعتقل بنينة وتم افناء اكثرهم بسبب الجوع والمرض والتعذيب واحكام الاعدام .

وعن اعمال الطليان في طرابلس تحدث (ماكولا) فقال :
«لقد قتل الطليان الكثير من رجال الدين والوعّاظ وكانوا يقتنصونهم عند عودتهم من المساجد»[٧٩].

رغم ان الطليان اكدوا في مناشيرهم التي وزعوها في طرابلس عند بداية الاحتلال حفاظهم على الدين إلا ان جميع افعالهم دللت على كذبهم وشدة تعصبهم وبعدهم عن الانسانية وليس ذلك بغريب عليهم وقد جاءوا بعقلية الصليبية الاولى وحقدها القديم على الاسلام ولذلك فقد كانوا يسمون الليبيين (سراسين) بمعنى مسلم او عربي وقد اطلق هذه التسمية الصليبيون الاول على المسلمين منذ بداية حربهم الصليبية الاولى ضدهم.[٨٠]

قد يعجب الدارسون المدققون في تاريخ الجهاد الليبي ويتساءلون عن سر الصمود البطولي الرائع الذي ابداه الليبيون ضد عدو شرس فاقهم عددا وعدة وتدريبا والجواب على ذلك يكمن في القوة الروحية التي امتلئت بها قلوب الجموع العامة من ابناء الشعب الليبي فمن لم يتيسر له الجهاد بنفسه بذل من ماله اما الذين وقعوا تحت هيمنة العدو الايطالي وخضعوا لرقابته كالمجندين والعاملين معه والمحصورين داخل المسيجات والمعتقلات الجماعية ظلوا هم ايضا اوفياء لأوامر دينهم واكثر محبة لوطنهم ومواطنيهم فبذلوا كل انواع العون الممكنة لاخوانهم.

ان الفكر الشمولي السائد والمؤثر والفاعل عند الليبيين جميعا في ذلك الزمن المرير هو ان الركون لأعداء الاسلام عار والنكوص عن حربهم جريمة ولم يكن ذلك الصمود الاسطوري سعيا وراء المكاسب الآنية والمطامع الدنيوية بقدر ما كان دفاعا صادقا كل الصدق عن العقيدة فصبروا على مضض الكفاح وتلقوا الضربات بعزم ويقين.

كما ان الايمان العظيم الذي ملأ قلوب الجموع العظيمة من المواطنين قد نزع الضعف الداخلي من نفوسهم وبرهنوا على رسوخ هذه الفكر عمليا وفي اسوإ الظروف تحديا وقهرا لذا فإن المحصلة العامة المستخلصة من وقائع واحداث الجهاد الليبي تؤكد ان محبة الجماهير العربية العريضة لعقيدتها في ذلك الزمن الرهيب قد صنعت المستحيل وامدت ميادين الجهاد بزخم متزايد من الرجال الذين رسخ في قلوبهم بعفوية البادية وبساطتها ان الدفاع عن العقيدة والوطن هو اشرف وانبل الاهداف وقد تنزهت مقاصدهم جميعا عن كل المطامع السياسية والاقتصادية وكان اكثر الاهداف رسوخا في اعماقهم ان الايمان الحقيقي مصداقه العمل وبرهانه الفعل وان لاشيء يعلوا على الجهاد في سبيل الله ارتقابا لوعده الحق الوارد في قوله تعالى :
«ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»[٨١].

كثيرة هي الاقوال والاحداث التي تؤكد ظهور العامل الديني في الجهاد الليبي ومع انتقاء الخوف من الاتهام بالتحيز لتاريخنا الجهادي عامة والخط الفكري لهذا البحث خاصة ارى لزاما بأن اقول ان دراستي الطويلة لتاريخ الجهاد الليبي في المصادر الليبية والاجنبية المكتوبة والشفوية اعطتني الكثير من الاسانيد والشهادات الصادقة التي وردت على السنة شهود العيان من غير الليبيين.

يقول (جورج ريمون) :
«لقد علمتني تجربتي هذه انه مهما تكون عظمة القوى التي تهدد هذا الشعب الليبي فإنه من المستحيل عليها ان تقهره مالم يستسلم لها في النهاية بنفسه وادركت انه واجد الآن في دينه الاسلامي اعظم قوة يستند اليها في مقاومته للاحتلال الاجنبي ومن ثم فان على اعدائه ان يتوقعوا منه مقاومة تقاس قوتها ومداها بمدى عمق ايمانه بعقيدته»[٨٢].

ويقول المؤرخ (ايفانز بريتشارد) :
«بدون تقرير المشاعر الدينية التي دخلت في المقاومة وحق قدرها سيكون من المستحيل على المرء في رأيي ان يفهم كيف استمرت تلك المقاومة لمثل هذه المدة الطويلة في وجه تلك العقبات العسيرة الطاغية»[٨٣].

وعندما تنازلت تركيا عن ليبيا وقررت منحها الاستقلال لتواجه الطليان بنفسها دفعت الحمية الاسلامية بعض الضباط الاتراك للحضور الى ليبيا فوجدوا الليبيين المسلحين بالايمان القوي والعزم الصادق قد صمموا على الجهاد ورد العدوان الايطالي وكان هذا الموقف المشرف هو اعظم دافع للضباط الاتراك لتنظيم المقاومة ومتابعة التدريب والقيادة للاقوام العديدة من المجاهدين الذين تسابقوا الى ميادين القتال طلبا للشهادة».[٨٤]

لقد كان الفضل في تدافع المجاهدين إلى ساحات النضال هو وجود قيادات ليبية شديدة الوفاء صادقة العزم في تطبيق مبدإ الجهاد في الاسلام وظهر تصميمها الصادق على الجهاد بشكل واضح بعد ان علمت برغبة الترك في عقد الصلح والانسحاب من ليبيا فأرسل زعماء الجهاد في طرابلس برقية الى مجلس النواب العثماني جاء فيها ما يلي :

« لأجل المحافظة على الدين والوطن والاستقلال الذي تفضل علينا به مولانا السلطان قدذ اتفقنا اتفاقا جازما على دوام المدافعة وعينا خطة جديدة للحرب والهمة مبذولة في تدارك ما يلزم من الأرزاق والنقود مستمدين من الله التوفيق والاعانة فالمرجو الاعتناء بمحافظة الأمن والاتحاد ورد الجواب على الفكر العام بطرفكم » .

٢٢ من ذي القعدة ١٣٣٠هـ الموافق ٢ من نوفمبر ١٩١٢م

احمد البدوي الازهري/محمد سوف

احمد السني/سليمان الباروني [٨٥]

كما ارسل المجاهد احمد الشريف قائد الجهاد في شرق ليبيا حينذاك خطابا الى الضابط التركي انور باشا جاء فيه قوله : «نحن والصلح على طرفي نقيض ولا نقبل صلحا بأي وجه من الوجوه اذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد للعدو».

ان مراجعة اسباب الانتصارت الاسلامية على مدى التاريخ عامة ومعطيات التاريخ الاسلامي في الفتوحات خاصة تؤكد ان بروز العامل الديني وعظمة القوة الروحية تلك القوة التي جعلت الموت هدفا نبيلا وغاية كريمة ووجهت الجيوش الى طريق النضال المقدس والكفاح المشرف، وهي التي جعلت المجاهد الليبي يدافع عن الحق بعزيمة لا تقهر وقناة لا تلين ولا تضعف امام ضروب العسف والنكال التي طبقها الغزاة الطليان ضد ابناء ليبيا طوال ربع قرن من الزمان.

هذا ولأن ملحمة الجهاد الليبي ضد الطليان هي ترجمة عملية صادقة لمبدإ الجهاد في الاسلام وكانت فترة اشراق مضيئة في تاريخ العرب والاسلام حققت الفخر وصنعت النصر بظهور عقيدة الجهاد الصامدة.

واستمراريتها في كامل مراحل الجهاد وفيما بعدها اثناء طرد المستعمرين واجلاء قواعدهم، وحيث ان الشعب الليبي مايزال يستمد من تلك التجربة الجهادية زادا معنويا كبيرا، ولأننا نعيش الآن في عصر مضطرب تستهدف فيه العقيدة الاسلامية وتستباح الاوطان العربية مما يستوجب الدراسة المستفيضة لتلك المرحلة واظهار المعاني العظيمة التي حفلت بها ملحمة الجهاد الليبي للاسترشاد بها والاستفادة من الدروس الوطنية الكامنة فيها للتأكيد المتواصل على عظمة القوة المعنوية المستمدة من الدين وللاستزادة من الزاد الروحي الفعال الى جانب الاهتمام التام بالقوة المادية والتعبئة القتالية المستمرة.

اكد الكتاب الاجانب الذين أرّخوا للجهاد الليبي على قوة فعل العامل الديني وعظمة تأثيره بينما لم تظهر دراسة مستفيضة عنه من قبل الليبيين الذين كتبوا في تاريخ الجهاد.

لذلك فقد رايت القيام بهذه المهمة الصعبة ولقد وجدت نفسي امام شخصيات كثيرة واحداث اكثر وفترة جهاد طويل حفلت بمتناقضات عديدة ومواقف متقلبة وايجابيات فريدة صنعها الثبات على العقيدة وسلبيات مؤسفة صنعها الاستعمار ونسج خيوطها، وقد خرجت بنتائج اهمها ان ابرز العوامل ظهورا في الجهاد الليبي هو العامل الديني ويليه العامل القومي اذ كان لهما فضل صنع كافة الايجابيات التي يزخر بها جهادنا.

(١) سورة المنافقون ٨.
(٢) سورة التوبة ١١٦.
(٣) سورة النساء ٨٣.
(٤) سورة التوبة ٤٤.
(٥) سورة التوبة ٤٥.
(٦) سورة آل عمران ١٣٩.
(٧) الاحزاب ٢٣.

(٨) انظر مثلا الشوكاني / نيل الاوطار / دال الجل ١٩٧٣ م ج ٣ / ص ٢٤ + فتح الباريء للعسقلاني مجلد ٦ ص ١٣

(٩) سورة الحج ٧٧.

(١٠) سورة البقرة ١٨٩.

(١١) سورة البقرة ٢١٤.

(١٢) ظافر القاسمي / الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام / دار العلم للملايين بيروت / ط ١ / سنة ١٩٨٢ م / ص ٩٢ — ٩٣.

(١٣) سورة يونس ٩٩.

(١٤) سورة النساء ٩١.

(١٥) د/ محمد الحبيب ابن الخوجة / مواقف الاسلام / دار الكتب الشرقية تونس ٧٢. / ص ٢٦.

(١٦) الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام مصدر سابق ٢١٨ / ٢٣١.

(١٧) مواقف الاسلام / مصدر سابق ص ١٥ — ١٦.

(١٨) سورة الانفال ٦١.

(١٩) سورة البقرة ٢٤٧.

(٢٠) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢١) سورة التوبة ٢٥.

(٢٢) سورة التوبة ٢٦.

(٢٣) سورة آل عمران ١٦٩—١٧٠.

(٢٤) آل عمران ١٦٩.

(٢٥) التوبة ٤١.

(٢٦) (متفق عليه).

(٢٧) سورة التوبة ٣٨.

(٢٨) سورة التوبة ٣٩.

(٢٩) سورة التوبة ٨٥.

(٣٠) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٣١) متفق عليه.

(٣٢) رواه ابو داود والترمذي.

(٣٣) رواه البخاري.

(٣٤) رواه البخاري.

(٣٥) رواه البخاري.

(٣٦) محمد الدسوقي /البناء العقائدي للاسلام مجلة كلية التربية بجامعة الفاتح عدد ٥ / ٧٢م ص ١٦٥.

(٣٧) السيد عبد الحافظ عبد ربه / فلسفة الجهاد في الاسلام دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٢ ص ١٨٧.

(٣٨) سورة الحجرات ١٥.

(٣٩) سورة محمد ٨.

(٤٠) سورة الروم ٤٦.

(٤١) الانفال ٣٩ / ٤٠.

(٤٢) لوثروب ستودارد / حاضر العالم الاسلامي — تعريب عجاج نويهض مكتبة الفكر طرابلس / ط ٣ / ١٩٨١م. ص ١.

(٤٣) النساء ٧٥.

(٤٤) انظر ستودارد / حاضر العالم الاسلامي / ج ٢ — الشروح ص : ١٤٣—١٦٣.

(٤٥) انظر علي مصطفى المصراتي / سعدون البطل الشهيد / المكتب التجاري بيروت ط ١ / ١٩٦٤م الصفحات : ٦١—٦٨. انظر ايضا صلاح السويحلي / رمضان السويحلي / حياة وجهاد ط ١ / ١٩٧٤م ص ٩٠.

(٤٦) انظر محمد الطيب الاشهب / عمر المختار — ١٩٥٧م ص ٢٦.

(٤٧) ابن خلدون / المقدمة / ط ١ / دار التراث العربي / ص ١٥١.

(٤٨) انظر حسن علي خشيم / صفحات من جهادنا الوطني — مكتبة الفكر ط ٢. سنة ١٩٧٤م ص ٢٧. وانظر ايضا مقابلات كاتب البحث مع رفاق عمر المختار بالمكتبة الصوتية بمركز دراسات جهاد الليبيين بطرابلس، المنطقة ١٤.

(٥٠) * معمر القذافي القائد المفكر من خطبة له في ذكرى معركة الهاني ١٩٧٢م

(٥١) * جورج ريمون / من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا / ترجمة محمد عبد الكريم الوافي / مكتبة الفرجاني طرابلس ــ ط ١ / ص ٢٦١.

(٥٢) * من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص٢٦٩.

(٥٣) رود لفوقراتسياني / برقة الهادئة / مكتبة الاندلس بنغازي ط ١ / ٧٤م ص ٢٧٠.

(٥٤) انور باشا / مذكرات انور باشا / ترجمة عبد المولى الحرير / منشورات مركز دراسات الجهاد الليبي ١٩٧٩م ص٣١.

(٥٥) انظر مقالنا من مأثر الجهاد الليبي بصحيفة الموظف العدد ٩٢ سنة ١٩٨٣ م الصادر بمناسبة عيد الثأر.

(٥٦) * علي مصطفى المصراتي / سعدون / مصدر سابق ص ١٢٥.

(٥٧) المجاهدون محمد فضيل النافرة / وعلي عبد الخالق مخيون في مقابلتي لهما، الاول بالقيقب ١٩٨١م والثاني بقرنادة ١٩٨٠.

(٥٨) الدكتور عبد الكريم شويرب / المجاهد فرحات الزاوي / مقال في مجلة الشهيد ــ العدد ٣ــ١٩٨٢م ص ١٩٥.

(٥٩) شوقي خير الله / مجلة تراث العروبة ١٩٨١م ج ٣.

(٦٠) محمد الغزالي / فقه السيرة / دار الكتب الحديثة / القاهرة ط٥. ٦٥م ص ٩٩.

(٦١) من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص ٩٢.

(٦٢) * مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص ٩١ــ٩٧.

(٦٣) * انظر الرواية المسجلة لهما بالمكتبة المسموعة بمركز دراسات الجهاد الليبي طرابلس وقد قابلهما كاتب هذا البحث ١٩٨٠م بشحات، والاول توفي سنة ١٩٨٢م اما الثاني فما يزال على قيد الحياة وعمره حوالي ٩٠ سنة.

(٦٤) * انظر روايته للباحث المبروك الساعدي ١٩٧٨م بالشريط رقم ٨ / ١٢ بالمكتبة المسموعة بمركز جهاد الليبيين بطرابلس.

(٦٥) رياض سيف النصر / الشعب المسلح. فلسفة وتطبيق في الجهاد الليبي منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان / ١٩٨١م ص ٤٠.

(٦٦) * د. خيرية قاسميه / الوطن العربي بين الاتجاه القومي وواقع التجزئة بحث مقدم للمؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية المنعقد بطرابلس سنة ١٩٨٢م ص ٢.

(٦٧) المصدر السابق.

(٦٨) مصدر سابق ص ١٧٣.

(٦٩) مصدر سابق ص ١٣٢.

(٧٠) * د. البهى / الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ط ٢. سنة ١٩٧٧م / دار الفكر العربي ص ٢٦١.

(٧١) معمر القذافي في كلمته المذاعة يوم ١٩٨٢/٣/٢م.

(٧٢) الحج ٣٨.

(٧٣) البقرة ١١٩.

(٧٤) التوبة ١٩ــ٢٠ــ٢١ــ٢٢.

(٧٥) * فرنسيس ماكولا / الغزاة / تعريب عبد الحميد شقلوف / العامة للنشر والتوزيع ط ١ سنة ١٩٧٩م ص ١٦٨.

(٧٦) * حاضر العالم الاسلامي / مصدر سابق ص ٧٥.

(٧٧) * المصدر السابق ص ٧٦.

(٧٨) * مصدر سابق ص ٨٢.

(٧٩) الغزاة / مصدر سابق ص١٦٨.

(٨٠) الغزاة / مصدر سابق ص ١٧٠.

(٨١) * التوبة ١١٢.

(٨٢) * انظر مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص ٦٣.

(٨٣) * من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص ٢٤.

(٨٤) ايفانز بريتشارد السنيسيون في برقة : تعريب عمر الديراوي طرابلس ليبياــ مكتبة الفرجاني ١٩٤٨م ص ٢٨٤.

(٨٥) زعيمة الباروني / صفحات خالدة من الجهاد ــ مطابع الاستقلال الكبرى ج ١ / ١٩٦٤م ص ٢٦٨.

الفصـــل الثـانـي

النشأة الدينية وأثرها في حياة رجال الجهاد

تقدمة الفصـــل

حينما جاء الرسول بتعاليم الاسلام العظيمة التي كانت تدعو ضمن ما تدعو اليه من مبادىء خالدة إلى الجهاد والثبات والاقدام، وقد وجد الرسول الكريم في العرب ارضا خصبة لغرس هذا المبدإ وتقبلا سريعا لتفهمه والتمسك به والعمل على ترسيخه والمداومة عليه، وكان ذلك نتيجة خبرتهم السابقة بالحروب وفنون القتال والنزال ومحبتهم الفطرية للحرية نضالهم الدائم من اجلها، ومن واقع استقراء التاريخ العربي الاسلامي يثبت ان العامل المعنوي لعب دورا بارزا وخطيرا في الانتصارات المتوالية التي أحرزت عند بداية حروب الغزوات الاسلامية وعلى امتداد فترة طويلة جدا من تاريخ الاسلام، كما انه مازال وسيظل يحدث تاثيره البعيد المدى عبر ملاحم الكفاح، التي خاضها العرب ويخوضونها اليوم ومرجع ذلك كله الى الدين الاسلامي الذي احيا في العرب منذ بداية اعتناقهم له صفات الشجاعة الاصيلة عندهم ونمى في نفوسهم عشقهم القديم للحرية ومحبتهم للفداء فبفضل الاسلام اصبح العربي شجاعا لا يعرف الجبن قويا لا يعرف الضعف عزيزا لا يرضى بالهوان صامدا لا يتراجع صابرا لا يعرف الانهيار متفائلا لا يعرف القنوط يستعد للتضحية في سبيل مثله العليا بالمال والروح منفذا أوامر الاسلام بمحبة وبصدق ومرحبا بالاستشهاد في سبيل الله ايمانا منه بان النفس لا تموت إلا باجلها سواء اكانت في ارض سلم ام في ساحة حرب، واملا في الظفر بمحبة الله التي تأتي عن طريق عدم المبالاة بالموت.

قال الله تعالى : «وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا»(١).

واعتبارا بمواقف الثبات التي وقفها صحابة رسول الله ضد تهديدات المشركين لهم فاستحقوا ان ينزل الله في شأنهم الآية الشريفة التي يقول فيها : «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»(٢). واستجابة لحث الرسول على الجهاد في الحديث الشريف القائل :

«احب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله وكان الرسول ينطلق في قوله هذا من الأمر الرباني الوارد في الآية الكريمة : «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون، الآن خفف الله عليكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين»(٣).

وقد كان الرسول قدوة لاصحابه فيما يامر به حيث طبّق ما امره الله به في مجال الجهاد فهو القائد الشجاع بشهادات اصحابه الكثيرة والتي منها قول البراء بن عازب « كنا اذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ ، وان الشجاع الذي يحاذى به » (٤) . لذا اطاعه اصحابه وصنع بهم ملاحم النصر المؤزر ، وقد احتذى الخلفاء حذو الرسول وساروا على دربه فتحقق على يديهم ايضا انتصار المسلمين واتساع رقعة الدولة الاسلامية حيث امتدت من بلاد الصين شرقا الى جبال البرانس غربا وكانت اكثر الفتوحات في عهد الامويين فقد تميّز الجيش في عهدهم بالقوة المادية الى جانب ارتفاع الروح المعنوية والشعور بالاعتزاز في القيام بمهمة نشر الاسلام وترسيخه ولشعورهم بانهم امناء على القتال باستكمال المهمة السامية التي بدأها الرسول الاعظم وواصلها من جاء بعده من الصحابة الصالحين .

يقول المؤرخ الاسلامي محمود شيب خطاب مؤكدا على قوة التأثير الذي تحدثه العقيدة الاسلامية ما يلي :

« اني اتحدى كل من يستطيع ان يذكر قائدا عربيا واحدا منتصرا لم يكن يتحلى بالتدين العميق ولم يكن يؤمن بالمثل العليا النابعة من صميم تعاليم الدين الحنيف لن يستطيع احد ان يذكر قائدا عربيا واحدا كان له في ميدان النصر تاريخ ، إلا وهو متدين إلى أبعد الحدود » .

سيد القادات وقائد السادات الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام هو نبي الاسلام ولا أزيد ... وقادة الفتح الاسلامي العظيم كلهم من صحابة الرسول والتابعين ويعلل سر انتصارات المسلمين في جميع الوقائع التي خاضوها فيقول :

« روح الانسان اغلى ما يملكه فمن المستحيل ان يضحي بها إلا إذا كانت له عقيدة راسخة واهداف سامية وكتل الحديد التي هي السلاح والعتاد ، لا جدوى منها ولا فائدة فيها إذا لم يستعملها انسان ذو عقيدة راسخة واهداف سامية ، وحين كان العرب قادة وجنودا وافرادا وشعوبا متمسكين بعقيدتهم السماوية فتحوا العالم وقادوا الحضارة العالمية وحين تخلى العرب عن عقيدتهم تداعت عليهم الامم كما تداعي الاكلة على الشريد » (٥) .

ووافقه فيما ارتآه الكاتب الاسلامي الشهير شكيب ارسلان حيث ناقش هذه القضية باستفاضة واسهاب وارجع انتصارات المسلمين بكاملها الى العامل الديني ووضح اهمية العقيدة في احراز النصر، وقد كتب كل منهما معتبرا باقوال النبي الكريم ومدركا لعظمة الرسالة المحمدية عاملا باوامرها حيث نبّه الرسول الاعظم في كثير من احاديثه الى خطر اضمحلال وتلاشي الدافع الروحي لمواجهة الاعداء حينما قال :

«يوشك ان تتداعى عليكم الامم من كل جانب تداعي الاكلة على القصاع. قالوا : او من قلة من يومئذ يا رسول الله ؟؟ قال لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهل في قلوبكم وينزع من قلوب اعدائكم من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت » .

ولهذا ندرك مما سبق سر الاهتمام الكبير الذي اولاه ولاة الامور للتربية الاسلامية واثرها في اعداد الفرد المقاتل لأن جفاف القلوب من الواعز الديني الدافع لحماية العقيدة والغيرة الدائمة عليلها هو ابرز الاخطار التي تصيب الاسلام وتحسّبا لهذا الخطر رأيناهم يتشددون في اختيار القادة فيفضلون اكثرهم تدينا وتواضعا بين اخوانه وشجاعة في ميادين القتال وصبرًا على الشدائد وزهدًا في الدنيا واقتناعا بقدسية وسمو مبدإ الجهاد في سبيل الله ومن هذا الرعيل الرائد يذكر امين الامة ابو عبيدة بن الجراح الذي وصله كتاب عمر بن الخطاب بتوليه قيادة الجيش الاسلامي في الشام بدلا من خالد بن الوليد فكتم الخبر حتى انتهت الحرب بالنصر المؤزر ثم قدمه في ادب جليل لخالد ولما ساله خالد عن عدم الاخبار بوصول الكتاب والاسراع في تقديمه له اجابه قائلا : «اني كرهت ان اكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد ولا للدنيا نعمل، وكلنا في الله اخوة». واصبح ابو عبيدة بن الجراح امير امراء الجيوش بالشام وترامى الى سمعه ان الناس تهابه وتنبهر بقوته وتفتتن بعظمته فجمعهم وخطب فيهم قائلا :

«ايها الناس اني مسلم من قريش وما منكم من احد احمر او اسود يفضلني إلا وددت لو انني في اهابه » [٦] .

وتتوالى امثلة تتجلى فيها عظمة تلك الجماعة الرائدة في موقف آخر من مواقف الصدق مع الله بالثبات على المبدإ النابع من قوة اليقين واخلاص النية فنجد خالد بن الوليد يتلقى الامر بعزلة بروح المجاهد في سبيل الله الذي لا يهمه الجاه بقدر ما يهمه تحقق النصر او نيل الشهادة فلا يحمل قلبه الضغينة على من جاء ليجني فوائد نصر كان هو محققه، ويقرر عن طيب خاطر متابعة تادية رسالته الجهادية كجندي عادي تحت لواء ابو عبيدة بن الجراح ان هذه الصفات السامية التي يتحلى بها خالد وامثاله لن نستغربها اذا علمنا ان عمر بن الخطاب امتدحهم عندما وجههم لقتال الاعداء بقوله :

«سابعث لكم بقوم يحرصون على الموت اكثر من الحياة»

هكذا فكلما تابعنا دراسة سيرة السلف الصالح العطرة نجد ان التقدمه كانت لرجال الدين الاتقياء في قيادة المقاتلين ثقة في تحقيق النصر على يديهم فإذا مااسترسلنا في استعراضنا لمراحل الجهاد ضد الكفار عبر التاريخ العربي الاسلامي نجد الكثير من الوقائع المشابهة والشخصيات المتماثلة ونجد لأهل الدين فضل حسن القيادة او فضل حسن التوجيه مع قدوة عملية صالحة في جميع الاحوال ولقد تحدث صاحب كتاب (الاسلام والنصر) عن اسباب الانتصارات في معركة حطين المشهورة فقال :

«كانت اسباب النصر كثيرة على راسها قيادة صلاح الدين لأنه وهب حياته للجهاد في سبيل الله، وكانت العقيدة الاسلامية تملأ نفسه ومشاعره يضطرم بها ولا يؤمن بغيرها، وكان وافر الحلم جم التواضع متقشفا في ملبسه وطعامه ينفق كل ماتصل اليه يده في اغراض الجهاد ومصالح المسلمين، لا يهتم بشيء من اغراض هذه الدنيا من مال او قصور او غيرها حتى انه لما توفي لم يخلف مالا ولا عقارا، ولم يجدوا في خزائنه شيئا من الذهب او الفضة سوى دينار واحد وسبعة واربعين درهما وبعد موته فتحوا الصناديق التي كان يحملها معه دائما فوجدوا بها كفنا كان قد اشتراه بكديده وكمية من التراب الذي كان يتراكم فوق ملابسه عقب كل معركة ووصية جاء فيها :

«اكفن بهذا الكفن الذي تعطّر بماء زمزم وزار الكعبة المشرفة وقبر النبي ﷺ وهذا التراب هو من مخلفات ايام الجهاد تصنع منه طابوق يوضع تحت راسي في قبري».

وفي معركة عين جالوت لم يأت النصر نتيجة تفوق المسلمين في العدد او العدة او الخبرة الحربية الكافية وانما جاء النصر العظيم لسبب واحد فقط هو ان قطز ورجاله خرجوا مهاجرين الى الله ورسوله غايتهم الجهاد بالمال والنفس لاحراز النصر او الشهادة وكان الفضل في تقوية معنوياتهم لرجال الدين امثال العز بن عبد السلام وابو الحسن الشاذلي الذين شاركا في المعارك وشحنا نفوس المقاتلين بطاقة معنوية لا تنضب اضف الى ذلك القدوة الطيبة التي اعطاها قادة الجيش لجنودهم بغيرتهم على الاسلام اذ نجد قطز عندما لاحظ تضعضع المسلمين يصرخ صرخته المشهورة «واسلاماه... واسلاماه» ثم يندفع في مقدمة جنوده مقاتلا تعاونه مجموعة القادة المساعدين الشجعان امثال بيبرس وغيره .

ولقد كان النصر في المعركتين يرجع لأمرين هما :
شجاعة القادة وصدق ايمانهم، وعظمة العلماء في ارشادهم. تلك كانت نبذة مختصرة جدا عن انتصارات حققها المسلمون في زمن يبعد كثيرا عن زمن خلافة عمر بي الخطاب، ولكن لاحظنا ان امكنة المعارك تكاد تكون هي نفس الامكنة، وان السبب في تحقق النصر في الحالتين واحد وبين انتصار المسلمين في الشام بقيادة خالد بن الوليد وابي عبيدة بي الجراح، وانتصارهم في حطين وعين جالوت بقيادة صلاح الدين الايوبي وسيف الدين قطز زمن طويل كان فيه ايضا للايمان معارك نصر خالدة والفضل فيها لمن كانت قوة الانمان تملأ جوانحهم ومنهم على سبيل المثال عبد الله ابن السرح وابو المهاجر دينار وزهير بن قيس وحسان بن نعمان وموسى بن نصير وطارق بن زياد ومنهم ايضا عقبة بن نافع الذي قطع رحلة جهاد في سبيل الله طويلة ومضنية فلما وصل المحيط الاطلسي وقف على شاطئه وقال :

«يارب ! لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك اللهم فاشهد اني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر حتى لا يعبد احد من دونك»[٧].

هذا ولو نلتمس الدليل في سر تفردهم بالقيادة وحسن الريادة لوجدناه في كونهم علماء بالعقيدة عمرت نفوسهم وبالايمان تقوت عزائمهم وتتجلى هذه المعطية البارزة في تاريخ الجهاد العربي الاسلامي ضد الاستعمار اعتبارا من النصف الاخير للقرن الثامن عشر الميلادي ايضا يتحدث الكاتب الكبير ارسلان عن سر اشتعال جذوة الجهاد بعد فترة الركود التي اصيب بها المسلمون فيقول : «ان علماء الدين والاولياء كانوا يستثيرون المقاتلين المسلمين ويستنفرونهم للحرب والجهاد»[٨].

ولهذا فإننا بدراستنا لجميع الثورات التي حدثت في الوطن العربي والاسلامي سنجد ان علماء الدين هم قادتها والمسيرون لها فثورة القبائل بالجزائر سنة ١٨٨١ والثورة المهدية في السودان ضد الانجليز وثورة عبد الكريم الخطابي بالمغرب ضد الاسبان وثورات المسلمين في الهند وفي الصين وغيرهما كلها قادها علماء الدين وحققوا انتصارات متعددة كان لها فضل المحافظة على الدين الاسلامي وعلى العروبة ضد حملات المسخ والتشويه والازالة، ولو لم تقم ثورة الجزائر سنة ١٩٥٤م ويقودها رجال متدينون وبعضهم أزهري التعليم وتدفعهم الغيرة على العقيدة والعروبة لما بقي في القطر الجزائري عربي يدين بالاسلام نتيجة لشدة حملة الفرنسة والتغريب والتكفير التي اتبعتها فرنسا في الجزائر اثناء فترة الاحتلال الطويلة لها وقد كان للشعب الليبي الحضور في بعض هذه الثورات انطلاقا من غيرته على الاسلام والمسلمين ومحبة للاستشهاد في سبيل الله او تحقيق النصر على الكفار الذين دنّسوا بعض ديار الاسلام، وليس من التعصب في شيء اذا ذكرت ان بعض الشخصيات الاسلامية التي قادت حركات التحرر والجهاد في الوطن العربي ليبية الاصل او قد استفادت من دروس الجهاد التي طبقها الليبيون على ارض الواقع في بلدهم وقدموا ارواحهم واموالهم عن قناعة في سبيلها.

وللتدليل يذكر ان محمد الباسل الجازوي احد المناضلين مع سعد زغلول وعبد العزيز جاويش احد اعضاء الحزب الوطني في مصر واحد المنضمين الى جماعة تشكيلاتي مخصوصة المدافعة عن الاسلام كانا من اصل ليبي ولليبيين مساهمات معروفة مع المجاهدين في تونس ضد فرنسا وقبلها كان لهم الدور المشرف في مجابهة المد الاستعماري بوسط افريقيا، وسيأتي الحديث عن احمد الشريف وسليمان الباروني وكان لكل منهما الدور البارز في الذود عن العقيدة وحماية المسلمين وتوحيد كلمتهم.

ان معطيات تاريخ الجهاد الاسلامي ضد المعتدين على العقيدة والوطن تؤكد الدور الريادي المتقدم الذي لعبه الليبيون في هذا المجال المشرف ذلك لأن جهاد الليبيين كان هو الاسبق وكان هو الاطول وكان هو الامثل وكما قال احد الزعماء العرب البارزين الذين شاركوا الليبيين جهادهم مدة طويلة :
«ان ليبيا علمت العرب معنى الجهاد».

ولقد استمر حماس الليبيين للدفاع عن ديار الاسلام والعروبة دونما فتور او تقاعس وقدموا ضريبة الانتماء للاسلام والعروبة من دمائهم واموالهم عن طيب خاطر وكان من اشرف المواقف التي تسجل لهم مشاركتهم في حرب فلسطين عقب انتهاء الحرب الليبية الايطالية رغم ظروفهم التي عرفت عند المنصفين والجاحدين على السواء بانها من اقسى الظروف التي تعرض لها شعب مجاهد في سبيل الله.

هذا وان الدارس لاحداث الجهاد الليبي وافعال واقوال قادته ليجد اروع الامثلة واصدقها تشابها وتوافقا مع احداث واقوال وافعال المجاهدين الاول الذين كان للتربية الاسلامية السامية الاثر الفعّال في تنمية وصقل واستمرارية روحهم المعنوية ولقائل ان يقول ان المجاهد البدوي الليبي البسيط لم يكن متعلما ليتفهم تفهما كاملا ما يامر به الاسلام وما ينشده لرفع المعنويات واذكاء روح الجهاد غير ان هذا الاعتراض مع افتراض وجوده حين التمسك بالمثالية الشديدة في التفكير لا ينسحب على اكثرية من قادة الجهاد وهم الذين يسيرون دفة المعارك ويرسمون خططها اما بالنسبة لعامة المجاهدين وهم زاد المعارك فالامر عندهم لم يكن يرقى الى مستوى فلسفة الافكار والتبحر فيها بقدر ما ينظرون الى ان الجهاد واجب مقدس ضد اعداء الدين وان الجنة هي مآل الشهداء وان الدفاع عن العرض والارض يتقدم كافة الواجبات وتهون الارواح والاموال والاولاد رخيصة في سبيله، واذا ما اردنا فهم الخليفة الفكرية لقادة الجهاد والارضية الثقافية التي انبتتهم وكونت منهم هذا الرعيل الرائد في ميادين الجهاد فان حقيقة واضحة وجلية تبرز امامنا في سموخ وسمو تؤكد اثر الدين في تكوينهم ورسوخ العقيدة في نفوسهم مما نتج عنه ثباتهم على المبدإ وصبرهم على الشدائد وشجاعتهم في الملمات وايثارهم لاخوانهم على انفسهم ومواصلتهم للحرب مدة طويلة امام عدو فاقهم عددا وعدة وتدريبا.

يصفهم الرحالة «كنود هولمبو» الذي زار ليبيا إبّان حربها ضد الطليان بانهم «يؤمنون ايمانا مطلقا بالله في جميع الاحوال» وبانهم من حيث التطور الروحي في المرتبة الاولى.[٩]

وهذا الايمان الراسخ الذي يصنع الدافع المستمر والمتنامي للاستبسال في الجهاد هو الذي ادى الى تدوين الصفحات المضيئة للمجاهدين الليبيين وهو ما شهد به الرحالة الاجانب والعرب على السواء وبشهادتهم تستزيد الفكرة التي نرمي الى ابرازه اهميتها وترسيخها قوة فوق قوتها التي هي في الواقع واضحة الظهور شديدة التأثير عظيمة الفعل في كافة احداث الجهاد الليبي وسناتي الآن على دراسة مستفيضة لنماذج من المجاهدين من حيث النتشئة الدينية لكل منهم وسندرك مدى التاثير الفاعل الذي صبغت به هذه التنشئة حياتهم الجهادية فيما بعد.

* بيان اثر الدين *
* كما تبينه سير بعض المجاهدين *

المجاهد احمد الشريف.

ياتي المجاهد احمد الشريف في مقدمة قادة الجهاد ومن اولهم سبقا في ميادينه ولمعرفة السر في ثبات هذا الرجل وشجاعته رغم تكالب الاعداء عليه وتعدّد الجبهات ضده وخذلان البعض له ندرك ان سبب صمود وشدة مضائه وقوة عزيمته هي تاثير الدين في تكوينه الفكري وتمسكه باوامره وبتطبيقها عملا وقولا.

لقد نشأ احمد الشريف وتربى تربية اسلامية خالصة في بيت علم ودين على يدي اساتذة اجلّاء امثال الشيخ محمد المدني التلمساني والشيخ احمد بن عبد القادر الريفي وغيرهما ويتحدث شكيب ارسلان عن نشأة احمد الشريف فيقول:
«كان يقضي سائر الليل في العبادة والتهجد واكثر احاديثه في سير رجال الله وكان كثير الاهتمام بالجهاد والتدريب على فنون الطراد لأنه تلميذ مدرسة اعطت لمبدإ الجهاد في سبيل الله المقام الاول من اهتماماتها».

كما صقلته حياة الصحراء بقساوة ظروفها وكثرة اسفارها لتوليه مهام رحلات عديدة ولمسافات طويلة فنشا غني التجربة واسع المعرفة بامور الحياة الى جاب صدق الايمان والثبات عليه الناتج عن علم وفهم والمترجم بالفعل قبل القول ليس على الصعيد المحلي فحسب بل على الصعيد الاسلامي فقد عرف بانه «البطل الاسلامي المرموق»[١٠].
وعبر عنه القائد التركي انور باشا بانه «الوطني روحا وجسما»[١١].

كما كان هو السبب المباشر في رفع معنويات المجاهدين واستمرار الجهاد «لأن الشعب الليبي كان يدين للسيد احمد الشريف بالولاء العميق فانخرط آلاف من ابنائه في صفوف المجاهدين[١٢].

وفي داخل ليبيا يعرف بانه هو اول من دعا للجهاد ضد فرنسا اولا فلما غزت ايطاليا ليبيا استشار من حوله لصدها ولما

راى من بعضهم عدم التجاوب السريع معه بسبب قلة عدتهم وعددهم وتشعب الجبهات المعادية امامهم خاطبهم بقوله :
لا خيار لنا في ذلك لأن الدين يامرنا بالجهاد دفاعا عن العقيدة والوطن»[١٣].

ونراه يرد على رسالة احد الذين ادعوا العطف على قضية الجهاد الليبي برسالة يقول فيها : «أ ليس في هذه الدنيا اعز لدينا من السلاح والكتب بالسلاح نهزم عدونا وعدوكم وبالكتب يزداد علمنا وهما احرص ما يحرص عليه المسلمون » [١٤] .

ويكرر له نفس الطلب في رسالة ثانية سنة ١٩١١م حيث يقول : «اننا نحتاج الى الاسلحة اكثر من اي شيء آخر»[١٥].

وفي رسالة ثانية سنة ١٩١٢م يؤكد تصميمه القاطع على الجهاد ورفضه لكل المغريات وتصديه لكافة العقبات حيث خاطبه بقوله : «اني لن اسلم رقاب المسلمين للكفار» ثم يتابع معللا لما يقول فيرد في رسالته ما يلي : «حيث ان الرغبة لا تتمش مع العقيدة فقد رفضت كل ما وصلني»[١٦].

وهذا ليس بغريب على السيد احمد الشريف وهو المسلم التقى والرجل الشجاع المخلص الشديد التمسك بآرائه المتصلب في المحافظة عليها في جميع الظروف القاهرة الوقور المترفع عند الهزيمة ولهذا فقد عد عند المسلمين «من اعظم المدافعين عن الملة»[١٧].

ويشرح المؤرخ الطاهر الزاوي سبب تميز احمد الشريف بهذه الصفات فيقول :
«لأنه رجل صقله العلم وهذبته العبادة فعفت نفسه وكبرت همته وانكمشت يده عما للناس فيه حق او شبه حق واخلص عمله لله فتولى توفيقه واطلق السنة الناس بمدحه والثناء عليه»[١٨].

لقد اكد السيد احمد الشريف قولا وعملا النهج الاسلامي والخط الجهادي والموقف الوطني والتمسك بالعفة والالتزام بالنزاهة والصبر على الشدائد منذ بداية الجهاد ضد الغزاة الطليان وذلك رغم طول مدة الصراع ومتناقضاته وتقلب غيره من القادة وفق ظروف الحرب وتغيراتها ففي رسالة الى انور باشا المؤرخة في ٢٩ صفر ١٣٣٥هـ نراه يقول :
«اتى الطليان للوطن وراسلني وأرسل اليّ الاموال الهائلة فرجعتها كلها تعففا وطلبا لرضا الله ورسوله وقمت بمعاضدة الدولة العلية ولله الحمد امرت كافة اهل الوطن وقمت بجهدي بعد ذلك قدمت بنفسي للجهاد».[١٩]

ولقد كان احمد الشريف هو المجاهد البار بقسمه الذي لم يضعف او يتراجع او ينحرف عن المسار او يبيع القضية كما اكدت ذلك احداث الجهاد اللاحقة بملابساتها وفاء بعقده الذي قال فيه : «انني اقسم امام جميع المجاهدين على هذا المصحف والبخاري اني لن انفك اذود عن حياض الاسلام ومجاهدة اعدائه الى النفس الاخير ما دام معي نفر واحد من المجاهدين واذا خانني الجميع وسلموا للعدو اهاجر الى المدينة لاعيش بجوار جدي الاعلى شاكيا الى الله من خيانة الخونة مستنزلا لعنته عليهم الى يوم الدين».[٢٠]

وقد شاءت قدرة الله ان يمتحن بما توقعه في قسمه السابق وان يجد نفسه في احرج المواقف واصعبها ومع ذلك فقد رفض في أباء وشمم وعزة المؤمن وقوته كافة عروض الاغراء واجهض كل المؤامرات التي دبرت ضده وابطل محاولات الاحتواء له وتصدى للاعداء وجها لوجه وتمسك بالمبدإ الذي نذر حياته من اجله، وذلك لأنه كان مشهورا بصلاحه وتقواه وله مكانة عظيمة عند البدو لشدة تمسكه باموة الدين الحنيف ولما بذله من المساعي في محاربة الطليان واجتهاده في تخليص بلاده من ربقة الاحتلال».[٢١]

ولقد تربى في مدرسة احمد الشريف الجهادية المستلهمة والمستندة الى العقيدة الراسخة الكثير من قادة الجهاد في كافة جهات ليبيا ولعل من ابرزهم تاثرا بها والتزاما بخطها عمر المختار وسوف المحمودي وغيرهما وذلك لأنه كانٌ «يرى في نفسه المسؤول امام الله والناس عن قضية الجهاد في ليبيا كلها».[٢٢]

كما امتد تاثير مدرسته الجهادية الى جهات اسلامية في خارج ليبيا حيث استعان به قادة تركيا في حروبهم ضد اليونان وغيرها وهذه مقتطفات من احدى خطبه التي تؤكد ثباته على مبدإ الجهاد وتجنيده لنفسه من اجله طوال حياته فقد خطب فى قادة الجيش الاتراك قائلاً :

«انكم اليوم في ميدان الشرف وانكم الآن بعملكم هذا تعيدون للاسلام عزته ومجده وتنفضون عنه الغبار الذي علق به وتخلدون بطولتكم وتكتبون في صحاف التاريخ الاسلامي اسماءكم بحروف من نور وعليكم ان تتموا هذه الرسالة العظيمة التي كلفتم بها وان تغنموا هذه المكرمة وفقكم الله واعانكم».(٢٣)

ويعترف الاتراك بانفسهم بفضل مدرسة احمد الشريف الجهادية فهذا مصطفى كمال يعرفه في احدى خطبه بانه «مؤسس اول مدرسة للجهاد والمقاومة والدفاع عن النفس والدين والوطن».(٢٤)

وتتجلى استمرارية الخط الجهادي في سيرة احمد الشريف وعمق ايمانه بعقيدته والدفاع عنها في موقفه من صديقه كمال الذي غيّر نهج تركيا الاسلامي وبدّل في سياستها حيث واجهه منتقدا في قوله له :

«اننا والمسلمون لم نناصرك ونقف معك الا لأجل حفظ كيان الدين الاسلامي الذي به انتصرت واكتسبت عطف الشعوب الاسلامية».(٢٥)

وبعد : فإنه يكفي للتدليل على اثر الدين في تشكيل شخصية احمد الشريف ان شعاره في الجهاد هو «الجنة تحت ظلال السيوف، نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين، ياايها الذين آمنوا كونوا انصار الله، ياقومنا اجيبوا داعي الله».

كما يكفي للتدليل على اتساع اثر مدرسة الجهاد الليبية شمولها ونصرتها لقضايا الكفاح الاسلامي ضد اعداء الدين في مناطق كثيرة غير ليبيا فقد اسهم السيد احمد الشريف في إذكاء روح الجهاد واشعل جذوة الدفاع عن العقيدة في اماكن عدة وما جهاد انور باشا في سبيل الاسلام واستشهاده في الدفاع عنه الا لقوة التاثير الذي احدثه احمد الشريف في نفوس الضباط الشبان الاتراك الذين التقوا به في ليبيا على هدف واحد مقدس هو حماية العقيدة والذود عن حياضها».

هذا وتظهر رسائل احمد الشريف التي كتبها في فترة متاخرة من حياته دوره الجهادي على مستوى العالم الاسلامي فهو يلقب نفسه خادم الاسلام والغازي في سبيل مولاه تذكيرا لمن يراسلهم بعظمة الاهداف التي يسعى لتحقيقها واضفاء لصفة الجهاد على اعمالهم واعماله.(٢٦)

كما يتأكد تفرد احمد الشريف في دعوته للجهاد وعظمة شخصيته في ذلك التاثير الذي كان يحدثه في افكار المثقفين المسلمين الذين التقوا به «لأن رؤيته ومحادثته تفرض الاجلال والاحترام».(٢٧)

وحتى اولئك الذين ينحدرون عرقيا من اقصى شمال القارة الاوروبية استطاع بتاثيره الروحي وشخصيته القيادية ان يكسبهم الى صف الجهاد الليبي ومنهم الرحالة المسلم «محمد اسد» الذي استطاع ان يجعله يقسم بان يكون امينا للمجاهدين ذلك القسم الذي قال عنه محمد اسد نفسه :

«لم اشعر في حياتي يوما انني كنت اكثر وثوقا بوعدي مما كنت في تلك اللحظة».(٢٨)

ونتيجة لتوثق المعرفة بينهما ولشدة ايمان محمد اسد بافكار احمد الشريف واعجابه بشخصيته نراه يغامر بحياته سالكا طريق الخطر لينقل للسيد احمد الشريف اخبار المجاهدين في الجبل الاخضر وكان هذا حوالي سنة ١٩٣٠م اي قبيل استشهاد عمر المختار آخر قادة الجهاد واكثرهم ثباتا وصمودا بعام واحد وقبل وفاة احمد الشريف بعامين مما يؤكد رعاية احمد الشريف للمجاهدين وتمسكه بالمبادىء التي استقاها من الاسلام وغرست في شغاف قلبه وانتشت بمحبتها كل ذرة من ذرات جسمه فقدم من اجلها الروح وصارع الاهوال وصبر على شظف العيش وخاض المعترك الصعب بصبر المؤمن وروح البطل.

الشيخ سليمان الباروني :

هو المجاهد الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني من شخصيات الجهاد البارزة في ليبيا وكانت قيادته للجهاد في طرابلس تتزامن مع فترة جهاد السيد احمد الشريف وهو سليل اسرة لها في مجال العلم والمعرفة شان كبير رغم ان الرجل كان اكثر قادة الجهاد تاثرا بالمدنية وتمسكا بها وانفتاحا عليها فان الدارس لتاريخه يدرك خطه الديني الواضح وخاصة في الفترة الاولى من جهاده مما يؤكد اثر التربية الاسلامية فيه وشدة التزامه بما تفرضه عليه عقيدته من واجب للذب عنها والذود عن حماها ولا عجب في ذلك فقد درس في الازهر الشريف وتونس والجزائر وكان كثير الترحال ولا شك ان ذلك اكسبه خبرة وتجربة واهم رحلاته كانت الى بلدة تاهرت الجزائرية حيث درس على علمائها الاباضيين امثال الشيخ محمد بن يوسف الميزابي نحو ثلاث سنوات ورجع ليؤلف كتابه «الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية» ويؤكد شدة عاطفته الدينية وعمله للدفاع عن عقيدته سعيه الدائب لاستغلال

كل السبل التي تحقق له هذا الهدف فهو رغم خلافه السابق مع الاتراك ورغم سجنهم له لمدة من الزمن واستمرار مراقبتهم له لتخوفهم من آرائه الوطنية واهتماماته العلمية فإننا نجده حينما قرر الجهاد ضد الغزاة الطليان يتعاون مع الاتراك باعتبار الخلافة العثمانية تمثل الثقل في العالم الاسلامي ولأنه «يرى الخضوع لها فرضا دينيا يجب اتباعه».(٢٩)

وكان الباروني «يعد من اشد انصارها اخلاصا لا لتكون موقوفة للعثمانيين ولكن لتستمر معقلا للاسلام وسندا له مدى العصور»(٣٠)

«وقد كان الباروني من مؤيدي فكرة الجامعة الاسلامية المتحمسين ذلك لأن الناس جميعا في ذلك الوقت انشغلوا بالجامعة الاسلامية كاستجابة للتحدي الاوروبي وخوفا من اخطاره التي تمثلت في الاطماع الاستعمارية الايطالية في ليبيا»(٣١) .

ونراه يمثل ثبات المؤمن على المبدإ حينما قرّر متابعة الجهاد مخالفا العثمانيين حينما تخلوا عن ليبيا لايطاليا، ويؤكد سليمان الباروني نشاته الدينية واعتزازه بها وكراهيته لاعداء الملة في رسالة المعاتبة التي بعثها الى امير الدولة العثمانية عبد الحميد ومما جاء فيها قوله :

«حكم علي بدون مراجعة بخمس سنين، قلعة بند، ومع ذلك اودعت في سجن المجرمين مع سفلة اليهود والنصارى وقطاع الطرق...» الى ان يقول ــ وهو بيت القصيد ــ «وكاني لست ممن ينسب الى العلم الشريف ولا من بيت عريق المجد محترم في نظر الناس...»(٣٢)

ونرى قوة التربية الايمانية والاعتداد بها ظاهرة الوضوح في نصحه للأمير بقوله : «فما لك الا ان تلتفت لاخرتك وتراقب الله مولاك الذي خولك هذا الملك الباذخ والعز الشامخ» (٣٣) ويرى ان اسمى الفضائل هو التمسك بمبدإ الجهاد فمن قصيدة نضمها في وصف احوال قومه يرد هذا البيت :

صيام قيام لايرون فضيلة * * * سوى خوضهم لله في لجج الدما

ويرد على كاتب ايطالي دعا قومه لسرعة احتلال ليبيا بقصيدة طويلة منها :

نموت اصطبارا في الجهاد ولا نرى * * * جزاء من المولى سوى جنة الخلد

نحب اللقاء لا نبغض الطعن ان يكن * * * نضالا عن الاوطان والدين والمجد(٣٤)

وكان الباروني يتاسف للصراع الدائر بين زعماء الجهاد وهو الصراع الذي شجعه العدو الايطالي واستفاد منه كثيرا في ضرب المجاهدين ببعضهم تطبيقا للخطة الاستعمارية المعروفة «فرق تسد» ولهذا نجد في رسائل الباروني ما يؤكد التمسك باوامر الدين الحنيف فها هو يكاتب عبد-النبي بالخير قائلا : «كدرني ما بلغني من تحشيدكم انتم ومصراتة وترهونة وهذا والله هو عين الخراب الذي يسعى لاجله كل من يريد هلاك هذه البلاد وتشتيتها اصلح الله احوال رجال الوطن ووفقهم الى صالح العمل»(٣٥).

ان موقف الباروني من هذا الخلاف ينطبق عليه قول الله تعالى :

«انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحمون»(٣٦). وكان الباروني يشدد في التركيز على التربية الاسلامية لاولاده كما نجد ذلك في ورقه تخويله لشقيقه يحي الباروني بالوكالة على اهله وماله حيث يقول : «واوصيه بتربيتهم تربية دينية وطنية» كما يفخر بتربيته الدينية الوطنية في رده على رسالة الوالي الايطالي في طرابلس الذي اتهمه بالغدر والتقلب حيث نفى كل ذلك بشدة ثم قال : «ولكني رجل عرفت قيمة الوطن ومعنى الدين ولذة الحرية وفضيلة الشرف» ومما قاله ايضا : «اكره ان ارى الوطني عبدا مملوكا لغيره بحيث لا يملك شيئا من دينه وعرضه فان الموت اسهل والذ طعما من ذلك عندي»(٣٧). وفي رسالة الى احد المتعاونين مع الطليان تظهر بجلاء ووضوح الخلفية الدينية للمجاهد سليمان الباروني فهو يدعوه الى العودة للتحريض على القتال حفاظا على الدين والوطن ونراه يستشهد بالآيات القرآنية دائما مثل الآية الكريمة :

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون»(٣٨). كما يكرر ايراد الآية الشريفة : «اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهيه قلوبهم..(الانبياء) ولأن الشخص المعني قد نعت المجاهدين بمحاربي الدقيق نجده يذكره بالحديث الشريف «اخشوشنوا فان النعم لا تدوم» .

وبتابع مقارنته بين موقف ذلك المتعاون وموقف المجاهدين فيقول في حقهم : «ان التاريخ سيحفظ لهؤلاء المجاهدين عنوان حماة الدين ورجال الوطن، وابطال الوغى، ولا يحفظ لاولئك الا انهم... وعنوان المعتدى على شرفهم واعز شيء عندهم»(٣٩)

ونراه يذكر الضباط والوطنيين ويصفهم في منشوره لهم عقب قيام الجمهورية الطرابلسية بانهم مجاهدون في سبيل الدين والوطن ويتحدث عن معركة ابو عجيلة احدى المعارك العديدة التي خاضها بنفسه فيقول : «ان محاربة ابو عجيلة من اكبر معاركنا وامجدها فيها الشجاعة الكاملة، فيها اروع حقيقة للتضحية والفداء فيها اعظم نصر يمنحه الله للمؤمنين في مثل تلك الميادين المباركة ان اذكرها بشيء لا يزيدني الا ايمانا بقدرة الله وقدسية الجهاد في سبيله»[٤٠]. وفي رده على شكاية وردته من اهله درج بخصوص تعرض قوافلهم للنهب نراه يعلل اسباب تاخيره في الرد عليهم فيقول :

«ما وصلني الخير الا هذه الايام ونحن مشغولون بعدو الدين والوطن حتى قهره الله ولله الفضل»[٤١]. وفي رسالة الى المجاهد خليفة بن عسكر يعلن غبطته وفرحه لتحقيق النصر فيقول : «لا زالت تتواتر اخباركم السارة وانتصاراتكم الباهرة على عدو الله والملة»[٤٢]. وهكذا فلو تتبعنا كتابات ومراسلات المجاهد سليمان الباروني لوجدنا امثلة تتوالى ومواقف تتلاحق تدل بكامل تفاصيلها وملابساتها على عاطفة دينية متاججة ووطنية صادقة اوجدتها تربية اسلامية ونمّاها ورسخها الصراع بين اعداء الحق والحياة من جهة وبين حماة العقيدة وعشاق الحرية من جهة اخرىوفي كتابات واقوال الغير عنالمجاهد سليمان الباروني مايؤكد ويدعم ما ذهبنا اليه فهو كما يقول الكاتب ابو اليقظان الحاج ابراهيم : «من اوائل الليبيين الذين رفعوا شعار الله اكبر الجهاد في سبيل الله»[٤٣].

لقد كان يشجع التعليم ويحث على المعارف ويركّز على التعليم الديني خاصة ولذلك «فقد اسس مدرسة لتحفيظ القرآن بعد ان كاد تعليم القرآن ينقطع» [٤٤]. «كما اسس في مصر مطبعة كان هدفها الاول خدمة الدين» [٤٥]. وذلك لأنه كان شديد الانتباه إلى خطر التفريط في حماية الدين والتمسك بالعقيدة وما ينتج عن ذلك من مشاكل فهو القائل في جريدته : «لما دارت الايام بدوران الدهر وغيرت الطبائع باختلاط اصناف البشر وقع التساهل في اثر الدين وانحلت عرى الاتحاد وساد الشقاق وفشي الاستبداد» [٤٦]. ان مجمل

الانطباعات التي يخرج بها الدارس لتاريخ المجاهد سليمان الباروني تعطي فكرة كاملة الوضوح عن نشأة دينية حقيقية حددتها توجهاته واصطبغت بها اقواله وتميزت بها ممارساته فقد كان يعبيء القوى الروحية للافراد قبل دخوله المعارك واظهر مقدرة وغيرة دينية واضحة على الاسلام والمسلمين ليس في ليبيا فحسب بل وفي اماكن اخرى عديدة من العالم الاسلامي وذلك عندما هاجر بدينه مفضلا حياة التغرب ومشاقه على الرضوخ للاعداء ورغم رأى البعض في افكاره واتجاهاته في بعض فترات جهاده واتصاله الفعلي بالطليان فان الذي يهمني اثباته ان مراحل الاشراق والفخر في تاريخه صنعتها تربيته الدينية عندما كان متمسكا الى ابعد حد بموقف المؤمن المدافع عن عقيدته الثابت في مواقفه ثم كان للسياسة وماتقتضيه وتفرضه على من ينغمس فيها ومتناقضات الحرب الطويلة وتغيرات المواقف تاثيرا بينا في مواقفه اللاحقة وليس من مستهدفات هذا البحث تقصي عثراته او تعديد محاسنه — وهي كثيرة — بقدر ما يهمني اثبات اثر الدين في اغلب توجهاته واعماله وذلك ما يظهر بوضوح وجلاء في دراستنا لتاريخه اذ لولا التربية الدينية وشدة فعاليتها في تشكيل شخصيته ما قاوم مصاعب الايام واهوال الحروب وشدائد الغربة.

المجاهد عبد النبي بالخير :

يبدو المجاهد عبد النبي بالخير للمطلع على تاريخ حياته من السياسيين الذين انفتحوا على التعليم العصري وخبروا بالتجربة والصحبة شؤون السياسة وتقلباتها الا ان نشاته ارتكزت على التعليم الديني في بدايتها واصطبغت الكثير من اعماله بصبغة تؤكد اثر النشاة الدينية في تشكيل شخصيته ومن دراستنا للوقائع التاريخية والاقوال المنسوبة اليه سندرك مصداقية ما ذهبنا اليه هنا : فقد رد عبد النبي بالخير على الاتهام الذي واجهه به صديق عمره المجاهد عبد السلام حقيق بان مصدر امواله من اهالي ورفله فاقسم له بالله وبكافة الاولياء بان مصدر ثرائه مرجعه لاجتهاده الخاص في تصريف التجارة ولصلته باهل المدن من اتراك وغيرهم، ونستخلص من المجاهرة بالاتهام من طرف اقرب الاصدقاء إليه وسرعة الرد بالقسم بالله المؤكد مرتين من جانبه — مع ما له من مكانه — بان الخوف من عقاب الله والتمسك باخلاق الاسلام من اهم الواجبات المقدسة عندهما كما ورد في ثنايا هذه القضية. فالصديق لم يخش من عاقبة الاتهام لرجل له هيبته وصولته والرد كان يعني استشعار الوزر فيما لو كانت الثروة قد خالطها الحرام، كما كان عبد النبي بالخير يعتقد في الاولياء ويؤكد على صلتهم بالله وله مبادرات معروفة في نجدة المظلوم ومعاونة المكروب اذ طلب منه احدهم مساعدته في ارجاع دابة مسروقة فجد في الامر «ولم يسترح حتى اعادها اليه». وللحيوانات اهميتها في ذلك الوقت وخاصة الابل والخيل [٤٧] .

ان خلاصة احاديث الرواة لسيرة حياته تصفه بانه كان يتمتع بالاخلاق الاسلامية العالية كالشجاعة والكرم وضبط النفس والتواضع والترفع عن القتل والراي الحصيف[٤٨] ومن المعروف عنه انه قال عندما اعلموه بالقبض على رمضان السويحلي «ان

واجبي بصفتي مسلم يقضي عليّ بالعفو عنه وذلك رغم الخلاف المستفحل الذي كان بينهما[٤٩] ويظهر حرص عبد النبي بالخير على التمسك بالشرع الشريف وعمله على تطبيقه في هذه الرسالة التي بعثها الى احد رجاله وجاء فيها قوله : «ذو الفتوى والمكرمة الشيخ العالم محمد افندي بن عبد الواحد وفقه المولى امين بناء على تقليد جنابكم لوظيفة الفتوى لقضاء الشاطىء فقد صار تجديد وتمديد وظيفكم بالقضاء المذكور حيث انكم احد المتنورين في العلوم المطلوبة المرشدة الى سبيل الهدى ونظرا للاحوال الجارية بمناسبة الزمان والمكان فإن عموم اللواء اشد لزوما لتلك الوظيفة ونتمنى من جنابكم التوفيق بانتشار الشرع الشريف في عموم اللواء انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وربنا بوفقنا لما فيه مصلحة البلاد ولذلك حرر في شوال سنة ١٣٤٤ (ابريل ١٩٢٦م) متصرف لواء فزان عبد النبي بالخير[٥٠]. ومن شهادات الاعداء فيه قول قراتسياني عنه :

«كان عبد النبي بالخير مكارا حاذقا عندما اعلن ارتباطه واخلاصه للحكومة الايطالية ومن الممكن القول بانه روح الثورة والعصيان»[٥١] وقوله ايضا : «كان في الاتصالات التي تمت بينه وبين سلطاتنا السياسية يحاول كسب الوقت، وبينما كان يعمل على ان يذيع بين رجاله انه على اتفاق مع الحكومة، وفي مفاوضات معها كانت نيته لا يستطيع احد ادراكها ولا يعرفها حتى اخلص خلصائه» [٥٢]. اما ما قيل فيه من بعض الكتاب فان محمد القشاط مثلا يصفه بالحنكة والدهاء لانه اخذ السلاح من الطليان بحجة مساعدتهم قبيل معركة القرضابية الشهيرة ثم تخلى عنهم فكان ذلك من الاسباب التي ادت الى الانتصار المشهور للمجاهدين الليبيين في تلك المعركة.[٥٣]

ولعل من اهم مواقفه التي تبلغ القمة في الخلق الاسلامي هو ايثاره لرفاقه على نفسه بجرعات الماء الاخيرة في احلك لحظات حياته بؤسا عندما واجه الموت عطشا في البيداء القاحلة في آخر رحلة له عندما خرج مهاجرا بدينه واهله ودفع حياته ثمنا فداء لحياة اصحابه مما ينطبق عليه قول الله تعالى :

«ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون»[٥٤]. ومن المعروف عن عبد النبي بالخير أنه من السياسيين البارزين ونتيجة لطول مدة الحرب الليبية الايطالية والمتناقضات التي زخرت بها فقد ادت به متطلبات السياسة التي انتهجها الى اتخاذ مواقف عُدت عليه من البعض حيدة عن الصواب غير انني هنا لست في مجال التبرئة لساحته كما انني لست في مجال مدحه فذالك تكفل به المحللون للاحداث التاريخية وموضوع بحثنا تاكيد فكرة وليس تاريخا تفصيليا للحوادث والاشخاص فالذي يهمني ان عبد النبي بالخير وهو احد قادة الجهاد بالطبع قد تلقى الثقافة الاسلامية التي اثرت بالتاكيد على سيرته الجهادية فالمصادر تؤكد انه حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ السامح ميلاد بمسجد الصيعان ونشأ في بيئة متشبثة بالدين متمسكة باوامره متصفة بالفروسية وحسن الرماية كما انه ارتحل الى زليطن وهي بقعة ذائعة الصيت في العلوم الدينية حيث واصل تعليمه بها على يد مشائخ أسرة آل الفطيس التي لها في مجال العلم شهرتها وقد جمع عبد النبي بالخير الى جانب علوم الدين العلوم العصرية بدراسته في معهد الرشدية بطرابلس.

المجاهد الشاب سعدون السويحلي :

تحدثت في السابق عن النشاة الدينية لثلاثة من المجاهدين من كبار السن الذين كان لهم في الجهاد سبق البداية هذا وان استمرار اشتعال جذوة الجهاد في سبيل الله على الارض الليبية طوال سنوات الكفاح يؤكد تتابع ظهور قيادات من مختلف الاعمار تعشق الموت دفاعا عن الحق وتؤكد بالفعل وعلى صعيد الواقع والممارسة رسوخ مبدإ الجهاد في نفوس الليبيين، وهذا سعدون السويحلي يعطي المثل الاعظم ويؤكد تطلعات شباب ذلك الوقت الى التضحية في سبيل العقيدة والوطن فاذا كان عمر المختار هو شيخ الشهداء فان سعدون السويحلي هو شاب الشهداء فما هي البيئة التي عاش فيها وما هو التعليم الذي تلقاه والذي بدون شك لا بد وان يكون قد اسهم في تشكيل شخصيته ؟ لقد كان ابن بيئة تهوى الفروسية وتعشق النزال ، بيئة لا تعترف بمواقف الضعف وتجل الاقوياء في الجسم والعزم وهو وان لم يصب من العلم الكثير لعزوفه من روتينية الدراسة الا ان مقدرته الفائقة على القيادة ظهرت في سن مبكرة فقد كان مهاب الجانب قوي التأثير فولاذي الارادة يفرض احترامه على الجميع لقد «كان الشاب من النوع الذي تدخره الايام للقيام بدور على مسرح الوجود»[٥٥]. ويصفه الضباط الذين كانوا معه بانه : (فدائي من طراز فريد وشجاعته ليس لها مثيل على الاطلاق وهيبته تخلب الالباب وتجعل الواقف امامه في حالة رهبة وامتثال لاي امر قد يصدر عنه[٥٦]. ان القول بان سعدون لم يصب الكثير من العلم لا يعني قصوره في هذا المجال ولن يؤثر على دوره القيادي البارز في ميادين القتال كما سوف نرى لاسباب عدة اولها : ان الكثير من الكفاءات العلمية والعسكرية

ظهرت من بين أولئك الذين تلقوا تعليما متوسطا، وثانيها : ان ارادة القتال التي تميز بها شعب ليبيا ــ وسعدون من أبرز قادته الشباب ــ لم يكن منبعها ــ عند الغالبية العظمى ــ الدراسة المستفيضة المتعمقة في مبدإ الجهاد بقدر ما هي محبة عفوية صادقة لنصرة الاسلام وحفظ العقيدة وصون الحرمات وهذا ما تميز به جهاد البطل سعدون السويحلي وهو ما تعوده في بيئته وعايشه في قومه، وثالثها وهو الاهم ان دراسة سعدون كانت رغم قصر مدتها كافية بالطبع لاعطائه المعارف الضرورية لمجابهة احداث الحياة، والعلم يزكو مع استمرار الزمن والتجارب لها فعلها في اكساب المزيد من الخبرات والفهم وامكانية التعليم قائمة دائمة ودليل ذلك هو تعلم سعدون للايطالية عندما كان في سجن كورسيكا وكان يجمع الى جانب الثقافة ميزات قيادية واضحة اذ وصفوه فقالوا :

«كان يبسط سلطانه وسيطرته بقوة شخصيته حتى على من هو اكبر منه سنا»[٥٧]. هذا ولا جدال مطلقا في قوة التاثير الذي تحدثه الثقافة الاولية التي يتلقاها الفرد في مستقبل حياته ولا يمكن لنا وفقا لذلك الا ان نرجع اعماله لهذه النشاة ونشاة سعدون بالطبع كانت نشاة دينية فقد درس في جامع الفحول بزاوية المحجوب وفي المدرسة الدينية بمصراتة وبهما تلقى التعليم الاول ثم القرآن الكريم وعلوم الشريعة وقد تبين اثر التنشئة الدينية في تشكيل شخصية سعدون في جمعه للمجاهدين في احرج الظروف عندما وقعت معركة قصر احمد سنة ١٩٢٢م بمصراتة وعندما كان الناس في حيرة من امرهم بسبب نزول الحملة الايطالية في الميناء وغياب حاكم مصراتة احمد السويحلي في مهمة بنواحي سرت يقول مؤلف كتاب سعدون : «لقد كان لمقدم هذا الشاب مع فرسانه وقعا رهيبا في النفوس واثرا بالغا في صفوف المجاهدين»[٥٨].

ويذكر المؤرخ خليفة التليسي المعارك التي قادها سعدون في مصراتة سنة ١٩٢٢م فيقول : «تعترف المصادر الايطالية بان مقاومة المجاهدين في هذه المرحلة قد اخذت في التزايد والتصاعد حتى اصبحت تشكل خطورة واضحة على وضع الحامية وحاول «الكونت فولبي» نفسه النزول مرتين الى البر الا ان رصاص المجاهدين قد رده عن ذلك[٥٩].

وبينما كان المجاهدون يستعدون لاستئناف الجهاد جاء الى سعدون وفد المفاوضة الايطالي ورغم معرفته باهوال الحرب ودقة الموقف وخطورة القرار نجده يجيب بقوله «سنجاهد... سنقاتل» ومن مواقفه كقائد متميز بالثبات على المبدإ ايضا رفضه للانساحاب واستحسانه لرأي الضابط الهادي الزريدي برفض سياسة المسايرة واحلال الروح العسكرية بدلها فقد خاطب سعدون صديقه في النضال الزريدي وهو في قمة حماسه وسروره لموافقته له في الراي والهدف بقوله «كلنا نريد الجهاد شروطك مقبولة»[٦٠]. وكان الزريدي هذا يشترط تشددا اكثر وتنظيما صارما في مواجهة العدو ويدل على الحمية الاسلامية والوطنية الصادقة موقف سعدون من اهل قماطة ونجدته لهم رغم الموقف العسير الذي كانت تعيشه منطقته المهددة ايضا بغزو الطليان، وقد تحرك بالفعل في حوالي الف مقاتل لنجدة اهل قماطة الذين اجتاحتهم باندة المرتزقة فاستشهد منهم ثلاثمائة وخمسون نفرا. لقد عزّ على سعدون ان ترتدي نساء قماطة اللباس الابيض حدادا على الشهداء ولا يسارع هو لنجدتهن. انها الغيرة على الاسلام والشرف ونجدة المسلم لأخيه المسلم وليست دافعا ماديا ومكسبا دنويا وانما هو الجهاد الصادق في اسمى صوره فلقد قال لجنوده بالحرف الواحد : «اخواني امامنا قوة من العدو وهي اكبر في العدد والعدة ودفاعنا عن وطننا وفي سبيل الله والحق اما هذه القوة فهي (باندة) مرتزقة بائعين انفسهم (بفلوس) فلا ترهبوا كثرتهم»[٦١]. ثم قال لهم : «كل واحد يفكر في نفسه الروح بيد الله لا هي بيد (الباندة) ولا الطليان ولا الاحباش. اخواني : لا تهابوا الموت في سبيل الله»[٦٢]. ان ايمان سعدون البطل بعدالة قضية الدفاع عن العقيدة والوطن من الامور التي تسجل بمداد من نور له ولجيله المقدام. كان سعدون في اسوإ لحظات حياته بؤسا وحوله هياكل بشرية لمجموعات من الاهالي والمجاهدين فضّلوا الخروج من مدينتهم مصراتة على الوقوع في يد منتهكي الحرمات ومشوهي الشرف من الباندة والطليان والاحباش مجموعات خاضت معركة ضارية ضد دامت اكثر من عشرين يوما متواصلة سخرت ايطاليا فيها لحربهم اكبر القطع البحرية الحربية والاعداد الهائلة من الجنود وآليات الحرب.

كانت هذه المجموعات قد فضلت الجوع والعطش والمتاعب على الاستكانة للذل واستحسنت قيض الصحراء على كسب القوت بالتفريط في الشرف وكان الجوع ينشب في القوم اظافره والذخيرة قليلة ان لم تكن منعدمة ومع ذلك تأبى قوة الايمان الّا تبرز صريحة في كلمات هذا الرجل القائد المؤمن وهو في اكثر ايام حياته هولا وشدة فهو يخاطب المجاهدين الذين رأوا الدموع تترقرق في عينيه لاول مرة منذ معرفتهم له قائلا :

«نحن ان شاء الله قاصدين الجهاد الى آخر نفس من اراد التوجه الى مصر او تونس هو حر ومن اراد ان يمضي معي في الجهاد فانا سنجاهد»[٦٣] ان الكلمات التي نطق بها سعدون قد قال مثلها نظيره في الثبات على المبدإ ومثيله في الشجاعة والاقدام البطل القومي الاسلامي الخالد عمر المختار وكان هذا في فترة لاحقة عندما جاءه من يقول له «اننا في اسوإ ايام حربنا مع العدو، فلا قوت عندنا ولا ذخيرة بأيدينا ولا طريق لجلبهما فما العمل ؟ فاجاب المختار في ايمان قوي قائلا : «لن ابرح الجبل الاخضر

حتى احقق النصر او تتوارى لحيتي فيه»[٦٤]. ولقد وصف رفاق سعدون قائدهم البطل في آخر معاركه واشدها هولا معركة المشرك ١٩٢٣م فقالوا : (كان رحمه الله في هذا اليوم كالصاعقة يخترق صفوف الاعداء في شجاعة ليس لها نظير وقد رفض بشدة توسلات المجاهدين والضباط في ان يبقى خلف الصفوف واصر على ان يكون في المقدمة)[٦٥]. خطب سعدون في الجموع المتواجدة معه قبيل نشوب المعركة بقليل فقال :

«اخواني من اراد ان يتصل باهله ويروح للبلاد فهو في حال مأذون بشرط الا يصحب معه سلاحه ومن اراد ان يذهب معي فلا يلوم علي لأن المرحلة يا اخواني طويلة وشاقة لا يوجد لنا مكان نستقر فيه... ومن اراد ان يبقى فليبق بسلاحه» ولما كرر قوله : من اراد ان يسلم نفسه ويعود للبلاد فعليه الامان» اجابته الجموع في نفس واحد مع ارتفاع ١٣٠٠ يد : نقاتل نقاتل في سبيل الله والوطن»[٦٦] عندها قرر خوض المعركة وقتل تحته جوادان وظهر امام رفاقه في هذه المعركة مصمما على نيل الشهادة.

لقد كان لسان حاله والمعركة محتدمة يردد قول عمرو بن الجموح في معركة احد : «اللّهم ارزقني الشهادة ولا تردني الى اهلي» او قول البراء بن مالك حينما تكالبت عليه جيوش الشرك وحوصر هو وقومه «يا اهل المدينة لا مدينة لكم اليوم انما هو لله والجنة» قال تعالى : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد»[٦٧].

محمد عبد الله اليوسفي :

ابن قبيلة بدوية عرّكتها التجارب وصقلتها المحن. قبيلة لها من الحمية الاسلامية النصيب الاوفر وفي الجهاد ضد الكفر اعظم الذكر فقد كان يخشاها العدو ويحسب لها الف حساب حيث يقول عنها المستشرق الايطالي «انسباتو» في مذكراته ما يلي :

«تحولت قيادة الثورة في منطقة سرت وفزان الى عائلة محمد بن عبد الله البوسيفي من أولاد أبو سيف وهم من الاشراف.»

الى ان يقول : «ويحتمل انبعاث القوة علينا بقوة وعنف بالنظر الى وزن هؤلاء الاشخاص»[٦٨].

وتجمع المصادر على ان محمد بن عبد الله البوسيفي وقبيلته كانوا اول من يلبي نداء الجهاد في سبيل الله عندما وصل الغزاة الطليان طرابلس سنة ١٩١١م اذ يذكرهم الرحالة والصحفي الفرنسي «جورج ريمون» ويشيد بكفاءتهم في اصابة الاهداف ومن المعلوم ان هذا الصحفي زار ليبيا وتجول في محلات ومعسكرات القتال بغرب ليبيا وشرقها في سنة ١٩١٢م[٦٩].

كما تجمع المصادر على ان محمد بن عبد الله البوسيفي كان من الرافضين لسياسة المهادنة مع الاعداء وقد فضّل القتال عقب الانقسام الذي حصل في قيادات الجهاد بعد تخلي الاتراك عن ليبيا وخاض بقبيلته معركة الاصابعة بناحية جندوبة سنة ١٩١٣م.

ورغم الهزيمة التي مني بها المجاهدون والتي ادتَ الى هجرة ابرز قادة الجهاد في طرابلس امثال الباروني ومحمد سوف الى تونس فاننا نجد البوسيفي يثبت في الميدان وحيدا ويتوجه الى فزان استعدادا لخوض الجهاد مجددا وكان موقفه دليل الوطنية الصادقة والعقلية الراجحة اذ ان الذين هاجروا تجشموا من المتاعب ما لم يكن في الحسبان ولقد كان البوسيفي محبوبا ومن المخلصين الحقيقيين لقضية الجهاد ولهذا فقد حارب في صفه وتحت علم قيادته الكثير من المجاهدين من غير قبيلته ومنهم بعض ابناء ورفلة والزنتان والمقارحة وغيرهم ثبتوا جميعا في الجهاد رافضين الاستسلام والهجرة حتى لقي الكثير منهم الشهادة في سبيل الله ولم يساور البوسيفي ومجموعات المجاهدين الذين صمدوا معه اي شك في سلامة موقفهم وحسن رايهم وصدق فيهم قول الله تعالى :

«انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون»[٧٠].

يشيد المؤرخ الطاهر الزاوي بشجاعة اولاد ابو سيف في معركة جندوبة فيقول : «اظهر اولاد ابو سيف بطولة نادرة في هذه المعركة من ناحية الرابطة واقبل الليل بظلامه، وقد رجحت كفه المجاهدين في الرابطة»[٧١]. ومن هذا يتضح ان اولاد ابو سيف كان لهم شرف الاستبسال والدفاع عن مواقعهم والاستماتة في صد العدو عنها.

ان اولاد ابو سيف كانوا كتيبة دم وفصائل تحرر ينطلقون لحماية العقيدة كالاعصار وكان قائدهم يرى الجهاد بابا من ابواب الجنة وطريقا يوصل الى النعيم انه البدوي الأبي الذي يبتغي بقتاله مرضاة الله وانتصار بلده وصيانة شرف مواطنيه واعراضهم ولذلك لم تفت في عضده المصاعب الشائكة والشدائد المتوالية فلم يوصف بالحيدة عن المبدإ او التحول عن الهدف او التولي او النكوص عن الجهاد قدوته في ذلك رجال الجهاد من السلف الصالح الذين رزقوا ايمانا راسخا بعظمة الجهاد في سبيل الله فاوقفوا حياتهم بكاملها من اجله وفي سبيله.

يحدث المؤرخ خليفة التليسي عن البوسيفي فيقول :

«كان المجاهد محمد بن عبد الله البوسيفي في طليعة القادة والزعماء الذين رفضوا مبدإ قبول الصلح مع ايطاليا واعلن عزمه على الاستمرار في المقاومة واتخذ طريقه هو ورجاله نحو القبلة والجنوب وقد كان محمد بن عبد الله اليوسفي في هذه الفترة ابرز زعامة للمقاومة اذ اخذ على عاتقه مهمة النهوض بعبء التصدي لقوات «مياني» الكبيرة القوية الزاحفة نحو فزان وكان (مياني) يضع في حساباته في كل مرحلة من مراحل حملته هذه القوة التي انتظمت حول محمد بن عبد الله اليوسفي وكان وجود هذه القوة في خطوط الحملة من الاسباب التي ادت الى اطالة اقامته في سوكنه واخرته عن سيره»[٧٢].

ورغم ان محمد بن عبد الله اليوسفي استشهد في موقعة المحروقة سنة ١٩١٣م بعد ان ابلى بلاءا عظيما وخاض معركة من اشرس المعارك فاننا نجد رفاقه يواصلون بهمة ووفاء السير على طريق النضال الذي بداه بعزيمة لا تعرف الخور ونفوس يتلألأ فيها الايمان وتعمر بالفداء والتضحية فقد كانوا السبب في اجلاء الطليان إنهائيا عن فزان وكان من اشهر وقائعهم ضد الطليان بعد موته معركة قلعة القاهرة بسببها والتي قادها احد رفاقه في الجهاد البطل سالم بن عبد النبي الزنتاني الناكوع وقتل فيها القائد الايطالي النقيب (ميلوريني) سنة ١٩١٤م ويرى المؤرخ التليسي ان هذه المعركة هي السبب في حدوث معركتين لاحقتين لها اراد الطليان بهما الانتقام لهزيمتهم في فزان فباءوا بالخسران فيهما ايضا وهما معركة وادي وسيط سنة ١٩١٥م ومعركة القرضابية سنة ١٩١٥م.

وبذلك نقر بالفضل ونذكر بالاجلال البطل المؤمن اليوسفي الذي امتد تاثير فعله في الاحداث والوقائع المتلاحقة تباعا فكان له الحضور المؤثر والفاعل في كامل تفاصيلها في حياته وبعد مماته وفاز بالحسنيين في الحالتين وترك من بعده رجالا تعودوا رفض الضيم واحتقار الخنوع وتبذ المهادنة كما هو حالهم عندما كان موجودا بينهم.

يذكر المؤرخ الزاوي عن اولاد بوسيف انهم عندما توجهوا الى منطقة سرت من الجنوب توقّع الطليان منهم الخضوع والتهافت عليهم غير انهم لم يفعلوا «وابت عليهم نفوسهم ان يتقدموا اليهم»[٧٣].

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل حاربوا الطليان عندما خرجوا لتاديبهم وارجعوهم الى مواقعهم خاسرين.

ويشهد لهم بالشجاعة ايضا المؤرخ الدكتور محمد فؤاد شكري فيقول : «كان اولاد ابوسيف من العرب الشجعان حاربت قبائلهم الطليان ودفعتهم عن هذه البلاد»[٧٤].

ويرى محمد الاخضر العيساوي ان اولاد ابوسيف هم السبب الاول في توجه المجاهدين من شرق ليبيا واتحادهم مع اخوانهم بغربها في معركة القرضابية الشهيرة التي تعد من اكثر معارك الجهاد الليبي اشراقا وفخرا.

ويقول العيساوي : «كتب بعض القبائل الطرابلسية وهم اولاد ابوسيف إلى السيد احمد الشريف يطلب منه ارسال جيش من السنوسيين الى الجهة الغربية ليخلص البلاد من العدو»[٧٥].

ان قبيلة اولاد ابوسيف وكل الذين آزروهم وتوحدوا معهم او نسجوا على منوالهم يستحقون وقفة انصاف ذلك لأن الثبات على مبدإ الجهاد لحماية العقيدة بما يتطلبه من ترويض للنفس وصبر على الشدة وتضحية في سبيل المثل العليا قل ان يسود بين جمع كبير من الناس كما وجد وساد بين افراد قبيلة اولاد ابوسيف على كثرة عددهم بينما نجده على مستوى الافراد كما هو الحال في سير مجاهدين صادقين في ثباتهم على المبدإ رغم تشعب الاتجاهات وطول المعاناة وقسوتها.

يتردد في الامثال الشعبية عندنا مثل حكيم هو (الرجل يعز القبيلة والقبيلة لا تعز الرجل) وينطبق هذا على سيرة اليوسفي فهو رجل به تعتز قبيلته وتفخر لأنها انجبته فصنع لها تاريخا مشرفا بترسيخه لمبدا الجهاد في نفوس افرادها واستطاع ان يخلق منها مجموعة رافضة للضيم كارهة للكفر عاشقة للحرية مواصلة للقتال عاملة على توحيد الجهود بين المقاتلين.

ان البوسيفي بمواقفه الوطنية الرائعة اكد ان البادية في طيبتها وعفويتها وبساطتها وبعدها عن تيارات السياسة ومسالكها الصعبة واعتمادها لمبدا الجهاد كرها للكفر ومحبة في الاستشهاد قادرة على صنع التاريخ متميزة بالنفس الطويل والصبر في مواجهة الاعداء، وقد كان اليوسفي رجل حرب وليس رجل سياسة وذلك هو شان المجاهد الصادق لأن سراديب السياسة تقتل روح النضال وكان

مقاتلا بالفطرة والمنشأ فلما ابتليت البلاد بالغزو الايطالي وكان جهاده ثورة مسلم ضد الكافرين اعداء الاسلام ومحبة في نيل احدى الحسنتين لا طمعا في جاه ولا سعيا وراء منصب ولا رغبة في مكسب مادي ولا تكالبا على مغنم دنيوي شانه في ذلك شان السواد الاعظم من المجاهدين الصادقين الذين تركوا الاهل والدار وقدموا مالهم وارواحهم في سبيل قضية الجهاد وسارعوا من مسافات بعيدة لنيل شرف الاستشهاد في كافة التراب الليبي لم تفسدهم الاقليمية الضيقة ولا القبلية الممقوتة ولم تؤثر فيهم سياسة التفريق والتمزيق واحياء النزاعات التي طبقها المستعمرون الطليان ونجحت مع البغض بل كانوا اكثر فهما لطبيعة الاحداث وملابساتها فارتفعوا فوق صغائر الامور والتمسوا النصر في توحيد الاهداف ولبنادق والوقوف صفا واحدا متراصا ضد العدو مسترشدين في ذلك بقول الله تعالى :

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[٧٦]، وقول الرسول الكريم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه ازر بعض).

شيخ الشهداء البطل عمر المختار :

لقد ارتايت ان اترك الحديث عن البطل عمر المختار لآخر هذا الفصل لأنه ابرز حماة العقيدة واعظم المدافعين عنها ولقد ثبت في احلك سنوات الحرب واشدها هولا وحتى آخر لحظة في حياته لأنه قاد فصائل الرفض المطلق لسيادة الكفار على ارض ليبيا وامدهم من عزمه وروحه الايمانية بزاد الصبر على الشدائد والمكاره فتابعوا الجهاد معه حتى تقطعت بهم السبل وضاقت الارض الليبية بالاعداء، وحرموا السلاح والكساء والغذاء .

لو قصرت حديثي في هذا الفصل على عمر المختار لوحده لاغتنيت واكتفيت فهو من اول المجاهدين وآخر من القى السلاح من القادة مرغما واسيرا ومتخنا بالجراح وهو رمز النضال وقطب الجهاد تمثل في شخصه الجهاد الصادق من اجل العقيدة ودليل ذلك حربه للفرنسيين في الاراضي الافريقية الواقعة جنوب ليبيا ومسارعته لتلبية نداء السيد احمد الشريف لمواجهة غزو الطليان لشمال ليبيا.

انه رمز التضحية في اسمى وابهى صورها فحياته زاخرة بمواقف الصمود في وجه اعداء الاسلام وحميته للحق مضرب الامثال وثباته على المبدا يعجز عن تصويره كل مقال.

فان كانت ليبيا في مجال الجهاد رائدة العرب والمسلمين فان عمر المختار لجموع ابطالها هو مدرسة الجهاد التي استمدت قوتها من مبادىء الاسلام التي نشا عمر المختار في رحابها بصحبته لقوم قدسوا مبدا الجهاد وسخروا انفسهم لحماية العقيدة والذود عنها وعلى راسهم ياتي المجاهد الاسلامي العنيد احمد الشريف. كانت نشأة عمر المختار في بيئة بدوية تعيش على الكفاف وتعشق النزال وتمارس القتال دفعا للظلم احيانا بحكم ظروف الحياة السائدة حينها وتلك بيئة تصقل الرجال وتؤهلهم لتحمل اقسى التبعات واصعبها في مستقبل ايامهم. ان حياة الصراع القبلي اكسبته مقدرة على اقتحام المخاطر فيما بعد وكثرة الرحلات والمهام التي كلف بها وهو في مقتبل العمر زودته بخبرات غنية ومفيدة فقد كانت له مقدرة فائقة على فض الخصومات ومعرفة بالطب الشعبي واهتماما بالانساب القبلية وخبرة بمسالك الصحراء ومنافذ الجبال بحكم اسفاره العديدة مع القوافل التجارية التي كانت تقطع «صحراء ليبيا الجنوبية»[٧٧]. وهذه الصفات في مجملها زودته بها حياة البادية فاهلته بذلك لتحمل التبعات الجسام التي القتها الاقدار عل كاهله فيما بعد غير ان اهم انواع التعليم جاءته من دراسته بالزاويا.

وقد كانت في ذلك الزمن تعد الافراد اعدادا علميا ومهنيا وتركز على النواحي الدينية ولا تهمل الامور الدنيوية. ان الطريقة السنوسية في سنوات ظهورها الاولى بالتاكيد هي اكثر الطرق ابتعادا عن الدروشة والاغراق في الصوفية ولم تكن كتبية صرفة بل كانت تجمع بين ما تتطلبه الحياة من اعداد واستعداد ومهارات تحسبا للمخاطر وبين ما يؤكد بالفعل والقول فهم الناس للاسلام على حقيقته كما جاء به القرآن الكريم ولم تكن مغالية في التدين لان الاسلام لم يبخس الحواس حقها كما انه هيأ الروح لبلوغ كمالها قال تعالى :

«وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك»[٧٧ مكرر].

وقد كان للسنوسية فضل احياء الاسلام وتجديده بعد ان مرت به فترات من النسيان والفقد والجهل التدريجي، وكانت الغيرة على الاسلام والدفاع عن العقيدة من اقدس الواجبات التي احيتها ورسختها واخلصت في تعميقها في نفوس الناس فنهضوا بها لأنها اصيلة متاصلة في نفوسهم وكان للطريقة السنوسية دورها الهام في احيائها والتذكير بها وتثبيتها. وكان لها ايضا الاثر

في حركة الجهاد ولكن الجهاد كان يقوم على اكتاف مجاميع الليبيين المتسلحين بالايمان القومي. ان العقل لا يمكنه تصور متابعة الجهاد بوجود معضلات كالمرض والفقر والجوع وقلة السلاح وظهور فكرة التفوق الأوروبي ولكن قوة العقيدة اجتازت جميع المعوقات وهذه ميزة الجهاد الليبي الواضحة .

وفي الواقع ان التعليم الذي تلقاه عمر المختار على يد الرعيل المخلص من معلمي مدرسة الجغبوب تلقاه غالبية المجاهدين الكبار وكان تاثيره بعيد المدى في اعداد وصقل الكثير من المجاهدين الصادقين الشجعان غير ان عمر المختار وهذا هو المهم استقل عن غيره وتميز بصفات ذاتية الى إجانب العلم والتجربة ولقد ماثله بالطبع عدد غير قليل من مجاهدي ليبيا..

ان سعدون السويحلي وان لم تطل مدة جهاده وخليفه بن عسكر وان كان قد اوقعته حبائل الاستعمار في الفخ واعتقد واهما ان في الايطاليين خيرا ومحمد اليوسفي وغيرهم من الابطال كانوا جميعا يمتلكون صفات قيادية عالية ويتميزون بايمانهم الشديد بضرورة الدفاع المستميت عن العقيدة والوطن.

اما بالنسبة لعمر المختار فميزته عن الجميع انه رغم طول مدة جهاده لم يضعف ولم يستسلم ولم يهاجر وظل على وفائه للقضية الوطنية بارا بدينه ورفاقه وعروبته حتى آخر لحظة في حياته.

كان عمر المختار عبر مراحل جهاده ضد الطليان يعتمد راي جماعته من المجاهدين الكبار ويسير الجهاد بطريقة «ديمقراطية» فريدة ولقد استفاد الى ابعد الحدود من افكار مستشاريه الكبار امثال الشهيد يوسف ابو خديدة (بورحيل) وهو احد الابطال الذين اعترف العدو الايطالي نفسه ببسالتهم ، كما عرف من عمر المختار انه كوّن مجالس للادوار من كبار المجاهدين الذين حضروا حرب احمد الشريف وتلقوا تدريبا عسكريا متقدما على يد الضباط الاتراك واستفاد ايضا من مجموعة الضباط المدربين الذين التحقوا به وواصلوا الجهاد معه بعد استشهاد المجاهد الشجاع سعدون السويحلي وقد اجمعت الروايات الشفوية والمصادر ايضا على ان عمر المختار كان يعول على مشورة مجلس الدور وكبار المجاهدين ويستفيد من كل راي مدروس وخطة محكمة يضعونها.

يقول الدكتور محمد الجراري : «ان عمر المختار لم يكن يستاثر بقيادة الثوار بنفسه بل كان مؤمنا بمبدا الشورى الاسلامي لذا نجد انه كوّن من حوله جماعة يتعرف من خلالها على آراء المجاهدين جميعا ويحاول اختيار الافضل والاكثر شعبية منها»[٧٨].

ان عمر المختار في موقفه هذا من مبدا الشورى كان يطبق قول الله تعالى : «وامرهم شورى بينهم»[٧٩].

وقوله ايضا : «وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله»[٨٠].

كما كان عمر المختار بطبق في نهجه المتقدم ذكره ما جاءت به الرسالة المحمدية العظيمة فقد عرف عن الرسول ﷺ انه كان يشاور اصحابه ويستشيرهم فإذا التبست عليه الامور نجده يلزمهم بإبداء آرائهم فيقول لهم : «اشيروا علي ايها الناس».

وكان عمر المختار بالاضافة الى تطبيق مبدا الشورى نجده احيانا يمنح الثقة كاملة ودون تعطيل لمسيرة القتال بالاخذ والرد الزائدين عن اللزوم فلقد افادني الكثير من الرواة من رفاقه انه يشاور اصحابه ويستشيرهم ويناقشهم فيما يشيرون به فان رآه مقنعا وفي صالح المجاهدين عمل به وقد حدث كثيرا انه اختار بعض من يثق فيهم من اصحاب النية الصادقة في الجهاد وحسن التوكل على الله وطيبة القلب والراي المبارك فكلفهم بقيادة اخوانهم للمهمة المراد القيام بها او بقيادة بعض المعارك او التخطيط لها او تاجيلها لحماية ارواح رفاقه او لحماية الاهالي الذين كثيرا ما تعرضوا لتنكيل ايطاليا بهم عقب كل معركة مع المجاهدين.

ولقد حدث في كثير من الاحوال ان عمر المختار يجزم في امر معين من امور القتال فيلزم رفاقه بالتقيد بتعليماته وتنفيذها ولقد حدثني الكثيرون ان عمر المختار يمتلك إرادة حديدية ورأيا قاطعا إذا رأى صوابا وحكمة ونصرا محققا فيما يريد القيام[٨١].

ولقد كان القائد الاول لكتائب المجاهدين محمد بن عبد الله ﷺ يستشير في دخول المعارك او عدم دخولها وفي التخطيط لها ويستوفي المعلومات عن قوة الخصم واستعداده من اصحابه وفي جميع الاحوال ياخذ برأي الجماعة او برأي احد اصحابه ممن عرفوا بالرأي الحصيف والتخطيط الموفق والتصرف المبارك او برأي من يستشف الطيبة والصدق والبركة في قوله وفعله من عامة اصحابه كما اخذ برأي «الحباب بن المنذر» في غزوة بدر الذي اعترض على نزول المسلمين بادنى بئر منهم فقال للرسول متسائلا : «امنزلا انزلكه الله، ليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه، ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال الرسول «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل، امض بالناس حتى تاتي ادنى ماء من القوم فنعسكر فيه ثم نغور ماوراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون».

فقال الرسول «لقد اشرت بالرأي ثم امر بانفاذه»[٨٣].

وكان الرسول ايضا يتحمل المسؤولية في الحرب بجدارة واقتدار والتزام فإذا عرض له امر وايقن صوابه اصدر اوامره بحزم الواثق من نفسه والزم رفاقه بالتنفيذ الفوري له مطمئنا الى وعد الله له في قوله تعالى :
«ان جندنا لهم لغالبون»[٨٤]، ولقوله تعالى ايضا : «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»[٨٥].

وتتشابه مواقف المكافحين لنصرة الحق في مختلف الازمان لانهم استمدوا العزم من المصدر العظيم الواحد ألا وهو الدين الاسلامي حيث نجد ان اصحاب الرسول يقتدون به كما اقتدى بهم من جاء بعدهم من قادة الاسلام العامرة قلوبهم بحب العقيدة المحمدية.

ولقد بدأت بعمر المختار للتدليل على اهمية العامل المعنوي المستمد من العقيدة رغم تباعد الفترة الزمنية بينه وبين خالد بن الوليد الذي استنجد به المسلمون المحاصرون في الشام وهو في العراق وبينه وبينهم مفازة قاحلة فشاور اصحابه قائلا : «كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين». فقالوا له : «لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش انما ياخذه الفذ الراكب فاياك ان تغرر بالمسلمين».

وقلّب خالد الامر على وجوهه وكرّر استشارة اصحابه فرادى وجماعة ثم حزم امره ورأى بثاقب فكره ان الضرورة تحتم ان يسرع في نجدة اخوانه وان يلتف حول العدو حتى ولو تجشم في سبيل ذلك هو وجيشه المتاعب وكان يساوره ويلح عليه شعور داخلي، بسلامة موقفه وحسن تدبيره ولاحظ تخوف رفاقه من خطر المغامرة فاراد تقوية عزائمهم وشحذ هممهم فتوجه اليهم بكلمات دلّت على الايمان القوي والعزم الصادق قائلاً : «لا يختلفن هديكم ولا يضعفن يقينكم واعلموا ان المعونة تاتي على قدر النية ولاجر على قدر الحسبة وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث بشيء ويقع فيه مع معونة الله له»، فرد اصحابه : «انك رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك».

وبرزت عند الشدة مواهب رجاله اذ اهتدى احدهم الى فكرة سقي بعض الابل السمان وتكميم افواهها وصاروا يذبحون منها حتى وصلوا موضع الماء. قال تعالى : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا»[٨٦].

لقد دلت وقائع الجهاد الليبي واحداثه في جملتها كما بينت اقوال المشاركين فيه على الاعتبار بسيرة السلف الصالح واستلهام العظات الواردة فيها رجوعا الى العقيدة وتطبيقا لما تامر به في مجمل الواجبات المناطة بالمسلم الحق بكاملها وفيما يتعلق بمبدإ الجهاد في الاسلام خاصة وكان سر عظمة المختار يتجلى في وفائه الكامل لهذا المبدا ذلك لأنه نسيج متفرد وطراز فريد من اولئك الرجال الذين فرضوا هيبتهم ليس على المعاصرين لهم فحسب بل وحتى على الذين سمعوا بتاريخهم او درسوه، يقول الاستاذ حبيب الحسناوي :

«ان الايمان العميق هو الذي بعث فيه صفات الامانة والشجاعة وحب الصدق والحق ورفض كل انواع الظلم والقهر والاستبداد»[٨٧].

ان الكثير من ماثر عمر المختار في ميدان الجهاد يتقاسمها معه اخوانه من المجاهدين الصادقين على اختلاف رتبهم ومهامهم ولعل من ابرزهم مستشاره يوسف ابو خديدة والمناضل الجريء الفضيل عمر والمجاهد العفيف حسين الجويفي ونظيره قطيط موسى والثائر من اجل الشرف السنوسي العريفي ورجل الحرب الكفء عبد الحق الطايع والمجاهد بماله وعياله سليمان ادريس والشاب الذي ترك حياة الثراء والرفاهية مفضلا الشهادة في سبيل الله (محمد عسل) ورجل القبيلة التي قدمت للمجاهدين التموين والعون صالح مطير ومجموعة ضباط دور السويحلي الذين واصلوا الجهاد مع عمر المختار حبا في الشهادة وغيرهم فهؤلاء شموع نضال في مقدمة طابور طويل من المناضلين الشرفاء افتدوا كامل التراب الليبي ويضيق بحصرهم المقام وتكل عن تعديد مآثرهم الاقلام[٨٨].

يعلل الاستاذ الحسناوي سر صمود الشعب الليبي في الجهاد وسرعة تناديه للقتال فيقول :
«ان الايمان بالدين والتفاني في حبه والدفاع عنه كان ولا يزال ظاهرة بارزة في حياة الناس في ليبيا، وقد اسهمت هذه الظاهرة الى حد كبير في توسيع دائرة المشاركين في الحرب وتحويلها الى حرب شعبية منذ البداية»[٨٩].

فاذا كان العامل الديني هو سبب صمود الليبيين طوال سنوات الحرب القاسية فان عمر المختار وهو راس الجماعة الصابرة في الميدان اكد في كثير من اقواله وفاءه لحمل امانة الكفاح ومن اقواله :

«نحن هنا لا حاجة لنا الا مقاتلة اعداء الله والوطن»[٩٠]. وكان تصميمه على متابعة الجهاد رغبة في الاستشهاد فهو القائل : «اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية ويؤكد عشقه العظيم للارض وتصميمه على مجابهة الذين يريدون استباحتها فيقول : «لن ابرح الجبل الاخضر مدة حياتي ولا يستريح الطليان فيه حتى يواروا لحيتي في التراب» ونتيجة للضغوط التي مورست ضده ليترك راية الجهاد نجده يؤكد صلابة معدنه ضد محاولات الاحباط لهمته والاحتواء لحركته فيقول : «انني لم اكن لقمة طائبة يسهل بلعها على من يريد ومهما... حاول احد ان يغير من عقيدتي ورايي واتجاهي فان الله سيخيبه»[٩١].

وكان من محاولات انهاء حركته اشارة البعض عليه بترك قيادة المجاهدين بحجة كبر سنه ولكونه قد قدم لحركة الجهاد مالم يقدم غيره فما كان من عمر المختار الا ان يؤكد انه القائد الفعلي لحركة الجهاد وانه يتحمل كافة التبعات المترتبة على اقراره فيقول :

«رايت ان اخوض غمار الحرب وان لا اركن الى اي محادثة او واسطة ولو من العائلة السنوسية»[٩٢].

ونتبين من قوله السابق شدة تمسكه بعقيدته فحيث ان العقيدة تأمر بعدم الركون إلى الكفار وجب تقديمها وافتداءها بالروح ، ومن الواضح ان هذا الكلام صدر عنه بعد يأسه من امكانية تحقيق ما طلبه من الطليان في شروط الصلح بينه وبينهم عقب مفاوضاته معهم وحتى في شروطه مع الطليان نلمس تشدده الواضح وموقفه الصلب وثباته على المبدا وعدم التفريط في امر يمس العقيدة ففي المادة الثانية من الصلح يرد ما يلي :

«لا تتدخل الحكومة الايطالية في امور ديننا كما ان لنا الحق في تاديب كل من يخرج عن الدين او يهزأ بتعاليمه او يتهاون في القيام بواجباته»[٩٣].

كما يؤكد في بقية مواد الصلح على ضرورة تدريس القرآن وسائر العلوم الدينية ويشدد على اتباع الشورى وعلى القضاء الاسلامي، وتجمع الروايات على اهتمامه الدائم بتدريس القرآن للاطفال الذين كانوا صحبة المجاهدين ويؤم المجاهدين في الصلاة ويامر بها ويقيم المساجد في اي بقعة ينزل بها الدور وتوجد اثار هذه المساجد الى اليوم» ومنها آثار لمسجد بمنطقة مديور حماد «وكذلك اثار مسجد بمنطقة المحجة»[٩٤].

وكان عمر المختار شديد الوفاء لعروبته كثير الاعتزاز بها غيورا عليها ولذلك فقد اشترط في بنود الصلح ضرورة حضور المندوبين من مصر وتونس ليشهدا للصلح كما شدد على ضرورة تدريس اللغة العربية حتى للايطاليين انفسهم.

وقد اظهر عمر المختار حنكة حربية في اشتراطه حرية الليبيين في امتلاك السلاح وشرائه تحسبا لغدر العدو المتوقع حصوله دائما، ولما تاكد لديه غدر ايطاليا وعدم وفائها بعهودها وكثرة مماظلتها اصدر نداءه المشهور باستئناف الجهاد من جديد، لقد صنف الايطاليون عمر المختار بأنه من ابرز اعدائهم . يقول احد قادتهم الكبار :

«هو عدونا الذي لا تنقص عداوته، وهو قلب وروح الثورة».

عرف عمر المختار بانه الرجل الورع البسيط الذي يحتقر الجاه والمال ويتميز بالعناد ضد الباطل وبالقدرة على تحمل التعب، وكان يستحوذ استحزاذا عجيبا على كل من يتعرف اليه، وكان اكتسابه لهذه الصفات واستحقاقه لهذه الزعامة لأنه طبق مبادىء الجهاد على ارض الواقع ولم يميز نفسه على رفاقه، ولقد منحه الله اعظم ميزات القيادة فهو مضرب المثل في الشجاعة وهي من صفات السلف الصالح الذي حقق اعظم الانتصارات على جيوش الكفر. فقد استشار عمر بن الخطاب اهل الراي فيمن يوليه حرب الفرس فذكروا له سعدا بن وقاص ومدحوه بقولهم : «انه الاسد عاديا» فولاه قيادة الجيوش وحقق انتصارا عظيما وقد كان المختار سباقا على الدوام الى خوض المعارك ورغم معارضة رفاقه المستمرة في مشاركته بها الا ان الرواة اجمعوا على القول بان القائد عمر المختار ما ان تبدا المعركة حتى يعتلي صهوة جواده مهاجما الاعداء وصدق فيه قول الرسول الكريم :

(«من خير معايش الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة او فزعة طار عليه يبتغي القتل او الموت مظانة» رواه مسلم).

ان جند الله يحاربون بالخلق وينتصرون بالفضيلة فالقيم الرفيعة والمسلك الحميد من وسائل النصر والمختار جمع الى جانب تدينه الشديد صفات المؤمن الحق ولقد حدثني «كومندار المعيه» الخاصة به المجاهد التواتي العرابي فقال :

«كان المختار عفيفا قنوعا بما قسمه الله له فقد رفض جميع الهدايا التي قدمت اليه من الايطاليين بل رفض هدايا المواطنين الذين عملوا معهم، وكان لا يهتم بجمع المال ابدا وغير خبير بالعملة وبعدها وذات مرة امرني بفتح محفظته فلم اجد بها غير دراهم معدودة»[٩٥].

ولما كان التوكل على الله من صفات المؤمن الحق فلقد كان المختار يكل الامور الى الله دائما ولكنه ايضا تميز باتخاذ الاسباب المؤدية للنجاح وكان يتنقل ليلا باستمرار تحسبا من المخاطر وقد حدث عقب معركة الرحيبة الشهيرة ان الطليان لاحقوا المجاهدين ملاحقة دائمة لينتقموا لهزائمهم واعتقدوا انهم قد احكموا الطوق حول عمر المختار في جنوب الفائدية، ولكنه كان قد ابتعد ليلا بمجموعة كبيرة من رفاقه ومعهم بعض الجرحى حيث وصلوا منطقة «ابلخنة»ولما دفن الشهيد «حمد اليفرني» وهو احد جرحاهم اصدر عمر المختار امره بنقل جثمانه وتمويه المكان خوفا من ان يلحق الطليان الاذى بالاهالي المعاونين للمجاهدين بتلك المنطقة وقد دفن ذلك الشهيد بعد نقله في واد وعر غير مطروق.

ولم يصبح صباح ذلك اليوم الا وعمر المختار وجماعته في منطقة «ابوذراع»[٩٦]. هذا والجدير بالذكر ان منطقة ابلخنة التي وصلها المختار اولا هي اقرب مايكون الى منطقة شحات التي كانت تتواجد بها القوات الايطالية ولكن من يخطر بباله ان المختار ادرع بالليل ووصلها كعادته دائما في الضرب السريع والاختفاء والمسافة بين المناطق الثلاثة التي شهدت جماعته غير قليلة وخاصة على من تكون وسيلته في الانتقال هي الخيول ان المختار في تصرفه هذه ينفذ امر الله للمؤمنين في قوله :

«يا ايها الذين آمنوا خذوا حذوكم» النساء[٧٠] وفي مسلكه هذا بالتحرك ليلا يماثل البطل الاسلامي الكبير عمرو بن العاص الذي عرف بتحركه بقطاعات الجيش ليلا قال تعالى مخاطبا النبيّ لوط عليه السلام لينجو بصحبه :

«فاسر باهلك بقطع من الليل» الحجر[٦٥].

إلى جانب الشجاعة العفة وحسن التوكل والفطنة والحذر نعدد من صفات المختار التي تذكر فتحمد صدقه في الجهاد على المشقات ورباطة في سبيل الله امتثالا منه لامر ربه في قوله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران ٢٠٠) .

والصبر والصدق من صفات المجاهدين الصادقين الاول فمن كلام سعد بن معاذ مخاطبا الرسول قبيل معركة بدر قوله :

«ما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا... ان الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء. واخلص اخيرا الى القول ان عمر المختار كان صادق الايمان ومتى اكتمل الايمان في الانسان وادى به الى محك الفعل ومعترك الاختبار فخاض ملاحم الدفاع عن العقيدة بما فيها من مشاق واهوال حق له ان يحوز صفات الكمال التي يريدها الله لعباده الصالحين الصادقين.

لقد كان المختار مع الله قلبا ووجدانا وعاطفة وشعورا واجه عمر المختار اشرس هجمة على العقيدة والوطن والشرف فتصدى لها فتحمل التبعات الجسام المترتبة على اختياره الصعب ذلك لأنه من طراز الرجال الذين هياتهم الاقدار لتحمل اكثر المهام جسامة وعظمة.

ولقد كان عمر المختار من الناحية النفسية والجسمانية ايضا يمتلك صفات ساعدته على تحمل مشاق الجهاد وصعوباته غير ان ابرز عوامل ثباته مرجعه الى قوته المعنوية العظيمة الناتجة عن تعليم ديني متقدم وقد اتضح لنا كيف ترجم عمر المختار ايمانه الراسخ بحماية العقيدة الى فعل وقول ارتقى بهما مزاتب الخلود بجدارة فما هو التعليم الذي تلقاه عمر المختار وتشكلت وفقه شخصيته العظيمة ؟

لقد عهد به والده في البداية الى الشيخ حمد الغرياني الذي الحقه بزاية جنزور لتعليم القران ثم ارسل الى الجغبوب وكان ابرز مشائخه فيها الشيخ الزروالي المغربي للقرآن الكريم والشيخ فالح بن محمد الطاهر في العلوم الاخرى، ولقد عرف عن المختار الذكاء والفطنة ورجاحة العقل فلفت نظر «السيد المهدي السنوسي» وتعهد برعاية خاصة كان لها الاثر الكبير في تشكيل شخصيته وانتشار سمعته ورفع مكانته، ويذكر محمد الطيب الاشهب ان السيد المهدي قال لعمر المختار :

«يا عمر وردك القرآن» ومنذ ذلك اليوم واظب المختار على تلاوة القران الكريم يوميا ولا شك ان ذلك امده بمعين لا ينضب من الشحنة الايمانية الدائمة وهي اعظم عوامل نجاح حماة العقيدة.

هذا ولقد وضع عمر المختار على محك التجربة الحقيقية لامتحان علمه واختبار معدنه الاصيل حيث كلفه السيد المهدي بعدة مهام الى السودان ومصر ثم عينه شيخا لزاوية القصور ورغم ان قيادة البادية من الامور الصعبة فقد اظهر عمر المختار مقدرة نادرة في عمله وجمع حوله القلوب والف الجماعات واحدث تاثيرا طيبا في النفوس فلما كلف فيما بعد بمهام قيادة الادوار وجدناه رغم صعوبة العمل اقدر الناس على القيام بها فحقق مجدا عظيما وتاريخا مشرفا ليس لليبيا فحسب وانما للعروبة والاسلام في كافة بقاع المعمورة.

وهكذا وجدنا المختار وقد شكلته التربية الدينية تشكيلا خاصا وحددت توجهاته فتحققت اهداف التربية الاسلامية في شخصه وانتقل بها من الحيز النظري الى الحيز التطبيقي وترجمها عملا ومسلكا وسلوكا فكان على اشد ما يكون حفاظا على الدين واكتسابا للخبرات المختلفة وتضلعا فيما يصادفه من مهام مع زهد في الفانية وحب في الباقية وعزة نفس ومضاء عزم رغم الظروف القاسية التي مرت به وتلك مرتبه لا يدركها الا من تزود بزاد روحي لا ينضب له معين عبر توالى الشدائد والملمات .

ومن اكبر الأدلة على ثباته في ميدان الشرف تركه في آخر مراحل الجهاد لكل القيادات التي كانت تريد توجيهه من خارج ساحة النضال وتحمله للمسؤولية كاملة بنفسه .

خاتمة الفصل

يدرك الباحث في تاريخ الجهاد الليبي ان التربية الروحية هي الصفة المميزة للمجاهدين الليبيين والتي تصطبغ بها افعالهم ويشاطاتهم الخاصة والعامة في زمن السلم والحرب على السواء وان ابرز عوامل دفعهم للجهاد هو الدين ولقد كان بروز هذه الظاهرة الفاعلة منشؤه معرفة الليبيين بان عقد الايمان بيننا وبين الله تعالى من اهم شروطه ان نبيع انفسنا واموالنا مجاهدين في سبيل الله ذلك لان الله وبنص جميع الكتب السماوية قد وعدنا بالجنة في قوله تعالى :

«ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (التوبة ١١٦) .

ان المؤمن الحقيقي هو الذي يرى الحياة جهادا للحفاظ على ديار الاسلام في جميع الاوقات وتحت اقسى الظروف فلا يتهاون ولا يتردد ولا يتقاعس ولا يجبن وذلك هو ديدن السابقين في الاسلام وقد كانت هذه ايضا هي نظرة الليبيين للجهاد مسارعة في تلبية نداء الجهاد دونما تباطؤ وصير في ساحات النضال دونما كلل مثلهم في ذلك مثل اسلافهم الذين قال الله في حقهم :

«لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين» (التوبة ٤٤).

تذكر كتب التاريخ ان الغرباء المستغلين والوافدين الطامعين كثيرا ما هاجموا سواحل ليبيا ونهبوا خيراتها واستغلوا اهلها وحاولوا محو شخصيتهم الوطنية فمن المؤكد اذن ان يكره الليبيون الغرباء وان يدفعوهم عن ديارهم كلما حاولوا العودة من جديد هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فما دام الله قد منّ عليهم بالعقيدة الاسلامية التي تقدس الحرية وتدعو الى النضال والعزة والشرف فانهم يسترخصون النفس والمال للذود عنها وحمايتها ويرون التضحية من اجلها بلذائذ الحياة ومباهجها من اقدس واجباتهم فلقد علموا واستوعبوا حديث الرسول الكريم الذي رد به على ذلك الذي راى عين ماء عذبة فقرر الاعتكاف للعبادة بقربها واستشار الرسول ﷺ فقال له :

«لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله افضل من صلاته في بيته سبعين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزو في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة » .

ان التفسير الوحيد لظاهرة الصمود التاريخي ضد اعتى انواع الاستعمار واشدها شراسة في مواجهةعدو فقد الانسانية واستحل الحرمات -رغم دعاوي نشر التمدين التي جاء بها — يرجع ذلك الى قوة الدافع المعنوي ومصدرها الدين ذلك الى جانب صفات قديمة ومتاصلة في البادية العربية عموما وعند الليبيين على الاخص وتمثل في الاباء والصدق والصبر والفطنة والحذر والشجاعة وهي صفات المجاهد الحقيقي الذي ينشده الاسلام بتعاليمه، وبما ان العبرة بتطبيق ما يامر به الاسلام عملا لا قولا، وان برهان التاكيد على القضية هو استنادها الى الواقع فان احداث الجهاد الليبي تعطي الدليل الصادق والاكيد وتمثل لما نقول ونستهدف من البحث اصدق تمثيل ان آلاف الاشخاص فضلوا حياة الكفاف على الرفاهية وباعوا ما يملكون في سبيل لوازم الجهاد من اعاشة

وسلاح[٩٧]، وآلاف الاشخاص من مختلف نواحي ليبيا لاحقوا العدو اينما ظهر وقاموه اينما وجد ولو كان هدفهم من الجهاد مغنما ماديا لتحصلوا على الكثير، ولو كان هدفهم هو الدفاع عن الموقع الذي يعيشون فيه. وقد كانوا قبائل لها مواطنها الخاصة والمعروفة لاوقفوا مهمتهم في الدفاع عن مواطن قبائلهم وبعضهم لم يكن في حاجة لها او للدفاع عنها بحكم المنظور القبلي للامور حينذاك غير انه تمسك بالصبر وراى ان مصاعب الحياة ومشاق الجهاد تهون في سبيل الله. قال تعالى :

«انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله» (التوبة ٤١).

وقد يرد في ذهن القارىء الكريم وهو يطالع هذا الفصل انني اوردت سير قادة الجهاد وان ثقافتهم الدينية تقتضي بالضرورة ان يكونوا على فهم واستيعاب لاهمية وعظمة مبدإ الجهاد في الاسلام فالتزموا به، ولكن ما الذي جعل عامة الناس والبسطاء من المجاهدين يقدمون على البلاء العظيم في ميادين القتال ويتحقق النصر في كثير من المعارك بفضلهم وهم الغالبية والعظمى بالطبع ؟ ان الجواب على ذلك هو مصداق الفكرة العامة التي يتوخى البحث اثباتها فلقد رزق المجاهد الليبي العادي بالرزق الباطني وهو رزق القلوب رزق اهل النور الذي قربهم الى الله ومتعهم بحبه، وحب الآخرة حب الدين وليس حب الدنيا وذلك دائما هو شان الضعفاء من الناس او بسطاء الناس من العامة وهم زاد المعارك وزيتها بهم يستمر الجهاد ويقع النصر وفي نصرهم رزق الدنيا لمن يبقى بعدهم اما هم فرزقهم هو الاستشهاد في سبيل الله وهو اقصى ما كانوا يتمنونه من امان، وذلك عملا واقتداء بقول الرسول الكريم : «انما ترزقون وتنتصرون بضعفائكم».

وفي الجهاد الليبي آلاف القصص لاشخاص خرجوا من سلطة الطليان وتركوا الراحة ليبلوا في المعارك بلاء عظيما حتى ظفروا بالشهادة، وحتى الذين عاشوا بعد اشتراكهم في الكثير من المعارك فكلما ذكرت امامهم اسماء الشهداء من رفاقهم اراهم يتحسرون على عدم نيلهم الشهادة مثلهم ويرددون عبارة (عطاهم الله). ان ارادة القتال حبا في الاستشهاد هي محور الارتكاز الذي دارت رحى ملاحم الجهاد حوله، والفضل في ذلك لان الثقافة الاسلامية الدينية كانت هي الثقافة ألتي يتلقاها الناس في ليبيا في الزوايا والمعاهد المنتشرة في طول البلاد وعرضها[٩٨].

في كثير من المناطق ومنها «جامع احمد باشا وجامع قورجي ومدرسة عثمان باشا وزاوية/ميزران في طرابلس وزاوية الابشات في الزاوية، وزاوية بوماضي في الجبل، وزاوية الشيخ في ظلتين، وزاوية الزروق في مصراتة، وكلها تمد البلاد بثقافة دينية اضف الى هذه المعاهد ما كانت تستفيده طرابلس من ثقافة الازهر وجامع الزيتونة بارسال ابنائها اليهما» [٩٩] . «ولقد كانت الجغبوب هي الجامعة الاسلامية الثانية بعد الازهر»[١٠٠].

هذا ومن المعروف عن الشعب الليبي عامة انه الشعب العربي الموحد في عقيدته والبعيد عن صراع الطوائف والمعتقدات والقوميات المختلفة ولذلك فان جهاده ضد ايطاليا هو وقوف الشعب المسلم الواحد ضد الكافر الوافد الطامع في هدم الدين واستلاب الديار.

لقد كانت مراكز التعليم في ليبيا تركز على الاعداد المعنوي والمادي للمجاهدين وتُنبه الى خطر التفريط في مجابهة اعداء الاسلام ولم يقصّر في التنبيه الى هذا الخطر رجال الدين في المحلات والادوار فقد ذكر «جورج ريمون» ان المجاهد المشهور فرحات قد خطب في مجاهدي ترهونة خطبة دينية استهلها بالآية القرآنية : «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» (البقرة ٢٤٩) ثم وجه كلامه لريمون قائلا : «قل انك قد رايت هنا على ارض ليبيا هذه الآلاف المؤلفة من المجاهدين المستعدين لسفح آخر قطرة من دمائهم في سبيل دينهم ووطنهم»[١٠١].

وهذا الشيخ محمد سوف يذكّر المجاهدين بفضيلة الصبر عند لقاء العدو يقول للمجاهدين في خطبته «لا يصح ان نصدر عن البئر قبل ان نشرب» كما كان الشيخ عبد الرحمان البشتي يذكر المجاهدين بالآيات الشريفة الداعية للجهاد ويحثهم عليه باستمرار»[١٠٢].

كما يذكر الرحالة «جورج ريمون» ان علماء الدين كانوا يتولون مهمة اذكاء روح الجهاد وكان مما اورده في هذا المجال جزءا من خطبة احد الفقهاء قال فيها : «اتضرع الى الله ان يملأ نفوسكم بالشجاعة، وان يمدكم بنصر من عنده فتتمكنوا من طرد الايطاليين الكفار عبدة الاصنام» [١٠٣] .

ولم يكن دور علماء الدين قاصرا في تاثيره المعنوي الفعّال على الناس في البادية حتى يقال ان استجابتهم عفوية وليست صادرة عن فهم ووعي فكري عميق — بل كان الحافز المعنوي الذي رسّخه علماء الدين في النفوس شديد الفعل ايضا في الاوساط

الواسعة الثقافة بالمدن وقد اورد الكاتب «محمد مناع» امثلة تساند هذه الفكرة فذكر ان رجال الدين كانوا وراء انتصار اهالي بنغازي في معركتي السلاوي والبركة وذكر منهم الشيخين احمد العيساوي وعبد الله الاشهب[١٠٤].

وذكر المؤرخ شكيب ارسلان «ان السنوسية كانت تأمر بالجهاد والعمل على جمع كلمة المسلمين اجمعين على العدو العام» [١٠٥].

ومن الثابت ان هذه الطريقة لم يقتصر دورها على الاعداد الروحي فقط بل الاعداد المادي ايضا فقد كانت حريصة على سبيل المثال على ابناء الزوايا في الاماكن الدفاعية الحصينة وكان من علمائها قادة ركزوا كامل اهتمامهم على الاعداد المعنوي والمادي معا فاعدوا انفسهم والزموها بواجبات المسلم الدينية والدنيوية ذلك لأن الطريقة السنوسية لم تكن مقتصرة على تنوير الاذهان للعودة بمعتنقيها الى مبادىء الدين ولكنها اخذت تشرح معاني الاسلام الصحيحة التي تامر بالعمل للدنيا كما هو للآخرة»[١٠٦].

كما يذكر محمد سعيد القشاط ان للسنوسية دورها البارز في الاعداد لمعركة القرضابية سنة ١٩١٥م المشهورة وان صفر الدين والشيخ سوف والباروني واحمد سيف النصر وصالح لطيوش ومحمد البوسيفي .

قادهم جميعا هدف واحد هو الدفاع عن الدين والوطن وكانت ثمرة اتحادهم ذلك النصر العظيم وهو نفس الهدف والدافع الذي جعل من هم مع الطليان ينقلبون عليهم ومنهم المبروك المنتصر والساعدي بن سلطان ورمضان السويحلي.

ولقد كان اكبر دليل على اهتمام قادة الجهاد بتوحيد الجهد ضد العدو المشترك عودة صفر الدين مرة اخرى الى سرت سنة ١٩٢٣م ليجدّد ويخطط لمعركة ضد الطليان تكون كسابقتها التي حققت شرفا للاسلام والوطن واشعلت الجهاد ليس في ليبيا فحسب بل وفي الاقطار العربية المجاورة كتونس التي ثار اهلها ضد الفرنسيين.[١٠٧]

ان العاطفة الدينية العميقة التي رسّخها التعليم الديني الذي تلقّاه رجال الجهاد في ليبيا قادة وافرادا، وكذلك العاطفة الوطنية الصادقة كان لهما،اعظم الاثر في تشكيل شخصية المجاهد الليبي وهما سر انتصاره وسبب قوته واعتزازه وتفوقه المعنوي على الاعداء ناهيك عن التفوق المادي الذي تحقق ايضا في العديد من المعارك [١٠٨] .

(١) * الآية (١٤٥) من سورة آل عمران.
(٢) * سورة آل عمران (١٧٣).
(٣) * سورة الانفال ٦٦/٦٧.
(٤) * رواه البخاري حديث شريف.
(٥) * الاسلام والنصر دار الفكر ط (١) ٧٢م ص : ١٣٣.
(٦) * (خالد محمد خالد رجال حول الرسول دار الكتاب العربي بيروت ط (٢) ١٩٧٣م ص : ٣٠٨.
(٧) * محمود شيت خطاب قادة فتح المغرب ط دار الفتح بيروت ١٩٦٦م ص : ١١٠.
(٨) * شروح شكيب ارسلان في حاضر العالم الاسلامي ط/ ص : ٤٩٢.
(٠) * هو عبد الرحمان عزام المجاهد الكبير واول امين للجامعة العربية.
(٩) * رحلة في الصحراء الليبية / الناشر الفرجاني ــ طرابلس ليبيا ١٩٦٩م ص : ٢٧٩.
(١٠) * عبد المولى الحرير مقدمة مذكرات انور باشا/منشورات مركز دراسات جهاد الليبي ١٩٧٩م ص : ٣٦.
(١١) * المصدر السابق ص : ٣٦.
(١٢) * محمد صبيح بطل لا ننساه/ المكتبة العصرية بيروت ١٩٧١م ص : ٤٧.
(١٣) * عبد المالك بن عبد القادر/ الفوائد الجلية سنة ١٩٦٦م ص : ٢٤آ
(١٤) * مذكرات انريكوا انسباتو ترجمة عمر الباروني ــ اصدار مركز الليبيين للدراسات التاريخية ١٩٨٠م ص : ١٢١.
(١٥) * المصدر السابق ص : ١٤٧.
(١٦) * المصدر السابق ص : ٢١٦.
(١٧) * بريتشارد ايفانز السنوسيون في برقة ترجمة عمر الديراوي ــ مكتبة الفرجاني *طرابلس سنة ١٩٤٨م.
(١٨) * الطاهر الزاوي/ جهاد الابطال ــ دار الفتح بيروت ط : ١٩٧٠م ص : ٢٥٢/٢٥٩.
(١٩) * محمد الطيب الاشهب برقة العربية امس واليوم ص : ٣٠٥.

مصدر السابق ص : ٣٠٦.

(٢١) * احمد محمد حسنين/ في صحراء ليبيا/ مطبعة مصر ـــ ١٩٢٣م.

(٢٢) * شكري محمد فؤاد ـــ السنوسية دين ودولة/ دار الفكر العربي ص : ١٤٧.
حاضر العالم الاسلامي ط ٣ سنة ١٩٧١م ج ٢، ص : ١٥٨. جهاد الابطال للزاوي ص : ٢٩٢.

(٢٣) * عبد المالك بن عبد القادر/ الفوائد الجلية مصدر سابق ص : ٥٩.

(٢٤) * المصدر السابق ص : ٧١.

(٢٥) * المصدر السابق ص : ٦٨.

(٢٦) * محمد عيسى صالحية، صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا/ وثائق من تاريخ احمد الشريف : اصدار جامعة الكويت ص٢٨ لسنة ١٩٨٠م

(٢٧) * حاضر العالم الاسلامي ج ٢، ص : ١٦٥.

(٢٨) * محمد اسد/ الطريق الى الاسلام ترجمة عفيف البعلبكي، ط ٥ : دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٧م ص : ٣٤٧ وما بعدها.

(٢٩) * زعيمة سليمان الباروني/ صفحات خالدة من الجهاد/ مطابع الاستقلال الكبرى ١٩٦٤م ج ١ ص : ٥٩.

(٣٠) * المصدر السابق ج ظ ص : ٤٥٨.

(٣١) * احمد صدقي الدجاني/ ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي ط ١ / المطبعة الحديثة ١٩٨١م ص : ٤٣٥.

(٣٢) * مصدر سابق ص : ٦٠.

(٣٣) * مصدر سابق ص : ٦٤.

(٣٤) * مصدر سابق ص : ٧٢.

(٣٥) * مذكرات الباروني ج ٢، طبع مؤسسة دار عبد الحفيظ ١٩٦٦م بيروت ص : ٤٣٢.

(٣٦) * الحجرات (١٠).

(٣٧) * المصدر السابق ص : ٤٦٨.

(٣٨) * آل عمران (١٦١).

(٣٨) * الانبياء (١،٢،٣). (مكرر)

(٣٩) * المصدر السابق ص : ٤٧١.

(٤٠) * المصدر السابق ط ١، ص : ٢٣٢ ك ٢.

(٤١) * المصدر السابق ط ك ٢، ص : ٢١٦.

(٤٢) * المصدر السابق ص : ٢١٩.

(٤٣) * المصدر السابق ص : ٤٥٦.

(٤٤) * احمد صدقي الدجاني ـــ ليبيا بيل الاحتلال الايطالي، مصدر سابق ص : ٤١٤.

(٤٥) * المصدر السابق ص : ٤١٦.

(٤٦) * مقدمة جريدة «الاسد الاسلامي» العدد ٣، السنة الاولى الصادرة في ٢٢ ربيع الاول ١٣٢٦هـ الموافق ٢٣ ابريل ١٩٠٨م.

(٤٧) * محمد المرزوق، عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد/ الدار العربية للكتاب تونس ١٩٧٨م مطبعة القلم ـــ ص : ٦٠.

(٤٨) * المصدر السابق ص : ٢٠٧.

(٤٩) * رود لفوقراتسياني/ نحو فزان ـــ ترجمة طه فوزي مكتبة صايغ القاهرة ١٩٧٢م ص : ٣٦.

(٥٠) * المصدر السابق ص : ٢١٧.

(٥١) * قراتسياني/ نحو فزان ـــ مصدر سابق.

(٥٢) * مصدر سابق ص : ٢٠٢.

(٥٣) * محمد سعيد القشاط، القرضابية/ ط ١ دار المسيرة ـــ بيروت ١٩٧٨م ص : ٥٧.

(٥٤) * الحشر (٩).

(٥٥) * علي مصطفى المصراتي، سعدون البطل الشهيد ـــ منشورات المكتب التجاري للطباعة / بيروت لبنان ط ١٩٦٤م ص : ٢١.

(٥٦) * صفحات خالدة من جهادنا الوطني/ دار مكتبة الفكر ـــ طرابلس ط ٢، ١٩٧٤م ص : ٣٢.

(٥٧) * سعدون / مصدر سابق ص : ٢١.

(٥٨) * سعدون / مصدر سابق ص : ١٠٤.

(٥٩) * خليفة التليسي ــ معجم معارك الجهاد في ليبيا / دار الثقافة بيروت ١٩٧٢م ص : ٤١٩ــ٤٢٠.
(٦٠) * سعدون / مصدر سابق ص : ١٤٤.
(٦١) * سعدون / مصدر سابق ص : ١٦٦.
(٦٢) * سعدون / مصدر سابق ص : ١٦٧.
(٦٣) * مصدر سابق ص : ٢٠٦.
(٦٤) * انظر مقالنا عن الجهاد الليبي بصفحة الموظف، العدد ٩٢ اكتوبر سنة ١٩٨٢م.
(٦٥) * صفحات خالدة / مصدر سابق ص : ٣٣.
(٦٦) * سعدون / مصدر سابق ص : ٢٠٩ــ٢١١.
(٦٧) * سورة البقرة (٢٠٥).
(٦٨) * مذكرات انريكوا انسباتو / ترجمة عمر الباروني ــ منشورات مركز الجهاد الليبي ط ١ ص : ٢٦.
(٦٩) * لمزيد من التفاصيل انظر كتاب جورج ريمون : من داخل معسكرات ليبيا ــ ترجمة الدكتور عبد الكريم الوافي / مكتبة الفرجاني طرابلس ط ١ ١٩٧٢م ص : ١٢٢.
(٧٠) * سورة الحجرات (١٥)
(٧١) * الطاهر الزاوي جهاد الابطال / دار الفتح للنشر بيروت ط ١٩٧٢م ص : ١٧١.
(٧٢) * معجم معارك الجهاد / مصدر سابق ص : ٣٨٨.
(٧٣) * جهاد الابطال / مصدر سابق ص : ١٨٩.
(٧٤) * السنوسية دين ودولة ص : ١٨١ .
(٧٥) * محمد العيساوي رفع الستار عن ما جاء في كتاب عمر المختار ص : ٢٦.
(٧٦) * آل عمران (١٠٣).
(٧٧) * محمد الطيب الاشهب/ عمر المختار ــ ١٩٥٧م ص : ٣٩ + الطاهر الزاوي/ اعلام ليبيا ط ٢ سنة ١٩٧٢م ص : ٢٩٨.
(٧٧) * مكرر= القصص (٧٧).
(٧٨) * محمد الطاهر الجراري / عمر المختار نشاته وجهاده / لمجموعة مؤلفين / اصدار : مركز جهاد الليبيين ــ طرابلس سنة ١٩٨١م بإشراف د. عقيل البربار ص : ٦٣ مقال الكاتب بنفس الكتاب ص : ١٦٢ .
(٧٩) * الشورى (٣٥).
(٨٠) * آل عمران (١٥٩).
(٨١) * انظر على سبيل المثال مخطوط مقابلة كاتب هذا البحث للمجاهدين المرحومين عبد الله سويل الرقاعي وشعيب الصولدي بالمكتبة الصوتية بمركز دراسة الجهاد الليبي بطرابلس للباحث مخطوط يقع في ٤٥٠ صفحة يحوي العديد من المقابلات.
(٨٢) * من الذين اكدوا هذه الحقيقة ايضا المجاهد صالح عقيلة في روايته لكاتب هذا البحث ١٩٨٠م.
(٨٣) * محمد الغزالي / فقه السيرة ــ دار الكتب الحديثة القاهرة ط ٥ / ١٩٦٥م ص : ٢٤٠.
(٨٤) * الصافات (١٧٣).
(٨٥) * محمد (٨).

(٨٦) * الحج (٢٦).
(٨٧) * من مقالة في كتاب عمر المختار نشاته وجهاده ــ مصدر سابق ص : ٢٣.
(٨٨) * انظر في هذا الشان مقال الكاتب المنشور في كتاب عمر المختار نشاته وجهاده ــ مصدر سابق ص : ١٦٢.
(٨٩) * المصدر السابق ص : ٣٢.
(٩٠) * محمد الطيب الاشهب / عمر المختار ــ مصدر سابق ص : ٥٢.
(٩١) * الاشهب / عمر المختار ــ مصدر سابق ص : ٥٨.
(٩٢) * الطاهر الزاوي / عمر المختار ــ الناشر الفرجاني طرابلس ط ٢ ١٩٧٠م ص : ١٥٣.
(٩٣) * الطاهر الزاوي / عمر المختار ــ مصدر سابق ص : ١٣١.
(٩٤) * رواية المجاهد شعبان المسماري عندما اصطحبته معي سنة ١٩٨١م ليريني المواقع التي جاهد في رحابها عمر المختار واثارها المختلفة + رواية المجاهد محمد الطيب بوفروة في مقابلتي له عام ١٩٨٢م وهو صهر عمر المختار.

(٩٥) ٭ انظر مخطوط مقابلة الباحث مع المجاهد التواتي العرابي المنفي المودعة بمركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي طرابلس . المنطقة ١٤.

(٩٦) ٭ رواية المواطن يوسف حامد مجحود سنة ١٩٧٨م في مقابلتي له بشحات ١٩٨١م.

(٩٦) ٭ مكرر(أ) النساء ٧٠ ٭ الحجر ٦٥ + آل عمران ٢٠٠.

(٩٦) ٭ مكرر (ب) التوبة ١١٦ + ٤٤.

(٩٧) ٭ في حديث حول الجهاد الليبي افادني الدكتور محمد البربار عن مواطن فزاني باع جميع ما يملكه وترك اهله وسافر مشيا على الاقدام الى جبهة القتال بمدينة طرابلس وقدم ماله ونفسه في سبيل دينه وبلاده، وتذكر العديد من الروايات ممن شهدوا الحرب مئات الليبيين الذين قدّموا كل ما يملكون من مال وحيوانات وجاهدوا بانفسهم واستشهدت اسرهم بكاملها في ساحات الشرف ومنهم على سبيل المثال المجاهد الشيخ سليمان ادريس ابو بقوشة — انظر مقابلتنا لابنه ابراهيم سليمان بالمكتبة الصوتية بمركز جهاد الليبيين. المنطقة ١٤.

(٩٨) ٭ انظر شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامي / دار الفكر طرابلس ج ٢ ١٩٧١م شروح ٤٠٢.

(٩٩) ٭ من كتاب الاستعمار الايطالي يبيد الشعب العربي ويهين الدين الاسلامي / مطبوع بالاسكندرية في يناير ١٩٣٢م مجهول المؤلف ص : ١٧ محمد لطفي تاريخ حرب طرابلس — مطبعة فاروق بنها سنة ١٩٤٦م ص : ٢٦.

(١٠٠) ٭ بربشارد ايفانز / السنوسيون في برقة — ترجمة عمر الديراوي، مكتبة الفرجاني طرابلس ط ١ ١٩٤٨م ص : ٣٢.

(١٠١) ٭ جورج ريمون / من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا — تعريب محمد عبد الكريم — مكتبة الفرجاني ط ١ ١٩٨٢م ص : ١١٥.

(١٠٢) ٭ الطاهر الزاوي / جهاد الابطال — دار الفتح بيروت ط ٢، ١٩٧٠م الصفحات : ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

(١٠٣) ٭ من داخل معسكرات الجهاد — مصدر سابق ص : ١٥٧.

(١٠٤) ٭ محمد عبد الرازق مناع / جذور النضال العربي في ليبيا — الناشر مناع ط ٢ ١٩٧٢م ص : ٤٦.

(١٠٥) ٭ حاضر العالم الاسلامي ط ١ ص : ٣٩٨.

(١٠٦) ٭ محمد الطيب الاشهب / عمر المختار ١٩٥٧م ص : ٢١.

(١٠٧) ٭ انظر محمد سعيد القشاط / القرضابية ط ١ ١٩٧٨م بالصفحات : ٢٣، ٣٨، ٤١، ٥١، ٥٧.

(١٠٨) ٭ حضرت بناءً على دعوة من قسم النشر بجمعية الدعوة الاسلامية موجهة إليّ عن طريق مركز الجهاد وقد ابدى القسم استعداده لنشر الكتاب وابدى ملاحظة في الفصل الثاني فقط ملخصها : « الابتعاد عن ابراز دور الافراد والتركيز على دور الجماهير العريقة لانها صانعة الاحداث»، وكان ملخص ردي عليه حينها كالآتي :

١ — المستهدف من الملاحظة متحقق ووارد في ثنايا فصول الكتاب مسبقا .

٢ — قيادات المجاهدين الناجحة كانت شعبية وافرزتها حركة الجماهير واهلتها التجارب الميدانية وقادت الجهاد بعقل جماعي وطبقت الشورى.

٣ — ان ضرورة الالتزام بسرد حوادث التاريخ بامانة املت علي ذكر شخصيات بالاسم وحتمت ابراز ادوارها.

ذلك ما وجب ذكره وانني لشديد الامتنان لملاحظة قسم النشر وربما تسمح الظروف باعادة النظر في الفصل الثاني على ضوئها وبما يحقق مستهدفات البحث التاريخي المبتغاة ايضا وذلك في طبعة قادمة بعون الله تعالى.

الفصــل الثالــث

نظرة عامة في تاريخ الجهاد الليبي

التوسع الاستعماري العالمي
وتمهيد الطليان لغزو ليبيا

كانت فترة اواخر العهد العثماني في ليبيا ما بين سنتي ١٨٣٥ـ١٩١٢م من اكثر فترات الحكم العثماني ضعفا وارتباكا، وقد توافق ذلك مع ظهور موجة الاطماع الاستعمارية الغربية في الوطن العربي.

وترجع شدة الموجة الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الى عوامل يمكن تلخيصها فيما يلي :

١) كسب اسواق جديدة للمنتجات الصناعية.
٢) التنافس من اجل التحكم في مصادر الانتاج الزراعي والمعدني.
٣) حل مشاكل ازدياد السكان.
٤) ظهور دول قومية جديدة تطمح الى القوة والمجد عن طريق ضم ممتلكات جديدة.
٥) الاهمية العسكرية للمستعمرات .
٦) الادعاء بتفوق الحضارة الاوروبية وضرورة نشرها وكذلك التستر وراء الدين لتحقيق الاهداف الاستعمارية .

لقد كانت هذه العوامل مجتمعة وهي الدافعة للايطاليين بالدخول في سباق الاستحواذ على ممالك جديدة وقد فكروا في البداية في استعمار تونس نظرا لوجود جالية لهم فيها ولوقوعها في المجال الحيوي للاطماع الايطالية، ولكن فرنسا كانت قد سبقتهم فبسطت حمايتها عليها بموجب معاهدة (باردو) مع باي تونس سنة ١٨٨١م تنفيذا لمخططها الاستعماري الشمولي الذي بدا بالجزائر سنة ١٩٣٠م وثنّى بتونس ثم ثلّث بالمغرب سنة ١٩١٢م عندما فقد الايطاليون تونس توجهت انظارهم الى الشرق فاستولوا على ارتريا وجنوب الصومال وطمعوا في الحبشة ولكن موقعة عدوه سنة ١٨٩٦م اوقعت بهم الهزيمة واخرت احتلالهم للحبشة إلى سنة ١٩٢٥ وكانت هزيمة ايطاليا في البحوم الاول على الحبشة مدعاة إلى تصميمها على تحقيق مطامعها الاستعمارية التوسعية في مكان اخر فركزت على ليبيا وقررت الاستيلاء عليها تدفعها العوامل الاستعمارية السابقة ومهدت لذلك أولا بخطوات سلمية منها :

١ ــ بحكم المصالح المشتركة بين الدول الاستعمارية ونظرا للتعاون المتبادل بينها في هذا المجال فقد حصلت ايطاليا على موافقة مسبقة من الدول الاستعمارية الكبرى.

٢ ــ فتحت فروع مصرف روما سنة ١٩٠٥م في ليبيا ونشرت فروعه وبررت تدخلها بحجة حماية مصالحها الاقتصادية التي اوجدها هذا المصرف لقصد استعماري مدروس ومتعمد وقد صرح وزير خارجية ايطاليا حينذاك بقوله :

(ان جميع عملنا في تلك البلاد طرابلس وبرقة يجب بالضرورة ان يتركز في المؤسسة المذكورة وهي (بنك روما)[1]. وقد كان هذا المصرف ينفذ المخطط الاستعماري بتمكن ويربط صلته برجال الكنيسة والحكم في ايطاليا وبلغ به في سبيل الاسراع بالغزو ان اظهر عزمه الكاذب على بيع منشآته الى المانيا والنمسا مدعيا شدة المقاومة التركية وعرقلتها لأعماله.

٣ ــ عملت على استمالة بعض الشخصيات المحلية ذات الوجاهة الاجتماعية والطامعة في المصالح الاقتصادية وبالتأكيد لولا معاونة بعض الليبيين لها ما تمكنت من ضرب المقاومة وانهاء حركة الجهاد فيما بعد.

٤ ــ استغلت التذمر الشعبي من الحكم التركي وابرزت فوائد التعاون معها، وحاولت ابعاد المناوئين لسياستها من الاتراك في ليبيا امثال الوالي رجب باشا ١٩٠٤ ــ ١٩٠٩م وهو الذي كان يعمل بجدية على عرقلة المخططات الاستعمارية التي يباشرها مصرف روما، وقد جاء في مراسلات الصحفي الايطالي الرحالة (جيرالد رولفس) ١٩٠٥م ما يلي :

«ان الوطنيين الناقمين على الحكم التركي ينتظرون وصول الايطاليين المحررين»[2].

٥ ــ فتحت ايطاليا المدارس المجانية في ليبيا لنشر الثقافة الايطالية كما فتحت المستشفيات لترغيب الناس والتاثير عليهم وزيادة عدد المهاجرين منها الى ليبيا.

٦ ــ ارسلت البعثات تحت ستار البحث العلمي ولكنها كانت تقوم بدراسة اوضاع البلاد ووضع الخرايط والصور لها.

٧ ــ وجهت الراي العام الايطالي وجندت وسائل الاعلام وبشكل مكثف للتركيز على اهمية ليبيا الاقتصادية كما جاء في مراسلات الرحالة الايطالي (رولفس) الى رئيس الوزراء «كريسبي» سنة ١٨٩٥م اذ يقول :

«ان طرابلس وبرقة غنيتان بالمواد الطبيعية لدرجة تعوض اية نفقات تبذل في سبيل احتلالهما»(٣).

٨ ـــ واخيرا ادعت ايطاليا بان الليبيين والولاة العثمانيين يسيئون معاملة رعاياها فانذرت تركيا بالتدخل لاحتلال ليبيا في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١١م ثم اعلنت الحرب على تركيا في ٢٩ سبتمبر ١٩١١م.

٩ ـــ عملت ايطاليا على تشجيع الهجرة الى ليبيا وخاصة للايطاليين الذين هم من اصل يهودي وكانت الحكومة الايطالية منذ سنة ١٨٧٨م في عهد «اوغستيني» قد ارسلت الكثير من القساوسة الجواسيس وسلكت نفس الخطة حكومة «المركيز دي دوبيني» فارسلت شخصيات لها دورها البارز في التخطيط المسبق للاستعمار امثال «كامبيرو» و«مامولي» وغيرهما، ومن المؤكد وفقا لمجريات الامور عامة في ذلك الوقت ان ساسة ايطاليا تبنوا فكرة احتلال ليبيا منذ سنة ١٨٦٠م.

الغطرسة الاستعمارية الايطالية وفشلها امام قوة عقيدة الجهاد

كانت ايطاليا هي اقل الدول الاوروبية المتطلعة للاستعمار شانا ولكنها قياسا بوضع العثمانيين المتردي «كانت على درجة من التفوق العسكري والتنظيم الحربي»(٤).

وقد نتج عن شعور ايطاليا بقوتها وتفوقها ذلك التهور الاحمق الذي جعلها تقرر ان عملية احتلالها لليبيا لا تعدو كونها نزهة بحرية يسيرة فلما قوبلت بصمود شعبنا البطل المدافع عن عقيدته ووطنه وشرفه انقلب شعورها بالبطولة الى هزيمة ولدت قسوة ووحشية اكتوى بنارها جميع الليبيين كبارا وصغارا مما جعل المراسلين الاجانب المرافقين للحملة يعترفون بوحشية ايطاليا وقسوتها، بل اعترفت بذلك الصحف الايطالية المعارضة نفسها فمقال الكاتب الايطالي «باولو فاليرا» في صحيفة «لافولا» العدد ١٤٠ الصادرة في ميلانو ١٩١٢م كان مما جاء فيه ما يلي :

«لا مثيل ان الحرب اصبحت هدرا للدماء بالجملة وقتلا عاما للانسان ـــ تنفيذ اعدام لا مثيل له ـــ فلجرم اقترفه ثلاثة او اربعة من العرب اصبح جميع العرب مذنبين». وجاء فيه ايضا : «كان كرنفالا من الدماء مملوءا بالفضاعة والمذابح والجنون»(٥).

هذا ولقد كان الشعب الليبي الذي افقد الطليان صوابهم منذ الايام الاولى للغزو يخوض ايضا حربا ضروسا ضد الغزو الاستعماري الفرنسي لجنوب افريقيا، وافريقيا الوسطى بلغت مرحلة عنفوانها فيما بين عامي ١٩٠٢ ـــ ١٩١٤م ومع ذلك فاننا نجد السيد احمد الشريف وهو ابرز قادة هذه الحرب يعلن الجهاد ايضا ضد الطليان الذين نزلوا في السواحل الشمالية الليبية ملتزما في ذلك بما تامره به العقيدة لان جهاد المؤمن ضد اعداء العقيدة من اقدس الواجبات حتى وان تعددت جبهات القتال.

الحاميات التركية في ليبيا ووقوفها ضد اعداء الاســلام

لقد قاومت الحاميات التركية الضعيفة في البداية الغزو الايطالي للمدن الساحلية الرئيسية رغم المآخذ التي سجلت على بعض ولاة الاتراك بليبيا في السابق «واهمال شؤون الولايات في عهد جماعة الاتحاد والترقي»(٦).

وكذلك تخلى تركيا عن ليبيا للطليان بمقتضى معاهدة اوشي سنة ١٩١٢م الا اننا لا يجب ان ننسى الموقف المشرف الذي وقفه بعض الضباط الاتراك ومنهم مجموعة ضباط «تشكيلاتي مخصوصة التركية» وخاصة عندما راوا تصميم الشعب الليبي القاطع وتصديه الحازم للطليان منذ ظهور الطلائع الاولى لجيوشهم على الشواطىء الليبية ولا يمكن لنا الا ان نسجل بالتقدير موقف الفصائل المؤمنة من العسكريين الاتراك الذين كانوا داخل ليبيا عند الغزو والذين دفعهم عامل حماية العقيدة للحضور من بلادهم لمشاركة الليبيين شرف الجهاد وهذه شهادة الكاتب الانجليزي «فرنسيس ماكولا» وهو احد الذين شهدوا الايام الاولى للغزو يسجل لنا في كتابه الموقف الصلب للضباط الاتراك في الدفاع عن طرابلس فيقول :

«كان القائد التركي مصمما بعناد على الدفاع عن كل شبر من الارض الليبية والهلاك مع رجاله تحت حطام طرابلس، وقد ايده في هذا التصميم كل ضباطه»(٧).

هذا ولقد تنبه الاتراك الى خطر المخططات الايطالية قبل الغزو بفترة كبيرة حيث افادت بعض الرسائل المتبادلة بين المقواطنين الليبيين بان الاتراك طبقوا نظام التدريب العسكري على المواطنين استعدادا واعدادا لهم للجهاد»(٨).

صمود الليبيين ضد الطليان وأثر ذلك في وقوف المسلمين معهم

كما ان متصرف طرابلس العثماني الدكتور رشيد اخذ ينبه الاذهان الى حقيقة نوايا الطليان «ويحذر الوطنيين من نشاط مصرف وما ورغبته في ان يوقع الاهلين في شراك الديون حتى يتخذ الطليان من ذلك ذريعة لادعاء المحافظة على مصالحهم المالية في بلاد»[٩].

ورغم انسحاب العثمانيين الجزئي من المدن الساحلية فانهم ما لبثوا — تحت الحاح قادة الجهاد الليبي وبدافع حماية العقيدة — ن شكلوا معسكرات نظامية قاومت الطليان ببسالة.

ان الاخوة الرائعة التي ربطت بين الليبيين وبين مجموعة من الضباط الاتراك الذين حضروا من اماكن بعيدة مفضلين حياة جهاد على حياة الرفاهية والاستقرار مصدرها الدين وليس العرق فهي اخوة دينية وحمية اسلامية ولّدت شعورا فيّاضا لدى الطرفين ي مجابهة اعداء الدين والحياة.

يقول الرحالة الفرنسي «جورج ريمون» وهو احد الصحفيين الذي شهدوا بداية الغزو الايطالي لليبيا :

«ان الصمود والمقاومة يتطلبان زيادة على الشجاعة التي — اعترف انا بان كلا من الاتراك والليبيين يتحلّون بها — تاهيلا قدرة عسكرية وصبرا وحنكة سياسية فما هي وسائلهم وما هي دوافعهم الى اذكاء هذه المقاومة، وهذا الجهاد، وهذا الصمود ؟

ان الكل هنا يجمع على رد واحد على اسئلتي هذه. انه الدين الاسلامي»[١٠].

ان العامل الديني كان هو المسيطر على مشاعر جميع المسلمين الذين ايدوا بشكل قاطع — وفي كافة ديارهم وعلى اختلاف ومياتهم — كل جهد معنوي او مادي لدفع العدوان عن ليبيا.

قول الدكتور التركي **«اورخان كولوغلو»** :

تقاسم كافة المسلمين هذه الرغبة في القتال حتى تمخض هذا الاتجاه عن تيار اعم انتشارا وهو الجهاد». كما اوجد الجهاد ليبي الفريد ضد الطليان شعورا متزايدا عن العرب بضرورة القيام بثورات مماثلة ضد المستعمرين «ولم يلبث هذا الشعور ان دخل يز التطبيق الفعلي في تونس والجزائر»[١١].

الوعي الليبي المبكر باساليب الاستعمار الايطالـي

ان وعي الليبينن المبكر باهداف الاستعمار تثبته العديد من الاحداث. فلقد ادركوا هم ايضا المرامي البعيدة التي كانت ترمي يها ايطاليا من ارسال البعثات العلمية التي كانت في الواقع جماعات عسكرية تجسسية وكانوا يدركون مخاطر الوقوع في شراك بنك روما» وينبهون الى خطورة سيطرة الطليان على سبل المواصلات البرية بين ليبيا وتركيا»[١٢].

لقد ادرك الليبيون المخاطر التي تحيق ببلادهم وحذّروا من مغبة الاستهانة بها قبل الاحتلال الايطالي بمدة طويلة وليس ادل لى ذلك من عريضة الاحتجاج الطويلة التي تقدم بها نواب طرابلس في مجلس «المبعوثان» الى الحكومة التركية حيث انتقدوا يها بشدة السياسة التي اتبعتها قبل حدوث الغزو والمتمثلة في اهمال الجيش ونقص السلاح واخراج الكفاءات العسكرية المعادية لاطماع الايطالية[١٣].

فلما نفذت ايطاليا تهديداتها المستمرة باحتلال ليبيا وضربت المدن الساحلية الليبية ابتداء من يوم ٣ اكتوبر ١٩١١م كان ليبيون اول من تصدى للعدوان واجبر السفن الحربية الايطالية على عدم انزال الجنود لعدة ايام ثم حاصروهم داخل استحكاماتهم محصنة على الشواطىء بعد ذلك لمدة طويلة من الزمن.

ويؤكد «جورج ريمون» سرعة الاستجابة للجهاد والحماس للقتال عند الليبيين فيورد حديث احد قادة الجهاد الذي جاء يه قوله :

«اخذ المجاهدون يتوافدون من كل صوب وحدب وكانوا يقبلون على معسكر الجهاد في حشود هائلة مهترئي الثياب وقد رحوا باسلحتهم باعثين من حناجرهم صيحات مزمجرة وتهليلات مجلجلة تقول : الى الجهاد... الى الجهاد في سبيل الله ومتغنين اغان واهازيج وطنية وحربية وكان من بينهم حتى الشيوخ والاطفال الذين كانوا يئنون تحت ثقل بنادقهم بل كان من بينهم كذلك تى النساء اللاتي خضن غمار الحرب بكل بسالة»[١٤].

لقد اوردت وصف ثلاث معارك من معارك الجهاد الليبي الاولى في ثلاث مدن متباعدة تقع على الساحل الليبي وكان وصفها بلسان الغزاة انفسهم ومنها نتبين بصورة جلية شدة المقاومة الليبية للطليان منذ البداية في الحرب التي قادها ليبيون بارزون في ميادين الجهاد يذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سليمان الباروني وفرحات الزاوي في طرابلس، ولقد استجاب لدعوة الجهاد معهم الكثير من ابناء الدواخل البعيدة امثال المجاهد الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي والمجاهد الشيخ محمد سوف المحمودي، وفي الخمس قاد المقاومة المجاهدان بشير السعداوي، وعبد الرحمان الزقلعي وانضمت اليهم قبائل الدواخل والمناطق المجاورة، ومن بين الابطال الذين استجابوا لدعوة الجهاد بتلك المنطقة المجاهد الكبير عبد العاطي الجرم الحسوني كما قاد مشائخ الزوايا في غرب ليبيا مناطقهم الى ساحات الجهاد ونسّقوا مع السيد احمد الشريف ومنهم السيد السّني، وابو بكر قرزة لقيادة اولاد ابو سيف وحامد بركان لقيادة سوكنة وعبد الوهاب العيساوي لقيادة طرابلس ومحمد علي بن عبد الشفيع لقيادة سرت وغيرهم من القادة»[١٧].

وفي مصراتة قاد المقاومة ايضا الشيخ احمد المنقوش الذي اسهم بفعالية في معارك مدينة طرابلس نفسها[١٨].

واسهم في الجهاد ايضا بتلك النواحي اهل فزان والمناطق المجاورة لها وهم الذين كانوا قد اكتسبوا مرانا وخبرة بالحرب اثناء جهادهم ضد الفرنسيين في الصحراء والسودان الغربي وكان من قادتهم احمد بن حسن ومهدي بن موسى ومن سرت تحركت لمواقع القتال قبائل اولاد سليمان ومن جاورهم وكان من قادتهم سيف النصر والعديد من القبائل والمحلات الكثيرة الاخرى بقيادة زعمائها ومشائخها، وكان يطلق على المعسكرات في غرب ليبيا المحلات اما في شرق ليبيا فتسمى الادوار[١٩].

وكان المشائخ ورجال الدين هم قادة الجهاد وهم اول من حث الناس والهب حماسهم للقتال ليس في البادية فقط وانما في المدن الرئيسية ايضا فقد اكد الضابط التركي المقدم يوسف جمال هذه الحقيقة في معرض حديثه مع الرحالة «جورج ريمون» فقال :

«اسرع الزعيم الليبي سليمان الباروني وبعض رجال الدين الى جمع المجاهدين والى الدعوة الى المقاومة والجهاد ضد العدو المغتصب فما لبثت مدينة طرابلس ان حققت عددا من الانتصارات الحربية التي شلت قدرة الايطاليين على الحركة»[٢٠].

اما في شرق ليبيا فقد تجمعت في بنغازي الكثير من القبائل في دور بنينا بقيادة مشائخ الزوايا ومنهم عمران السكوري على راس قبيلة العرفة والتواتي الكليلي على راس قبيلة الدرسة وحسن الغماري على راس قبيلتي العشيبات والعبادلة وعبد الله الاشهب على راس قبيلة السديدي العواقير ومحمد المحجوبي على راس قبيلة المطاوع العواقير وعمر المختار «شيخ الشهداء» على راس قبيلة العبيد، وفي درنة تكوّن دور الظهر الحمر من القبائل المجاورة لها بقيادة مشائخ الزوايا ومنهم محمد الدرفي على راس قبيلة الحاسة وحسين الحلاقي والحبيب بن جلول/ وحمد بوفارس المرتضي فركاش وعبد الله ابو سيف ومحمد الغزالي على راس قبائل العبيدات والسنوسي الغماري وجاد الله الجبالي ومحمد العيساوي على راس قبائل الدرسة والعلمي الغماري والمبروك البرعصي ومحمد العربي ومحمد بن عمور/على راس قبائل البراعصة وصالح بن اسماعيل على راس قبيلة قايد والعديد من القبائل والعائلات الاخرى مع قادتها ممن قد اغفلت المصادر التاريخية القديمة والروايات الشفوية ،ذكرهم او دخلوا ضمن مجموع القبائل الكبيرة تكون كذلك دور طبرق حيث تنادت القبائل المجاورة بقيادة مشائخ الزوايا ومنهم محمد بن عبد الله على راس قبائل القطعان والشواعر ومحمد الشارف على راس قبائل حبون والمرتضي الغرياني على راس قبائل المنفة وصالح الشريف على راس قبائل العبيدات كما شارك الكثير من ابناء غرب مصر في الجهاد مع اخوانهم الليبيين بقيادة بعض الزعماء امثال محمد جبريل[٢١]. كانت مشاركة مشائخ الزوايا واعيان القبائل في الجهاد حافزا كبيرا لعامة الناس بالتدافع الى ساحات الحرب وباستثناء قلة قليلة سجلت على نفسها عار الانحياز الى جانب العدو في فترات لاحقة من الجهاد نتيجة وقوعها في قبضة الهيمنة الاستعمارية وخضوعها لسياسة التوجيه والاجبار بحكم ظروف خاصة مرت بها. اقول باستثناء تلك الفئة يبقى لنا ان نصف موقف المجاهدين بانه الموقف الثابت والحازم وخاصة ثبات المجاهد احمد الشريف على مبدإ الجهاد في سبيل الله وعدم التزحزح قيد انملة عن هذا الموقف المشرّف ويظهر واضحا كل الوضوح في كتابه «بغية المساعد في احكام المجاهد» الذي الّفه في الحث على الجهاد وكان مما جاء فيه : «ان عليكم اخذ الاهبة والاستعداد ودفع الذل عن انفسكم بالرجوع الى الجهاد فقد تقلدتم بالدين وبايعتم الله على سلوك سبيل المهتدين».

وجاء فيه ايضا : «اسرعوا الى تقليص ظل العدو عن بلادكم ومدافعته عن ساحتكم وبادروا عليل الاسلام قبل ان يموت وتداركوا ما عسى ان يفوت» وورد فيه ايضا : «ان الموت في الجهاد هو منتهى ارب اللبيب اذ هو الحياة الحقيقية وكمال المنزلة». وقد كان احمد الشريف يهدف الى توحيد المجاهدين في كامل التراب الليبي بدليل ان رسالته في الجهاد كانت موجهة للجميع حيث جاء فيها قوله :

«اخاطب بهذه الرسالة الموسومة باسم «بغية المساعد في احكام المجاهدين، اهل النفوس الابية المحافظين على الشريعة المرعية اهل وطننا ذوي الغيرة الاسلامية والنجدة الايمانية من السلوم الى حد تونس المعلوم هدانا الله واياهم الى اتباع الطريقة المحمدية»[٢٢].

هذا واذا كان لليبيين شرف المبادرة باعلان الجهاد ضد الكفار والتصدي للغزو بانفسهم منذ البداية فان الفضل في تنظيمهم ورسم الخطط الحربية لهم كان للضباط الاتراك ومنهم من كان متواجدا بليبيا قبل بداية الحرب واكثرهم من منظمة ضباط «تشكيلاتي مخصوصة» التي توافد افرادها تباعا الى ليبيا وعاونهم المصريون والتونسيون على الدخول وقد قاد هؤلاء الضباط هدف الدفاع عن الاسلام وقدم لهم الدعم المستمر بعض المسؤولين الاتراك ورجال الدين في بعض الاقطار الاسلامية[٢٣].

التزم الضباط الاتراك منذ دخولهم الى ليبيا بتنظيم وتدريب الادوار في العديد من المناطق بليبيا حيث تولى ادهم باشا الحلبي دور طبرق، وكمال بك دور درنة وعزيز بك دور بنغازي، عبد القادر الغناي دور الجبل الاخضر وكانوا تحت قيادة القائد العام انور باشا ومقره في منطقة «عين بومنصور» بدرنة فهو قائد الحرب بينما تولى احمد الشريف القيادة العسكرية والسياسية العليا[٢٤]. اما في غرب ليبيا فقد تولى القيادة العامة العقيد نشأت وعاونه المقدم فتحي بي وكان مقر القيادة بمنطقة العزيزية وتوزع بقية ضباطه في المناطق لقيادة المحلات التي تجمعت للجهاد ففي الخمس كان خليل بي وفي مصراتة كان النقيب حقبي وفي طرابلس عدة ضباط ،كان ابرزهم المدفعي احمد شكري والنقيب طاهر بك[٢٥].

صمود الليبيين واساليب قتالهم
واثر ذلك في الساحة الاسلاميــة

وقعت اغلب معارك الجهاد في بداية الحرب في المناطق الساحلية والمواني ذات الصلاحية الجيدة للانزال وتميزت بصمود اسطوري من قبل المجاهدين، وتبعثر وارتباك ملحوظ بين قطاعات جيش العدو الغازي ثم لم تلبث الكثرة العددية والتفوق في العتاد وحرب الابادة الوحشية التي اتبعها العدو ان جعلت المجاهدين يتقهقرون عن مواقعهم بالمدن الساحلية الى الضواحي ثم طبقوا فيما بعد أسلوبا دلّل على امتلاكهم للمقدرة القتالية وفهمهم للاستراتيجية الحربية وتمثل هذا الاسلوب في جرهم للعدو الى المناطق المكشوفة والاودية ومن ثم محاصرته وضربه ضربات قاسمة بعد ابعاده عن مراكز/تموينه الرئيسية وطبقوا نظام المحلات والادوار المتنقلة والمجموعات المنتشرة مما خفف من خسائرهم في الارواح الى حد كبير كما اعتمدوا اسلوب الضرب القوي المؤثر والانسحاب السريع المنظم وفي الغالب الاعم كانوا يخوضون معاركهم بعيدا عن منتجعات الاهالي فان فاجأهم العدو قربها شاغلوه بحركات انتشار ثم التفاف منظم حول اجنحته حتى يرهبوه ويوقعوا به الخسائر فينسحب وعندها يوجهون اليه اقسى واشد الضربات ولذلك نجد احد ضباط العدو الايطالي يقول :

«لا طائل من التصرف ضد عدو لا يواجهنا الا في صفوف مبعثرة ويعرف كيف يستفيد الى اقصى حد من طبيعة الأرض سواء في الهجوم او عند تربصه داخل مواقعه ومكامنه»(٢٦). ان الدارس لتاريخ الجهاد الليبي سيجد المعارك ضد الايطاليين قد غطت كامل التراب الليبي من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق وحتى اولئك الذين اجبرتهم حرب الابادة الجماعية للبشر والتدمير المتعمد للضرع والزرع على الهجرة شرقا او غربا او جنوبا نجدهم يخوضون المعركة تلو المعركة في كل المناطق التي مروا بها الى ان خرجوا من التراب الليبي ودليل ذلك وقوع الكثير من المعارك على الحدود مع مصر وتونس وتشاد ومنها ما وقع في داخل اراضي هذه الاقطار نفسها وساهم فيها ابناء تلك الاقطار الى جانب الليبيين بينما كانت الدول المستعمرة لتلك المناطق تساند الطليان فالحرب كانت من الوجهة القومية عرب ضد رومان ومن الوجهة الدينية اسلام ضد كفر مع بروز العامل الثاني بوضوح وجلاء في الجهاد الليبي خاصة وفي الثورات العربية ضد الاستعمار المعاصرة له والمتاثرة به.

يقول احمد عرابي البطل المصري المعروف في مذكراته وهو بمنفاه بجزيرة سيلان «اننا نقاتل اعداء المسلمين الذين يريدون ان يستولوا على بلادنا الاسلامية وان، الجهاد في سبيل الدين والمال والوطن فرض واجب علينا»(٢٧)»، لقد مرت ليبيا اثناء مراحل الجهاد الطويل ضد الطليان بظروف معيشية وسياسية صعبة اذ عانت من الجوع والمرض اشد الويلات كما عانت من سياسة المعاهدات والاتفاقيات الهزيلة المبنية على الخداع وشهدت صنوف قهر مريع من جراء انظمام بعض الليبيين الى صفوف العدو بسبب عدم توحد حركة الجهاد واطماع الزعامة والسيطرة.

لقد ادت تلك المشاكل الى اضعاف شديد لحركة الجهاد ورغم ذلك فقد إستمرت الوقائع الحربية على كامل التراب الليبي تتلاحق وتتواصل فلو تتبعنا سير المعارك والاشتباكات عبر سنوات الاحتلال سنة بسنة لتبين لنا انها استمرت لتشمل المناطق الساحلية والدواخل والواحات اما في عامي ١٩١١م و ١٩١٢م فان العدو لم يستطع — رغم قوته الرهيبة — ان يبتعد عن الساحل نظرا لشدة المقاومة الاسطوريةل التي واجهته والتي يتحدث عنها احد قادته «اللواء اميليو» فيقول : «العرب صامدون لا يتوقفون ضايقتهم الاطلاقات وضايقتهم الحراب فاستعملوا ما سورات البندقية كهراوة وقد وجدت بينهم نساء انهن وحوش ضارية»(٢٨).

وكان يعني بهذا صمود المجاهدين في معركة النخلتين بمنطقة بنغازي سنة ١٩١١م كما وصف قائد آخر وهو «الجنرال ترومبي» معارك الشط والهاني والمنشية «بانها اعنف واشرس المعارك التي خاضها الجيش الايطالي في ليبيا»(٢٩).

وعن جهاد همر المختار الذي قاد آخر حروب المقاومة ضد العدو يتحدث ابرز قادة الطليان «قراتسياني» فيقول : «ان قوات الثورة تحت قيادة رجال مهمين من امثال صالح الاطيوش وعبد الجليل سيف النصر وحمود بن شغيلي وحمد بن شريف وعبد الحميد بومطاري الذين قابلوا قوتنا الكبيرة بكل عددها وعدتها من دبابات وطائرات وانها معركة غير متكافئة، ورغم هذا كله كانوا اشداء اقوياء صامدين صابرين لا يتقهقرون ابدا حتى ولو ادى ذلك لفنائهم جميعا مؤمنين بانهم اصحاب حق وشجاعة»

ان هؤلاء القادة والكثيرين غيرهم من رجال الجهاد في ليبيا لا تستغرب من جانبهم مواقف العزة والشرف لأنهم تربوا في رحاب مدرسة الجهاد الليبية الرائدة وعلمهم قادة افذاذ امثال عمر المختار الذي تحدث عنه اشد اعدائه فضاضة وقسوة الجنرال «قراتسياني» فقال : «هذا الرجل اسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومن الاسر واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام لأنه الراس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في برقة وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة»(٣٠).

ان التركيز على ظاهرة صمود الليبيين ضد الغزاة وخاصة في العامين الاولين من الحرب راجع الى الفارق الهائل بين قوة العدو الهائلة عددا وعدة وتنظيما في مقابل خبرة الليبيين البسيطة وعددهم القليل وعدتهم البدائية وقد اقتضى الواجب في مجال التاريخ ان اعتمد شهادات قادة الاعداء متعمدا مبتعدا عن الاستناد الى ادلة من اقوال قادة الجهاد الليبيين رغم كثرتها وصدقها حتى لا يعد ذلك انحياز مقصودا الى جانبهم ومن الواضح الجلي بعد العامين الاولين ان المجاهدين الليبيين اكتسبوا خبرة واسعة في

مقارعة العدو الى جانب فطرتهم القتالية السابقة واستعدادهم النفسي والبدني بحكم حياة البادية القاسية وبفضل ايمانهم القوي والعميق وتشبعهم بمبدإ الجهاد والتصدي لاعداء العقيدة مما جعل جهادهم موضع فخر واعتزاز لهم وللعروبة والاسلام في كافة ديارها فاوجد تاثيرا ظاهر الوضوح في حركات التحرر العربية والاسلامية التي عاصرته او جاءت بعده واكتسب تاييدا عمليا من الغيورين على الاسلام ونصرته حيث اشترك مع الليبيين في الجهاد اخوة قدموا من السودان ومصر وتونس والجزائر والشام وافغانستان وغيرها.
لقد كان التجاوب السريع[٣١] والنجدة الفورية للمجاهدين الليبيين من قبل اخوانهم العرب والمسلمين راجع الى عدة امور : اولها ان الليبيين في السابق شاركوا بفعالية وحماس في حركات التحرر مع اخوانهم العرب المسلمين بدليل اشتراكهم مع المصريين في محاولة صد الانجليز عندما هاجموا مصر ١٨٨٢م كما شاركوا بشكل جماعي او بجهود فردية في الكثير من حركات الصمود والتحرر بمناطق كثيرة اخرى وثانيها : ان الحرب الليبية الايطالية كانت قد وقعت في فترة صحوة اسلامية عارمة مصدرها الخوف من ضعف المسلمين وزوال الخلافة المتمثلة في العثمانيين وكانت ليبيا آخر مناطق نفوذهم في افريقيا.

وثالثها : المعاناة التي عاشتها الاقطار العربية الاسلامية التي خضعت للاستعمار وجربت اساليبه وادركت خطورته عندما خضعت له في سنوات سابقة.

ورابعها : انتشار اخبار تصدي الليبيين للطليان وشراسة الهجمة الاستعمارية عليهم في جميع الاقطار نتيجة الاعلام المكثف عن الغزو من قبل المراسلين الحربيين الذين اصطحبتهم ايطاليا معها لتغطية ما اسمته غرورا وصلفا بالنزهة البحرية لاحتلال ليبيا.

وخامسها : وهو الاهم رغبة صادقة في الجهاد وحماس عارم في النزال من قبل المسلمين والعرب غيرة على الاسلام وذودا عن العقيدة. ان مستجدات الاحداث المتلاحقة والظروف السياسية الدولية العامة اثرت بالتاكيد على مجريات الحرب فعقب معاهدة اوشي التي تنازلت فيها تركيا عن ليبيا سنة ١٩١٢م ظهر فريق يحبذ الصلح مع العدو وفي منطقة طرابلس كما تخلى بعض الضباط الاتراك عن قيادتهم لليبيين في منطقة برقة، ولم يفت في عضد الغالبية العظمى من قادة الجهاد وجموع المقاتلين الشرفاء اذ ان اكثرهم قرروا استمرار الجهاد ضد العدو ففي غرب ليبيا ورغم هزيمة المجاهدين في معركة جندوبة سنة ١٩١٣م وهجرة بعض القادة عبر الحدود التونسية الى الخارج فان البعض الآخر من القادة خرجوا من الامتحان العسير في معركة جندوبة وغيرها من الوقائع وهم اصلب عودا واكثر صمودا وواصلوا مسيرة الوفاء الصادق لمبدإ الجهاد كما راينا في موقف الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي والشيخ عبد الوهاب الطبولي في بني وليد وخليفة بن عسكر في اكثر سنوات جهاده وغيرهم.

اما في شرق ليبيا فان زمام القيادة الميدانية والتخطيط للمعارك استلمه المناضل احمد الشريف شخصيا اذ قاد معركة يوم الجمعة ١٦ مايو ١٩١٣م وحقق فيها انتصارا مشهورا[٣٢] مما اكد ويؤكد تاثير القادة المخلصين من رجال الدين في جموع المقاتلين ولقد كان احمد الشريف من ابرزهم واكثرهم ثباتا في وفائه للدفاع عن العقيدة وتذكر الروايات ان مجيئه لمواقع الحرب

واستلامه للقيادة الميدانية بنفسه احدث دفعا معنويا متناميا واثّر في نفوس الناس فحققوا انتصارا كبيرا وهم الذين كانوا قد هزموا قبل ذلك في بعض المعارك ويرى المؤرخ خليفة التليسي ان الطليان ادركوا خطورة تولي العناصر الليبية القيادة الفعلية ومدى تاثيرها في ضربهم فخططوا لمزيد من العمليات الحربية المتواصلة وبدأوا بالفعل في احكام سيطرتهم على كثير من المناطق[٣٣].

قيام الحرب الكونية الاولى سنة ١٩١٤م / ١٩١٨م
وتاثيرها على الجهاد الليبي

كان قيام الحرب الكونية الاولى ١٩١٤م ــ ١٩١٨م واشتراك الايطاليين فيها وسحبهم لكثير من جنودهم في ليبيا وخاصة من المناطق الداخلية من العوامل الاساسية في اشتداد ضربات المجاهدين لجيوش الطليان والتضييق عليها لدفعها الى الانسحاب الكلي ونتيجة لذلك وقعت الكثير من المعارك الهامة والمشرفة من بينها معارك : القاهرة بسبها سنة ١٩١٤م ووادي مرسيط سنة ١٩١٥م والقرضابية سنة ١٩١٥م وفي الواقع ان المعارك فيما بين عامي ١٩١٣م و ١٩١٥م ردة فعل من الطليان ضد ظهور قيادات ليبية شجاعة وذات كفاءة حربية وبداية من معركة القرضابية سنة ١٩١٥م بدأ ما عرف في الحرب الليبية الايطالية بمرحلة الثورة المنظمة والموحدة ضد الغزاة الطليان فانحسر المد الاستعماري عن كثير من المناطق الداخلية الليبية وحتى من بعض مدن الساحل وانكمشت جيوش العدو في مناطق بنغازي وطرابلس والخمس وطلميثة ودرنة وطبرق على الساحل وفي بعض المدن القريبة منه ذات المناعة الطبيعية والتحصين الجيد كشحات والمرج وغيرها.

امتد تأثير الاحداث الدولية السياسية العالمية الى ليبيا وخلقت استراتيجيات الحرب المزيد من المتاعب للمجاهدين الليبيين حيث اقحم المجاهد احمد الشريف في الهجوم الذي خطط له الاتراك ونفذوه بقطاعات من الليبيين والاتراك ضد الانجليز في مصر سنة ١٩١٦م وكان المجاهد احمد الشريف الذي عرف عنه كراهيته الشديدة للاستعمار عامة يرى ان الهجوم على مصر في تلك الفترة يقفل في وجه المجاهدين الباب الوحيد المتبقي لعونهم غير ان الضباط الاتراك بمعاونة اصحاب الولاء الدائم لهم دبروا اول خطة للهجوم ونفذوها بالفعل (٣٤) .

ورغم تقهقر القوات الانجليزية امام الهجومات الاولى لجيش احمد الشريف الا ان الهزائم تلاحقت بعد ذلك عليه نتيجة الفارق الكبير بين القوتين من حيث السلاح والعتاد الحربي كما تلاحقت احداث الحرب العالمية الاولى وتطورت لتسفر عن هزيمة الاتراك في شرق مصر. ولذلك رجع جيش احمد الشريف الى الجغبوب بعد ان كانت بعض قطاعاته قد توجهت عبر الواحات المصرية الجنوبية قاصدة مساندة الاتراك(٣٥).

ولقد تكبد المجاهدون الليبيون من جيش احمد الشريف خسائر فادحة في الارواح نتيجة الحرب والجوع والمرض والعطش وخاصة في طريق العودة(٣٦).

عندما دخل احمد الشريف بجيوشه الحدود الليبية وجد البلاد تتعرض لظروف طبيعية وصحية قاسية كما وجد تطورا في الاحداث السياسية اذ عقد ابن عمه «الامير ادريس السنوسي» معاهدتين مع الطليان والانجليز في برقة فآثر ان يتوجه بالبقية المتهالكة من جنوده الى الغرب سالكا طريق الواحات الجنوبية حتى وصل منطقة سرت وكان يامل مجددا في تضافر الجهود وخلق الوحدة بين المجاهدين خاصة وان العثمانيين كانوا قبل ذلك قد منحوه «لقب نائب السلطان في شمال افريقيا»(٣٧) غير انه ما ان وصل تلك المنطقة حتى لعبت السياسة الاستعمارية دورا خطيرا ومكثفا في زرع الفتن وحبك الدسائس بين المجاهدين وتكالبت المشاكل على المجاهد احمد الشريف واستعصت الحلول واستشرت المطامع وبرزت الفتن من جهة وسياسة المهادنة من جهة اخرى مما اضطر المجاهد احمد الشريف وارغمه على ترك ساحة الجهاد على امل العودة لها عند اول تطور يحدث مستقبلا لصالح قضية الجهاد بدليل انه ظل على اتصاله بالمجاهدين واكدت رسائله واقواله هذا العزم في العودة لاستئناف الجهاد من جديد والسعي لتوحيد البلاد حتى آخر ايامه(٣٨). يتحدث الشيخ الطاهر الزاوي معلقا على رد احمد الشريف على مندوب الايطاليين اليه وتمسكه بحقوق طرابلس وبرقة فيقول : «نحن نقدر للسيد احمد الشريف هذا الموقف المشرف من القضية الطرابلسية وتمسكه بحقوق طرابلس وبرقة على السواء واعتبارهما وحدة لا تتجزأ وما اشترطه على االطليان من شروط كلها في مصلحة الوطن واهله»(٣٩).

كانت سياسة المعاهدات في القسم الشرقي من ليبيا هي السياسة المتواصلة منذ سنة ١٩١٦م وحتى سنة ١٩٢٢م ومع ذلك كانت المناوشات والاشتباكات تقع بين المجاهدين والطليان اذ يغزو الذين لم يخضعوا بعد لأي سيطرة على قوافل العدو ومراكزه وقد تضمنت الاتفاقيات المعقودة مع الزعماء السياسيين فيما تضمنته من بنود سرية ومعلنة ابعاد الاتراك ومن يسير في ركابهم وكل الذين يعتمدون الجهاد اسلوبا وحيدا لاجلاء العدو، وانتهج الاعداء في هذا السبيل اخطر اساليبهم اثرا وهو سلاح الفتن والدسائس وبالتاكيد لا بد وان يكون السيد احمد الشريف اول المستهدفين بالابعاد والعرقلة حتى وان بررت السياسة سفرة حينذاك بحجة الاستدعاء من طرف السلطان العثماني .

يقول محمد صالحية : «ان ابعاد السيد احمد الشريف كان انتصارا لكافة الاطراف المتحالفة وقد احتفل الجند الايطالي بذلك»(٤٠).

لقد واجهت احمد الشريف في صموده ضد الطليان عدة مشاكل ابرزها ما يلي :

(١) ــ الظروف الطبيعية والصحية السيئة التي عاشها الشعب الليبي في فترة الحرب الكونية الاولى اذ انتشرت الامراض اضافة الى الجوع وهذه الظروف وان كانت تعم العالم في الحروب عادة الا ان قسوتها على الليبيين دفعت بالبعض الى اكل اي شيء يجده وتذكر روايات من عاصر تلك الفترة ان بعض الناس اكلُ اللحم البشري ليدفع غائلة الجوع المميت ومن المؤكد ان الطليان كانوا وراء خلق هذه الضائقة الخانقة كما تؤكد المصادر المنشورة عنهم(٤١).

لقد كانت هذه الظروف السيئة مجتمعة مبررا اساسيا للقيادات السياسية في انتهاج اسلوب الاتفاقيات والمعاهدات وخاصة في الجهات الشرقية التي كانت في حروب مستمرة مع الطليان الا في فترات متقطعة وقليلة ولقد عدل الايطاليون في اتفاقياتهم بما يحقق مصالحهم عدة مرات وزودوها بملاحق كثيرة وكان ابرز هذه الاتفاقيات والمعاهدات اتفاقية الزويتينة سنة ١٩١٧م والتي

كانت تحت عنوان «شروط تمهيدية لتهداة خواطر اهل البلاد» ومعاهدة الرجمة سنة ١٩٢٠م التي كان ابرز موادها امارة ادريس السنوسي على واحات اوجلة وجالو والجغبوب والكفرة واتخاذ اجدابيا كعاصمة له.

(٢) ــ عدم حصول الإتفاق بين احمد الشريف وزعيم مصراتة رمضان السويحلي على توحيد الجهود لضرب العدو الايطالي ولا شك ان هيمنة الاتراك وتوجيههم للامور في صالحهم ــ وخاصة اذا علمنا ان الجفوة بينهم وبين احمد الشريف ما تزال مستمرة بعد حادثة مخالفتهم لامره والهجوم على مصر ــ ان هذه الهيمنة كانت سببا مباشرا في عدم التقاء قادة الجهاد على هدف واحد في تلك المرحلة الحاسمة والدقيقة من تاريخ الجهاد، ومن المعلوم ان احمد الشريف كان يهمه انتصار الاتراك ولكن المشكلة حصلت بينه وبين مجموعة من الضباط الاتراك الذين دفعوه الى فتح جبهة حرب جديدة مع الانجليز لم يكن راغبا فيها لأنه كان يعلم تمام العلم ان الحرب مع الانجليز معناه غلق ابواب الحدود المصرية التي هي الملجأ الوحيد للمجاهدين داخل ليبيا»[٤٢].

وقد انتقل هؤلاء الضباط الى جبهة مصراتة واصبحوا يوجهون الامور لصالحهم فيما بعد. يتحدث الشيخ الطاهر الزاوي عن مرسوم السلطان العثماني بالحاق طرابلس بتركيا سنة ١٩١٦م فيقول :

«ان الترك لم يقصدوا من اتصالهم بطرابلس نفع الطرابلسيين ولكنها سياسة مبيتة بينهم وبين الالمان لاشعال الثورة ضد الانجليز والطليان ربح الطرابلسيون او خسروا»[٤٣]. ويتحدث الكاتب محمد فؤاد شكري ايضا عن توجيه الاتراك السيء للامور وجهة ثانية لم تكن لصالح المجاهدين الليبيين وانما هي لصالحهم فيقول :

«في اواخر عام ١٩١٥م حضر الى مصراتة حسن الشريف وهو ضابط تركي ليبي الاصل وقابل صفي الدين السنوسي وطلب اليه ان يقوم بالاشتراك مع رمضان السويحلي بالهجوم على الفرنسيين على الحدود الغربية فرفض صفي الدين ان ينجر الى حرب ثالثة زيادة على حرب الانجليز والطليان» ويذكر ايضا ان السويحلي كان يؤيد الاتراك في هذا الاتجاه الامر الذي ادى للخلاف بينه وبين صفي الدين السنوسي وهو خلاف لم يكن في صالح الطرفين ابدا»[٤٤].

وتذكر المصادر التاريخية ان سفر احمد الشريف الى تركيا كان بدعوة من السلطان العثماني محمد وحيد الدين وذلك للاستفادة من مكانته الدينية ومقدرته على توجيه الجهود وتوحيد القلوب لحماية الاسلام بعد التصدع الشديد الذي اصاب الدولة التركية نتيجة ثورة الشريف الحسين بن علي ضدها في الجزيرة العربية ونتيجة ضعف وانحلال جبهات القتال في الشام والعراق وغيرهما ونظرا للمكانة الدينية للمجاهد احمد الشريف فقد طلب اليه تقليد السيف للسلطان محمد وحيد الدين عند جلوسه على العرش ولكن المؤكد انه لم يكن راغبا في السفر لو لم تتالب ضده الظروف السيئة التي مر ذكرها.

تكوين الجمهورية الطرابلسية :

في نفس السنة التي سافر فيها احمد الشريف عزم الامير عثمان فؤاد ــ وهو آخر من مثّل السلطة التركية في طرابلس ــ على السفر ايضا وكان هذا نتيجة لسقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وتسليمها للاعداء، ولقد واجهت المجاهدين في غرب ليبيا العديد من المشاكل عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ولازمهم الخوف من التشتت وفقدان مساندة تركيا والمانيا لهم وتوقعوا استغلال العدو لتلك الظروف السيئة للاجهاض على حركة الجهاد ورأوا في قيام حكم وطني افضل حل لمشاكلهم وقد ادى هذا التفكير الى ظهور الجمهورية الطرابلسية اذ اسس المخلصون من ابناء طرابلس وعلى راسهم سليمان الباروني الجمهورية لكي تضطلع بمهمة مواصلة الجهاد ضد الايطاليين[٤٥].

وقد استعانوا باهل الخبرة من اخوانهم العرب والترك وكان ابرز من افادتهم مشورته وعمله المجاهد عبد الرحمان عزام. هذا ولقد انتخب للجمهورية اربعة اعضاء هم سليمان الباروني واحمد المريض وعبد النبي بالخير ورمضان السوحلي وروعي في ذلك كونهم يمثلون مناطق جهات ليبيا الغربية ولمكانتهم في الجهاد، وقد اصدرت الجمهورية بعد تكوينها مباشرة بلاغات وقرارات اعلنت بها عن قيامها وعن تنظيم امورها الداخلية كما اعلنت كافة الدول والمنظمات السياسية على تكوينها وطالبتها بالتاييد والمساندة وركزت على شرعيتها واحقيتها في القيام ومباشرة المهام استنادا على حق الشعوب في تقرير مصيرها ونتيجة حتمية لجهاد ابناء طرابلس المرير المتواصل منذ سنة ١٩١١م، وقد تعرضت الجمهورية منذ تكوينها لعقبات من بينها ظهور بعض الآراء التي تجيد سياسة الاخذ والرد مع االطليان ومنها ايضا ان ايطاليا وقد خرجت من الحرب العالمية الاولى منتصرة تفرغت لقضية ليبيا ووجهت

اعدادا هائلة من جنودها اليها. ولكن لمعرفتها السابقة بقدرة الليبيين على مقارعتها والصبر في جهادهم امام قوتها حاولت تطبيق سياسة المفاوضة المنطوية دائما على الخداع، ومن الواضح انها في تلك الفترة استحسنت اسلوب المفاوضات ومنح بعض الحريات وارضاء المتطلعين الى السلطة بدليل محاولتها تطبيق دستور طرابلس سنة ١٩١٩م في منطقة برقة ايضا كما ورد في المصادر الايطالية(٤٦).

كان الفرق الشاسع بين قوة الطليان وقوة الليبيين والظروف الدولية عامة وظروف الاقطار العربية المجاورة والوضع الاقتصادي والصحي السيء الذي تعيشه البلاد بتدبير من الايطاليين انفسهم كانت هذه المشاكل في جملتها هي التي ادت الى انتهاج سياسة عقد المعاهدات واجراء المفاوضات والتي اسفرت عن تنازلات كثيرة في شرق ليبيا واضرت بها اكثر مما افادتها ثم لم تلبث ان انهارت لتثبت عقم سياسة الركون الى العدو.

ورغم ان صلح خلة الزيتون او صلح سواني بن آدم سنة ١٩١٩م والقانون الاساسي المنبثق عنه ايضا يعد في نظر بعض الليبيين مكسبا سياسيا حققه مجاهدو طرابلس فان معاهدات الطليان كانت مؤقتة ومبنية على الخداع تبررها الظروف السياسية والعسكرية فان زالت تلك الظروف عادت ايطاليا الى التنصل مما وقعت عليه حتى وان كانت بنود الاتفاقيات قد وضعت من سياسيين ماهرين كما هو الحال بالنسبة للمجاهد الهادي كعبار الذي وضع بنود الاتفاق والمذكرة الوطنية المرفقة له(٤٧).

يقول محمد سعيد القشاط : «كان صلح سواني بن آدم اكبر سقطة وقع فيها المجاهدون في حربهم ضد الطليان» ويعلل سبب ذلك فيقول : «ان الصلح جاء في فترة كانوا فيها اقوى من اي وقت مضى»(٤٨).

وانتقد بعضهم كيفية قيام الجمهورية الطرابلسية وحدّد الخطر الذي كان يواجهها فقال :

«ان الجمهورية في الواقع كانها ولاية خاضعة تحتل ايطاليا عاصمتها الكبرى»(٤٩).

اما الباحث مختار الهادي بن يونس فيعلل اسباب ضعف الجمهورية ويرجعه الى الاختلاف في وجهات النظر والأراء بين زعمائها (٥٠)).

ومع تسليمنا بوجاهة الآراء الناقدة للاتفاقيات والصلح وصدقها الذي اكدته النتائج اللاحقة، فاننا نلتمس لزعماء الجهاد بعض العذر فربما فلم يكن من الميسور لهم في بعض الاحيان تحقيق اكثر من ذلك فانتهزوا فرص تحقيق بعض المكاسب عندما استحال تحقيقها كلها، ولهذا يرى البعض ان صدور القانون الاساسي عقب صلح سواني بن آدم سنة ١٩١٩م قد حقق لليبيين بعض الحقوق وشجعهم على استئناف النشاط السياسي فاسسوا حزب الاصلاح الوطني واصدروا بذلك منشورا تضمن مجموعة من المبادىء كلّها في صالح الوطن ولذلك سرعان ماعادت ايطاليا الى امتشاق حسامها البتار القديم والمتمثل في زرع الفتن وحبك الدسائس واذكاء النزاعات.

الاساليب الاستعمارية الايطالية في اجهاض حركة الجهاد الليبي

استغلت ايطاليا سلاح الفتنة احسن استغلال فهو سلاح ذو فعالية في هدر الجهود الوطنية وهدم العقيدة استفاد منه الكفار في ماضي الزمن في محاربتهم للمسلمين وطبقته ايطاليا فاوقعت بين زعماء الجهاد في الوطن الواحد بل في البقعة الواحدة واستفادت في حربها بواسطة هذا الاسلوب من الظواهر الاقليمية والنزاعات القبلية فشهدت البلاد مشاكل قاتلة اجهضت حركة الجهاد وفتتت قوتها وخاصة فيما بين عامي ١٩١٦م ــ ١٩٢٠م. ويذكر الشيخ الطاهر الزاوي من هذه المشاكل والفتن حرب الاباضنية والزنتان والفتنة بين ترهونة ومصراتة والحرب بين صفى الدين السنوسي ورمضان السويحلي وبين عبد النبي بالخير والسويحلي وهي الحرب التي اودت بحياة الاخير ؟ يقول الباحث عمرو سعيد بغني :

«لقد كانت الزعامات القبلية عامل هدم لان الاثرة كانت تؤدي بها الى اتخاذ مواقف لا تخدم مصلحة الوطن. وقد حاولت دائرة السياسة الايطالية استغلالها وتمكنت من الايقاع بها ودفعها الى الالتجاء اليها»(٥١)).

ونجحت ايطاليا قبل ذلك في الايقاع بين رمضان السويحلي واحمد المريض وبين سيف النصر وعلي المنقوش وبين الكثير من زعماء الجهاد واعيان القبائل في برقة وارتمى في احضانها كلية بعض المرتزقة امثال يوسف خريبش وعاكف امسيك وغيرهما

فاستغلتهم في حرب ابناء وطنهم اسوأ استغلال وكانت (باندة عاكف) هي العصاة القاسية التي ضربت بها ايطاليا حركة المقاومة الصامدة في الجبل الاخضر بقيادة عمر المختار[٥٢]. يقول المجاهد بشير السعداوي :

«كانت ايطاليا تبث بذور الفساد من وراء الحجب وتوزع الاموال والسلاح والذخائر على بعض سخفاء العقول لايقاد نار الفتن بين الاهلين والتفريق بين الوطن وبين الاخ واخيه»[٥٣] ومن الامانة العلمية ان اقول بان فئة من اهالي الجبل الاخضر ايضا انخرطوا في فرق عساكر الباندات والقرية الايطالية وبسبب خبرتهم بالمنطقة وبالحرب افشلوا خطط المجاهدين المتمثلة في الضرب السريع والاختفاء والاختلاط بجنود العدو عند ظهور الطيران. فقد استمرت النزاعات والاصطدامات بين المجاهدين الى آخر سنوات الجهاد وكانت في الغالب بسبب اطماع وتصرفات بعض الافراد او بسبب النزاع على السلطة او للاستحواذ على المناطق كالنزاع الذي حدث بين مصراتة وترهونة على تبعية امسلاتة ولمن تكون [٥٤] .

وكان بعض قادة الجهاد يرون ان مصلحة المجاهدين تقتضي منهم بسط نفوذهم ولو بالقوة ـــ على كل المناطق، يقول المجاهد على عبد الخالق : «كان رمضان السويحلي شجاعا ومن اشد اعداء الطليان ولكنه لا يريد اي منافس له في زعامة حركة الجهاد»[٥٥].

ومنهم من كان يريد اتباع اسلوب مغاير لاسلوب القيادة في الجهاد والحصول على مكاسب مادية لمجموعته ومن هؤلاء على سبيل المثال انفصال المجاهد سعد الطبجي عن دور عمر المختار وتكوينه لمجموعة بمنطقة وادي الكوف بالجبل الاخضر، وقد طلب اليه ضم مجموعته الى دور عمر المختار الرئيسي الذي كان يتواجد حينها في منطقة جنوب الفائدية فرفض وتذكر الروايات انه قد اجبر على المثول امام مجلس الدور واستفتى المختار مجلسه وقضاته واعيان قبيلته بشأنه وكان انفصاله هذا سببا في نهايته وهو الضابط الكفء الشجاع[٥٦]. واحيانا كانت هذه المصادمات تقع نتيجة اطماع شخصية مادية كما حدث على سبيل المثال في فترة مبكرة من الجهاد ضد الطليان اذ تمرد بعض الضباط والموظفين مطالبين بمرتبات عالية وكان يتزعمهم اليوزباش عبد الرحمان اليوسفي ولكن قائد الجهاد احمد الشريف بما عرف عنه من حزم قطع دابر الفتنة بترحيل زعماء الحركة خارج البلاد[٥٧].

ومن المعروف عن احمد الشريف وعمر المختار شدتهما على من ينحرف بمسيرة الجهاد او يخون المجاهدين ولعل هذه الانضباطية كانت سببا في قلة الانحرافات في مسيرة الجهاد بمنطقة برقة عامة والجبل الاخضر خاصة طوال فترة الجهاد الطويلة .

الجهاد الطويلة.

لقد بلغ من حزم عمر المختار انه كلّف البعض بالبقاء ضمن مرتزقة الطليان ونفذوا طلبه وزودوه بمعلومات دقيقة وسهّلوا له تهريب الذخيرة والسلاح كما كلّف البعض بأخطر المهام وهي قتل كل من تثبت الادلة القاطعة انحيازه الكامل الى جانب الطليان. ولهذا راينا ان عملية تجنيد المرتزقة بتلك المنطقة جاءت في فترة متأخرة من الحرب وقد كان بعضهم من المتعاونين مع المجاهدين.

ان الفتن والمصادمات التي وقعت بين الليبيين اثناء مرحلة الكفاح ضد الطليان كانت نتيجة سوء الظن او للطمع في الاستحواذ على غنائم او لعدم الروية في تقدير المواقف او لسوء التصرف من البعض او محبة في التسلط والسيطرة كما حصل من بعض اعيان القبائل والزعماء الذين قادوا المرتزقة المعروفين «بالباندة» ضد اخوانهم طمعا في الجاه ورغبة في التسلط.

لقد اعقبت تلك الفتن والانحرافات ندما شديدا وكانت هدرا للجهود في غير صالح الوطن وتبديدا لها في معصية الله وقد نتج عن بعضها اراقة دماء بريئة وكان الواجب الديني والوطني يحتم ادخارها للذود عن الوطن والعقيدة، ولذلك فاننا نجد ان المخلصين من ابناء الوطن بذلوا جهودا مضنية لانهاء الفتن وفض النزاعات ومنهم على سبيل المثال المجاهد بشير السعداوي الذي حز في نفسه حينما عاد من الشام حوالي سنة ١٩٢٠م ان يجد سيف الفتن مسلطا على رقاب دعاة الوحدة والجهاد فصمم على فض النزاعات وانهاء الخصومات وقد نجح في مساعيه الوطنية الى حد كبير.

كما كان قادة الجهاد في ميادين القتال ايضا يبذلون كل جهد ممكن وبإخلاص وتقدير للمسؤولية يفضون كل نزاع يقوم او مشاكل تقع بين المجاهدين واكثر هؤلاء القادة من رجال الدين وذلك كما حصل بالنسبة للنزاع الذي حدث بين الزعيم محمد بن حسن المشاي وجماعة الزنتان وقد صالح بينهم المجاهد الشيخ احمد السني بطل معركة مرسيط الشهيرة سنة ١٩١٥.[٥٨]

ولان ايطاليا استخدمت سلاح الفتنة بشكل واضح في مناطق غرب ليبيا فقد فطن لهذا الخطر الدائم كل القادة والزعماء ولهذا فانهم حينما عقدوا مؤتمر العزيزية التمهيدي عام ١٩٢٠م جعلوا ضمن بنوده تشكيل وفد مصالحة بين الزنتان واهل الجبل، وقد سعى هذا الوفد الى انهاء الخصومات وحاول ضم الشيخ سليمان الباروني الى القيادات الوطنية المشاركة في هيئة الاصلاح المركزية ولكنه رفض بسبب ما كان بينه وبين الزنتان من حروب ولهذا وجدنا الفتن قد حرمت هيئة الاصلاح المركزية المتكونة سنة ١٩٢١م من كفاءة رجل كان من المشهود لهم في الفهم السياسي وشؤون الحكم وحسن التدبير(٥٩). كما ادت الى احتلال منطقة غريان الحصينة فيما بعد وقد يكون الذي منع الباروني من الاشتراك في هيئة الاصلاح المركزية معرفته بان بعض قراراتها تمثل انصياعا لمطالب العدو وليس فقط لكونه غاضبا من وقوع الحرب بينه وبين الزنتان ويدفعني الى استنتاج الامر الاول العلم بان الباروني كان على درجة عالية من الفهم السياسي، ولهذا فاننا نعيب عليه هو ايضا تفضيله للمصلحة الخاصة احيانا على مصلحة الوطن وثانيا لأننا راينا في دراستنا لتاريخ الجهاد ان عبد النبي بالخير الذي لقب بداهية السياسة(٦٠)، يرفض هو ايضا الاشتراك في هيئة الاصلاح المركزية وقد عرف عنه تشككه في كل صلح مع الطليان وكانت علاقته بهم مبنية على الخداع المستمر من الطرفين.

لقد سلط سلاح الفتن الرهيب من جانب الطليان على قرارات هيئة الاصلاح المركزية ليجهضها وذلك لانها تمثل خطرا كبيرا عليه، ولهذا عملت السلطة العسكرية الايطالية في طرابلس على افشال اعمال هيئة الاصلاح المركزية فلم تكتف بمحاربتها داخل ليبيا بل جرتها الى الطريق الذي لا يحقق تنيجة تذكر لصالح الوطن ولا يتفق مع عقيدة الجهاد في الاسلام بان جعلتها تضطر الى الاتصال بالطليان في عقر دارهم في روما ولم يحقق هذا الاتصال منافع تذكر بل اعطى كغيره من الاتصالات التي قام بها زعماء الجهاد فرصة للعدو ليجمع شتات امره ويستنفر اعوانه لحبك مسرحية مفاوضات جديدة معلومة النتائج، وجيوشه لخوض غمار حرب اخيرة لانهاء المقاومة في تلك المنطقة تماما وكان هذا ما حصل بالطبع سنة ١٩٢٣م اذ هاجم العدو المجاهدين بقيادة البطل سعدون السويحلي في بئر تاجموت، يقول قراتسياني :

«كانت هزيمة بئر تاجموت التي شهدت مصرع عدونا اللدود قائد قوات مصراتة بداية عهد من الهدوء والطمأنينة يسود المنطقة كلها تقريبا»(٦١).

اما ما حدث بعد ذلك فهو ما عرف باعادة الاحتلال او تاكيدة او القضاء على بعض مراكز المقاومة ومعاقبة كل من تصدى للغزو في السابق ولم يسمح الوقت بمعاقبته حينها، وقد ادى الاجتياح الجديد لكافة القرى والمدن من قبل جيوش العدو الجرارة الى حدوث معارك كان موقف المجاهدين فيها موقف دفاع اما هدف الطليان فكان ازالة كل شك في الخضوع المطلق لسيادة الفاشست وانهاء كل مظهر للزعامة الوطنية المشكوك في ولائها التام لهم كما فعلوا في ورفلة وزعيمها عبد النبي بالخير الذي قال عنه قراتسياني :

«كان هذا الرجل اكبر زعماء السلالة العربية المراوغة الغامضة، والخائن الحاذق الذي عرفناه في سنة ١٩١٥م والذي عمل كل شيء في سنة ١٩٢٣م لايقاعنا في خطإ احتلال بني وليد بقوات قليلة لكي يضعنا فيما بعد تحت رحمته»(٦٢).

من المعلوم ان حرب اعادة الاحتلال في غرب ليبيا شملت كل المناطق واستهدفت تصفية الحساب مع كل قادة المجاهدين وحتى اولئك الذين كانوا خاضعين للطليان لم يسلموا من محاسبتهم على ماضي جهادهم ضد العدو وبلغت درجة الانتقام اصدار احكام الاعدام عليهم، وعلى كل الذين حامت حولهم شبهة التسبب في قتل جنود الطليان فيما مضى.

عرفنا فيما سبق ان هيئة الاصلاح المركزية اتصلت بالطليان في روما وقد تم هذا الاتصال بتشكيل وفد برئاسة محمد فرحات الزاوي سافر الى روما وسارعت السلطة العسكرية الايطالية في طرابلس من جهتها بارسال وفد آخر عمل على تكذيب وتسفيه وتشويه مطالب الوفد الوطني، وفي نفس الوقت الذي كان فيه وفد هيئة الاصلاح المركزية في روما سنة ١٩٢١م زارها ايضا الامير ادريس السنوسي ليتابع تنفيذ بنود اتفاقيته السابقة مع الطليان والتي ضرب العدو بها كلها عرض الحائط بعد ذلك بعام واحد فقط.

كما تنصل العدو ايضا من اتفاقيات الصلح التي عقدت مع الزعماء الوطنيين في طرابلس وراينا يحتل المناطق التي كانت تحت نفوذهم بحجة سيادته العليا على كامل الوطن حينذاك.(٦٣).

الدارسون لتاريخ الجهاد الليبي ضد الطليان والذي قادته قيادات سياسية ووطنية لم تتحد الا في معركة القرضابية يرون انها رغم مسالمة بعضها او مهادنته في بعض الفترات قد حققت وبالفعل على صعيد الواقع العديد من الانتصارات الخالدة التي اعترف بها العدو نفسه فلنتصور كيف يكون الموقف لو توحدت جميع القيادات ورفضت كل مظهر للتسليم او المهادنة او الانصياع لدسائس العدو وفتنه والاعيبه منذ الايام الاولى لبداية الجهاد.

جهود المخلصين لتوحيد حركة الجهاد :

كانت سياسة عقد المعاهدات عقيمة لانه لم يحدث عبر تاريخ الاسلام المشرف ان الاتصال باعداء العقيدة اسفر عن فائدة ترجى وكيف تؤمل من عدو العقيدة الاسلامية ان يساهم في عزتها وسلامة معتنقيها وتحقيق الحرية لهم ومع تقديرنا التام للظروف التي برّر بها بعض الذين ارخوا لتلك الفترة مسألة عقد المعاهدات والتماسهم للعذر فيما اقدمت عليه**الزعامات**الليبية من محاولات لعقد الصلح واتمام الاتفاق مع العدو اعتقادا منهم بان ذلك يحقق الصلح العام نقول مع كل ذلك تبقى العبر دائما بالنتائج والنتائج كانت لا شيء فماذا تفيد معاهدة تسفر عن مكسب تمثل في سلطة هزيلة على مناطق لا تمثل الاهمية الاقتصادية ولا الاهمية الحربية كما حدث في شرق ليبيا حينذاك كما لم تكن مفيدة لصالح الجهاد تلك المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها زعماء الجهاد في غرب ليبيا كافراد او كمجموعات مع عدو تسنده القوات الجرارة المتمركزة والمحصنة وبشروط اما ان تكون في صالحه كلها او بعضها. ان هذه المكاسب البسيطة المؤقتة هي ايضا سرعان ما استلبتها ايطاليا بنسف جميع المعاهدات والاتفاقيات والمواثيق مع الافراد والجماعات في غرب البلاد وشرقها.

لقد كان جهاد الليبيين لحماية العقيدة وفي كل المراحل التي طبق فيها المجاهدون هذا المبدأ قولا وعملا تحققت نجاحات مذهلة وانتصارات مشرفة وقد كان قادة الجهاد من رجال الدين البارزين، وباستثناء بعض الشخصيات التي ضعفت في بعض الفترات فانساقت وراء المصالح الشخصية ونجح العدو في استقطابها وخرجت من دائرة الاخلاص الدائم التام لقضية الجهاد. اقول باستثناء هؤلاء القلة نجد الجهاد الليبي جهاد فخر وعز يشرف الاسلام والمسلمين جميعا والفضل فيه لمن صدقت نواياهم في الجهاد حماية للعقيدة وللوطن عبر مراحله القاسية المريرة ويتساوى في هذا الفضل من استشهد ويده على الزناد او من كان شديد الحرص على الشهادة فكتبت له السلامة وامتد به الأجل.

ان كل طريق غير الطريق الذي سلكه هؤلاء يعد في نظر العقيدة الاسلامية طريق ضعف لا يتمشى وعزة الاسلام ومثله السامية. وقد كان رجال الجهاد المنطلقين من منطلق اسلامي لهم موقفهم الثابت المضاد لمبدإ الصلح مع العدو مهما كانت الاسباب فهذا المجاهد الاسلامي احمد الشريف يرسل الى المجاهدين في الجبل الاخضر في سنة ١٣٤٤هـ رسالة هامة كان مما جاء فيها :

«اني حذرتكم في السابق وساحذركم من خداع العدو ومكره فلا تركنوا الى خداعه ولا تهنوا ولا تحزنوا واصبروا وجدوا واجتهدوا ولا يغركم احد باسم الصلح مهما كان، فان الضرر يعود على وطنكم ويتمكن العدو منكم». وجاء فيها ايضا :

«خذوا حذركم ولا تركنوا الى بيع وطنكم فكونوا رجالا ودافعوا عن الدين والعرض». ويخشى عليهم الاستسلام نتيجة تسليم رضا السنوسي نفسه للطليان وقد كان معهم فيتشدد في موقفه من مثل هذا الامر قائلا :

«فلا تسلموا في وطنكم ولو اسر السنوسية كلهم وانا واحد منهم» ويواصل تحذيره الشديد فيقول : «ان امرتكم بنفسي بالتسليم فلا تتبعوني وابشروا ان شاء الله بنصر من الله وفتح قريب»[٦٤].

ولكن ونحن نخوض مجالا صعبا ودقيقا هو مجال التقييم لتلك الفترة وملابساتها يصعب ان نصدر حكما نهائيا على شخصيات لم نعش في الظروف الحالكة التي عاشتها في ذلك الزمن ونرى، بان طول فترة الجهاد واتساع رقعة البلاد وعدم الاتحاد وانتشار الجوع والمرض وقلة العدد والعدة كلها معضلات تقتل العزم وتؤدي الى التراجع والتسليم ببعض مطالب الخصم وهذا ما دفع البعض الى المهادنة او عقد الصلح ولو لبعض وقت تستجمع فيه القوة وتتحسن الاحوال.

هذا ولقد ادرك قادة الجهاد الذين قاتلوا احيانا وفاوضوا احيانا اخرى وهادنوا في بعض الفترات، ادركوا جميعا ومن واقع التجربة القاسية والمعاناة المريرة ان الركون للعدو مذلة وان الوثوق في عهوده ضعف وان عدم الاتحاد ضدة خطأ جسيما ينبغي

تداركه واهتبال كل فرصة ممكنة تؤدي الى تحقيق الوحدة فلا انتصار بغير توحد القيادة والبنادق خاصة وقد ثبت بالدلائل القاطعة المتلاحقة عقم سياسة الصلح والمعاهدات.

يقول الشيخ الطاهر الزاوي :

«اخذ الطليان يعملون لنقض صلح بن يادم بالمرواغة في تنفيذ القانون الاساسي تارة وبالدس بين الطرابلسيين لابقاء الفتنة الداخلية بينهم تارة اخرى» ثم يقول : «ضاع كل امل للعرب في اصلاح الحال ووفاء الطليان بما عاهدوا عليه ففكروا في عقد مؤتمر عام يمثل البلاد من اقصاها الى اقصاها للنظر فيما آلت اليه الحال، وما يجب اتخاذه لاصلاح الموقف، فاستقر رايهم على عقد مؤتمر «غريان»(٦٥).

كانت قرارات مؤتمر غريان سنة ١٩٢٢م تعني في مجملها رغبة صادقة من مجاهدي غرب ليبيا في تكاتف الجهود وقد عقدوا بعده مؤتمر «سرت» مع قيادات المجاهدين في شرق ليبيا وتاكدت مجددا هذه الرغبة الصادقة عند الجميع خاصة وقد تنصل العدو من عهوده وبدأ زحفه على جميع المناطق بجيوش جرارة تفوق المجاهدين عددا وعدة عشرات المرات.

كان من بين ما قرره مؤتمر غريان واكد عليه مؤتمر سرت اللاحق له ما يلي : «اقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحقق الشرع الاسلامي بزعامة رجل مسلم ينتخب من الامة».

ومن المعلوم ان الوحدة بين المجاهدين العاديين متحققة بدليل ان المجاهدين الصادقين في جهادهم كانوا يتوجهون من تلقاء انفسهم الى كل موقع تشتد فيه حركة الجهاد ضد العدو، ولقد جاءت على الزعامات ايضا فترة من الزمن ادركت فيها خطر التفتت وضرورة التوحيد دفعا للعدو الزاحف على ما تبقى من ارض الوطن، ويعلل صاحب كتاب «سنوسيو برقة» اسباب الاهتمام الملحوظ بمسالة توحيد حركة الجهاد من طرف مجاهدي شرق ليبيا فيقول :

«في سنة ١٩٢٢م كان الوضع القائم في برقة مستحيل البقاء لمدة طويلة باية صورة، لقد بان للجميع حتى قبل ان يظفر الفاشيون بالسلطة ان الاعمال العدائية ستستانف آجلا او عاجلا».

كما يشرح سبب رغبة قادة الجهاد في غرب ليبيا في توحيد القيادة مع اخوانهم فيقول : «كان عرب ذلك الاقليم حين وجدوا انفسهم في احوال صعبة قد سعوا الى توسيع جبهتهم ضد الايطاليين بان وصلوا الى اتفاق مع السنوسيين»(٦٦).

هذا وتنفيذا لمقررات مؤتمر غريان فقد حضر الى اجدابيا وفد هيئة الاصلاح المركزية الطرابلسية وقدّم كتاب البيعة الى «ادريس السنوسي» فقبله واصدر اوامره «بإعلان الجهاد في برقة وطرابلس معا»(٦٧).

واقر في رده على كتاب البيعة ابقاء القيادات المعينة من قبل هيئة الاصلاح المركزي في مواقعها وعين «صفي الدين السنوسي» ليشرف على قيادة طرابلس العامة بينما كانت القيادة في مصراتة وترهونة للقائد سعدون السويحلي والجفرة وسرت بقيادة «احمد سيف النصر» كما عين «صالح لطيوش» لقيادة برقة الغربية، و «قجة عبد الله» لقيادة برقة الوسطى، و «عمر المختار» لقيادة برقة الشرقية.(٦٨).

وفي سنة ١٩٢٢م ترك «الامير ادريس السنوسن» شقيقه «محمد رضا» في الحكم وسافر الى مصر التي كان قد قرر الذهاب اليها من اجل العلاج.(٦٩).

في نفس السنة التي ترك فيها «ادريس السنوسي» البلاد تولى الحزب الفاشستي مقاليد السلطة الكاملة في ايطاليا وفتحت صفحة جديدة في تاريخ الحرب الليبية الايطالية كتبت بالدماء والاشلاء وظهرت على مسرح الاحداث مجددا القيادات الليبية التي عُرفت بتفضيل الجهاد عن الدخول في متاهات السياسة امثال المناضل «سعدون السويحلي» الذي التفت حوله القوة الوطنية الصادقة في طرابلس وخاض المعارك بعزم وارادة صلبة حتى استشهد في ساحة الشرف سنة ١٩٢٣م مسجلا اروع صفحة في الثبات على المبدإ، وقد سبق الحديث عنه في الترجمة لبعض الشخصيات الجهادية.

* جهاد المناضل عمر المختار وكيفية تنظيمه للادوار *

اما في برقة فقد تولى قيادة الجهاد الفعلي المجاهد البطل الشيخ عمر المختار سنة ١٩٢٢م، ورغم ان عمره حينذاك قد تجاوز الستين الا انه ابدى صلابة منقطعة النظير فقاد الجهاد في اشد سنواته قسوة ومرارة، واظهر مقدرة وحنكة وذكاء، وقد اذهل جنرالات ايطاليا اذ انه «كان لا يقل عن القادة الذين تخرجوا من الكليات العسكرية كما كان مدفوعا بعدة عوامل اهمها الدين والقومية»[٧٠]. وبما ان الترجمة عن شخصيته قد سبقت فانني احيل القارىء اليها.

اما فيما يتعلق بجهاده فقد بدأ بمعركة بئر الغبي في اوائل سنة ١٩٢٣م، وقد كان راجعا من مصر التي عاد منها وهو اكثر تصميما على متابعة النضال رغم الظروف العصيبة التي كانت تحيط بحركة الجهاد حينذاك.

لقد اكسبت رحلة عمرة المختار الى مصر قضية الجهاد الليبية تاييدا معنويا واعلاميا كبيرا، ولكن الطليان كانوا قبل رجوعه قد زحفوا بجيوشهم الجرارة على اجدابيا ثم هاجموا دور العواقير في منطقة «البدين» ودور المغاربة في منطقة «الزويتينة»، ولم يكسر عربدة القوات الايطالية وغطرستها الا الانتصار العظيم الذي احرزه المجاهدون في معركتي بلال والبريقة الشهيرتين سنة ١٩٢٣م.

عندما عاد عمر المختار بدأ بزيارة تفقدية تنظيمية للادوار الغربية كدور العواقير بمنطقة «البدين» وكان يقوده « قجة عبد الله» و «بالقاسم العيساوي» ودور المغاربة الذي تنقل بين مناطق القطفية والزويتينة وسبط بوعين، وكان بقيادة «صالح لطيوش»، ودور منطقة «قمرة» الذي تكوّن عقب خيانة الطليان لادوار الخلطية، وكان من قادته «محمد ابونجوى» في الوقت الذي كان العدو يهاجم بشدة المنطقة الغربية من برقة، وخاصة اجدابيا كانت المنطقة الوسطى من الجبل الاخضر مستنفرة للجهاد بفضل قيادة بعض الضباط الذين شاركوا من قبل في جيش احمد الشريف حيث كوّن كل منهم فرقة «كاراكون» وكانوا على حذر شديد من خطط العدو فلم يامنوا جانبه ابدا رغم المعاهدات التي عقدت في السابق وعملوا قدر المستطاع على تنبيه الناس للاخطار المحدقة بهم لذلك ما ان وصل عمر المختار الى مضارب القبائل الواقعة بوسط الجبل الاخضر حتى سارعت اليه مقدمة مالها ورجالها للجهاد معه دفاعا عن دينها ووطنها وشرفها ومن هؤلاء الضباط الكبار على سبيل المثال لا الحصر صالح امطير العبيدي واقطيط موسى الحاسي وعلى رحيم الدرسي، حسين الجويفي وعبد الحميد العبار الذي كان اول من كون دور منطقة (الخروبة)[٧١].
ثم اصبح من اركان حرب عمر المختار في دوري البراعصة والدرسة، والعبيدات والحاسة في السنوات الاخيرة من الجهاد وقد اجتاز الاسلاك الشائكة الى مصر مع مجموعة منهم سنة ١٩٣٢م.[٧٢].

ولقد كان حماس الاهالي لاستئناف الجهاد تحت قيادة عمر المختار منقطع النظير ومن دلائل ذلك ان الشيخ ابوبكر حدّوث البرعصي استضاف عمر المختار ومن معه من المجاهدين طيلة المدة التي اقاموها بمنطقة «ابيار الشعفة» وقبل ذلك انفق الشيخ فضيل المهشهش على المجاهدين الذين انتصروا على الطليان في موقعة بلال المشهورة وقدم المجاهد **محمود ابو هدمة ما يملك** من ابل لدوري المغاربة والقبائل وقد استمر هذا البذل ليؤكد مساندة الاهالي الدائمة لعمر المختار حتى آخر سنوات الجهاد اذ **قام الشيخ سليمان ادريس ابو بقوشة بالصرف على المجاهدين متبرعا بجزء من ماله الخاص [٧٣] وقبله انفق على المجاهدين يونس الصغير البرعصي وبعده انفق المجاهد احميدة آدم الغزي الغريفي وتتعدد الاسماء عبر مراحل الجهاد .**

سبق ان قلنا ان عمر المختار قاد معركة بئر الغبي ثم توجه غربا فشارك ايضا في معركة بلال الثانية، وقد اسّس دورا آخر في منطقة (الشبيكة) وهاجم الطليان هذا الدور عدة مرات فانتقل الى منطقة «ابيار تيلزم» وهو الذي عرف بدور «البراغيث» وذلك نسبة لقبائل تلك المنطقة مع انه كان يضم مجاهدين من قبائل البراعصة، والعبيدات، والعواقير، والمسامير، والعوامة، والشهيبات، وغيرهم ولذلك فان العدو الايطالي هاجم مواقع تلك القبائل ومنتجعاتها، وفي وسط الجبل الاخضر اعلن المجاهد قطيط موسى الحرب على الايطاليين وعاونه المجاهد السنوسي ابريدان العريفي على تكوين فرقة «كاراكون» استطاعت رد الطليان في اول تصادم معهم بعد سنة ١٩٢٢م كما قام المجاهد حسين الجويفي ورفيقه علي ابو رحيم بهجوم على مركز الطليان في منطقتي سلنطة ومراوة فالتحق بهما مجاهدا في سبيل الله (محمد الشركسي) الذي كان يشغل منصب مدير منطقة مع الطليان، ولقد لعب فيما بعد دورا نضاليا مشرفا في دور البراعصة والدرسة الذي كوّنه عمر المختار في مواجهة المراكز الايطالية في شحات وسلنطة وجردس والفائدية وكان بقيادة الشيخ حسين مفتاح الجويفي ثم عصمان الشامي وقد تحصل هذا الدور على غنائم تمثلت في السلاح والذخيرة وذلك بعد معركة جردس في اوائل سنة ١٩٢٤م كما كوّن عمر المختار دور العبيدات والحاسة ومن المناطق التي استقر بها منطقة (بئر سمندر) ومناطق مختلفة في جنوب الفائدية في مواجهة المراكز الايطالية بمناطق المخيلي والقبة والقبقب وغيرها. وابرز الذين تولوا القيادة الشيخ المناضل الفضيل عمر.

هذا وقد التحمت جميع الفرق المقاتلة بالادوار العامة وكان لقدماء الضباط من جيش احمد الشريف مكان الصدارة في التخطيط والقيادة للمعارك، واصبحت الادوار في شرق ليبيا بكاملها تحت قيادة عمر المختار ويعاونه الشيخ يوسف بورحيل كما قاد الادوار بالنيابة عنه في بعض المراحل الشيخ حسين الجويفي وعرف الفضيل عمر بوظيفة نائب عمر المختار في بعض الفترات ايضا وكان نظام الادوار كالآتي :

(١) عمر المختار القائد العام، ويعاونه المجلس الاعلى الذي يتولى القيادة العسكرية والسياسية والاجتماعية ومن ابرز اعضائه يوسف بوخديدة والفضيل عمر ومحمد الشركسي وحسين الجويفي وينضم اليهم رئيس مجلس الشيوخ من كل دور احيانا ومن الذين تولوا منصب رئيس الشيوخ على سبيل المثال المجاهد هيوب المرهون.

(٢) يتولى القيادة المباشرة لكل دور «القائم مقام» وقد تولى هذا المنصب في دور الحاسة الفضيل عمر، واحمد موسى، وتولاه لبعض الوقت في منطقة قبائل العبيدات صالح امطير، وفي منطقة قبائل الحاسة قطيط موسى وتولى رتبة «القائم مقام» في دور البراعصة حسين الجويفي وعصمان الشامي، ومحمد الشركسي، وسعد السوداني لبعض الوقت.

كما تولى رتبة «القائم مقام» في دور العواقير عبد الحميد العبار وفي دور العبيدات يوسف بوخديدة، ويعاون القائم مقام في كل دور مجلس الشيوخ الذي يتكون من كبار السن وقدماء المجاهدين. وقد تعاقب عليه عدد كبير من المجاهدين البارزين .

(٣) مجموعة «الكومندارية» وتجمع الروايات الشفوية والمصادر التاريخية الاخرى على ان مهمة هؤلاء هي التخطيط للمعارك، وادارة شؤون الحرب ميدانيا ومن الذين حملوا رتبة «كومندار» بدور العبيدات عيسى سليمان النفاقة، والعماري الجالي وعبد القادر الشبعار[٧٤] والحمري بكار وغيرهم .

وفي دور البراعصة والدرسة علي بورحيم، وخليل جار الله، وسعد السوداني وعياد بالقاسم، وفي دور الحاسة والعبيدات صالح امطير وعوض العبيدي، واسماعيل الشاردة وآدم ابراهيم، وعبد الحق الطايع، وهيوب المرهون، وخليفة بكار وقطيط موسى، وعبد المولى بوفصيخة، وصالح هيوب وهذه الاسماء كلها على سبيل المثال وليس الحصر.[٧٥]

(٤) هناك من حمل رتبة «كومندار» السلاح الحربي ويظهر من التسمية وطبقا للروايات الشفوية ان مهمته هي الشؤون الحربية عامة وعلى وجه التخصيص قيادة وتوزيع مجموعة السلاح الفعال المضاد للدروع، واكثر الذين تولوا هذه المهمة هم ممن تدربوا تدريبا راقيا على يد الاتراك، وتذكر بعض الروايات ان من بين الذين تولوا هذا المنصب، عبد الحق الطايع، وصالح مطير، وسعد مصطفى من دور الحاسة والعبيدات، وسعد السوداني ومن الضباط الكبار شعيب لخذة، وعبد القادر غيث وغيرهما، من دور البراعصة والدرسة والعبيد[٧٦]. بالاضافة الى العديد من الاسماء اللامعة في الجهاد مثل محمد العايش وعبد الكريم الجمل وغيرهما.

(٥) «كومندار المعية الخاصة لعمر المختار» والمعية هم المجاهدون الذين التحقوا بدور عمر المختار بعد نهاية الجهاد المنظم بمناطق ليبيا الغربية سنة ١٩٢٣م ومن الذين حملوا رتبة «كومندار» المعية الهادي القماطي وسليمان الطالب الذي استشهد بمعركة الرملة حوالي سنة ١٩٢٩م كما تولى هذا المنصب التواتي عبد الجليل العرابي في آخر سنوات الجهاد [٧٧].

(٦) رتبة «قومندان» ومن بين الذين وصلوا هذه الرتبة عيسى العرفي وعصمان الشامي، وعبد الله بوسلوم ومحمد بونجوى، ومحمد فضل الله النعاس المشهورة باسم فالح الدرسي.[٧٨] وعطية المهشهش، وعوض السوداني، وفرج القرعاني. ومن الروايات نتبين ان مهمة «القومندان» هي التجنيد، والمحافظة على روح الانضباط بين المجاهدين وتدريب طوابير المشاة تدريبا عاليا، كما ان مهمته قيادة «القارة قولات» المتحركة التي ترابط بالقرب من العدو وتترصد تحركاته كانت توكل لرجال يحملون هذه الرتبة في الغالب، ومن الواضح من الروايات والمصادر ان كلمة «قارة قولات» هي نفسها كلمة «كاراكون».[٧٩]

(٧) «قائد فرسان» وكان ابرز من تولى هذه المهمة الشيخ عبد الحميد العبار، وحمد خير الله، وعبد الله بوحورية المسماري وعمران بوسريرة وحسن صالح وغايرهم وفرق الاستطلاع التي تراقب تحركات العدو من مكان الى آخر وتنتقل لتخبر تجمعات المجاهدين بها أولا بأول تكون دائما من الفرسان الخيالة .

(٨) القاضي الشرعي : ابرز ما يميز ادوار عمر المختار المحافظة التامة على الامور الشرعية وكان هناك في كل دور قاضي شرعي واحد على الاقل ومن هؤلاء القضاة احمد المسلاتي بدور المغاربة في المرحلة الاولى من تكوينه، ومحفوظ الورفلي بدور العواقير ومحمد بونجوى بدور العبيدات والحاسة وكان لكل دور امامه الخاص الذي يؤم المصلين لتأدية جميع الصلوات في اوقاتها.

(٩) جباة الزكاة والاعشار : وكان عمر المختار يختار لهذه المهمة الذين يتميزون بالنزاهة والصدق والحكمة في التصرف. ومنهم حسن بوعزيزة المسماري وعبد الرحيم بوهزاوي، ومحمد عثمان الحصين ومحمد بونيسة، وموسى الرعيب وغيرهم.[٨٠] والصديق محمد

بوهزاوي ومحمد البراني، والسنوسي الهوني، وابوبكر الظريفية وعثمان الصادق وكان يرافق هؤلاء الجباة مشائخ القبائل.(٨١)

(١٠) رئيس الادارة : من الذين تولوا هذا المنصب على سبيل المثال وليس الحصر عبد الله ابوعاشور وعمران الراشد، ويوسف مليطان، عبد الرحيم ابو هزاوي. قد تولى بعضهم هذه المهمة عندما تجمعت الادوار في وحدة واحدة ي آخر سنوات الجهاد، ومنهم من تولاها في اكثر من دور فتبادل المواقع ومسألة التنقل من مكان الى آخر ظاهرة سائدة في حركة الجهاد الليبي.

هذا ولقد استطاع عمر المختار بهذا التنظيم الجيد لشؤونه الادارية المختلفة ان يواصل الجهاد محققا الكثير من الانتصارات حيث خاضت ادواره المنتشرة فيما بين اجدابيا والحدود الليبية الشرقية ــ والتي تركزت في آخر سنوات الحرب بالجبل الاخضر ــ عشرات المعارك التي تستلزم كل واحدة منها دراسة مستقلة ومن الروايات بتواريخ تقريبية نجد ان اهمها ــ بالاضافة الى ما مر معنا في السابق ــ ما يلي :

١) معركة حلوق الجير بالجبل الاخضر حوالي سنة ١٩٢٣م
٢) معركة الخليطة جنوب غرب البيضاء حوالي سنة ١٩٢٣م
٣) معركة جردس العبيد «الاحرار حاليا» حوالي سنة ١٩٢٣م
٤) معركة بليحوش بنواحي مراوة في اواخر سنة ١٩٢٣م
٥) معركة غوط ساس بنواحي جردس العبيد حوالي ١٩٢٤م
٦) معركة تاكنس حوالي سنة ١٩٢٤م
٧) معركة الخروبة حوالي سنة ١٩٢٤م
٨) معركة بلقس جنوب شرق الفائدية حوالي سنة ١٩٢٤م
٩) معركة الحجبة جنوب شرق مراوة حوالي سنة ١٩٢٤م
١٠) معركة وادي الكوف غرب البيضاء حوالي سنة ١٩٢٤م
١١) معركة سلنطة حوالي سنة ١٩٢٤م
١٢) معركة سلوق حوالي سنة ١٩٢٤م
١٣) معركة ركاب بطة بالمرج حوالي سنة ١٩٢٤م
١٤) معركة زاوية النيان شمال غرب منطقة الخويمات حوالي سنة ١٩٢٤م
١٥) معركة وادي الحليقيمة جنوب شرق الفائدية حوالي سنة ١٩٢٤م
١٦) معركة مراوة حوالي سنة ١٩٢٤م
١٧) معركة قصر المستاشي جنوب البيضاء حوالي سنة ١٩٢٤م
١٨) معركة قمينس حوالي سنة ١٩٢٤م
١٩) معركة وادي المطيفلة جنوب البيضاء حوالي سنة ١٩٢٤م
٢٠) معركة عين الحولي جنوب الفائدية حوالي سنة ١٩٢٤م

٢١) معركة غوط المشل بنواحي تاكنس حوالي سنة ١٩٢٤م
٢٢) معركة سيرة المعيزيل بنواحي وادي قمرة اجدابيا حوالي سنة ١٩٢٤م
٢٣) معركة وادي العجرمية بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٢٥م
٢٤) معركة الحمامة شمال منطقة البيضاء حوالي سنة ١٩٢٥م
٢٥) معركة وادي القطارة جنوب شرق بنغازي حوالي سنة ١٩٢٥م
٢٦) معركة وادي بالجرف جنوب الفائدية حوالي سنة ١٩٢٥م
٢٧) معركة سمالوس الاولى بالجبل الاخضر حوالي سنة ١٩٢٥م
٢٨) معركة الكراهب بطريق سوسة شحات حوالي سنة ١٩٢٦م
٢٩) معركة ابيار الجوزات بالجبل الاخضر حوالي سنة ١٩٢٦م
٣٠) معركة وادي الحليقيمة حوالي سنة ١٩٢٦م

٣١) معركة قصور المراع جنوب الفائدية حوالي سنة ١٩٢٦م
٣٢) معركة هيشة وادي القرنة جنوب غرب منطقة القيقب حوالي سنة ١٩٢٦م
٣٣) معركة راس الجولاز بالجبل الاخضر حوالي سنة ١٩٢٧م
٣٤) معركة قصور المجاهير حوالي سنة ١٩٢٧م
٣٥) معركة .وادي المعترض بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٢٧م
٣٦) معركة عقارة مراوةحوالي سنة ١٩٢٧م
٣٧) معركة بئر الزيتون او الخبابيز او الرجيمة حوالي سنة ١٩٢٧م
٣٨) معركة وادي الكوف الثانية حوالي سنة ١٩٢٧م
٣٩) معركة وادي السهل بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٢٧م
٤٠) معركة بلط الزلق حوالي سنة ١٩٢٧م
٤١) معركة الحنية شمال البيضاء حوالي سنة ١٩٢٧م
٤٢) معركة ازوي او غوط المشبل جنوب شرق الفائدية حوالي سنة ١٩٢٨م
٤٣) معركة الزيتونة بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٢٨م
٤٤) معركة بئر قندولة غرب الفائدية حوالي سنة ١٩٢٨م
٤٥) معركة وادي المحجة جنوب الفائدية حوالي سنة ١٩٢٨م
٤٦) معركة بوذراع او عليم الشيخ بنواحي القيقب حوالي سنة ١٩٢٨م.
٤٧) معركة عقيرة المطمورة حوالي سنة ١٩٢٩م
٤٨) معركة عين الغزالة حوالي سنة ١٩٢٩م
٤٩) معركة قصر المقدم غرب البيضاء حوالي سنة ١٩٢٩م
٥٠) معركة وادي اللك بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٢٩م
٥١) معركة بئر الجدارية بنواحي اجدابيا حوالي سنة ١٩٢٩م
٥٢) معركة الرويبط بنواحي مراوة حولي سنة ١٩٢٩م
٥٣) معركة وادي الشواعر جنوب درنة حوالي سنة ١٩٢٩م
٥٤) معركة ابيار بوصفية جنوب الفائدية حوالي سنة ١٩٣٠م
٥٥) معركة الاثرون الاولى غرب درنة حوالي سنة ١٩٣٠م
٥٦) معركة كاف الثلم بالجبل الاخضر حوالي سنة ١٩٣٠م
٥٧) معركة وادي الغريب غرب البياضة حوالي سنة ١٩٣٠م
٥٨) معركة الاثرون الثانية حوالي سنة ١٩٣٠م
٥٩) معركة حلق بالذبّان بنواحي المرج حوالي سنة ١٩٣٠م
٦٠) معركة وادي السانية بنواحي القبة حوالي سنة ١٩٣٠م
٦١) معركة زاوية مرتوبة حوالي سنة ١٩٣٠م
٦٢) معركة السيرة الحمراء بمنطقة الظهر الحمر جنوب درنة حوالي سنة ١٩٣٠م
٦٣) معركة واذي اسربلي غرب درنة حوالي سنة ١٩٣١م
٦٤) معركة العزيات بنواحي درنة حوالي سنة ١٩٣١م
٦٥) معركة الشليفيمة حوالي سنة ١٩٣١م
٦٦) معركة الهوّاري والهويوير بالواحات الجنوبية حوالي سنة ١٩٣١م
٦٧) معركة زاوية ام ركبة بنواحي طبرق حوالي سنة ١٩٣١م
٦٨) معركة زاوية ام الرزم حوالي سنة ١٩٣١م
٦٩) معركة وادي ابو طاقة او الكوف او كاف الدرقوش او عين اللفو حوالي سنة ١٩٣١م وقد اسر فيها عمر المختار. كما تذكر المصادر وبزيارتي للمنطقة وجدت مكان الاسر جنوبها.

هذا وهناك العديد من المعارك الاخرى التي لم اعثر على تاريخ تقريبي يبين وقوعها، وقد اوردت منها الكثير في مؤلفي المعنون باسم (احداث الجهاد الليبي) (٨٢) واعتمدت مسألة التقريب في المعارك السابقة من باب الاحتياط فقط مع كوني على ثقة من ذلك اما بالنسبة للاسماء فهي مؤكدة لدراستها ميدانيا .

وقد استمر جهاد عمر المختار فلم تفتر عزيمته او تلين قناته رغم ضروب النكال التي مارسها العدو ضده وضد الاهالي الذين ظلوا اوفياء لقضية الجهاد رغم حصر الطليان لهم في مناطق محدودة ومسيجة بالاسلاك الشائكة وقد ترتب على المعاونة المستمرة من الاهالي للمجاهدين ان ظهرت فكرة معتقلات الابادة الجماعية التي كانت من اكثر الافكار الاستعمارية خطرا على حركة الجهاد الليبي، وقد حشر الطليان اهالي برقة في معتقلات الافناء الجماعي بمناطقالعقيلة والبريقة والمقرون وسلوق والتربة وسوسة وغيرها، وتذكر الروايات العديدة التي سمعتها ممن عاصروا تلك الفترة الرهيبة ان الطليان كانوا يطبقون اقسى الاساليب الاستعمارية وحشية فبالاضافة الى افناء المعتقلين بالمئات عن طريق تركهم فريسة للمرض والجوع سلك الطليان ايضا اسلوب العقاب الانتقامي المتمثل في الجلد والعمل في السخرة كما كانت مشانقهم منتشرة في ساحات المعتقلات لتحصد ارواح الابرياء يوميا.

ان اسوأ ما تفتقت عنه الذهنية الاستعمارية الايطالية هو اقامة المعتقلات وقد ترتب عليها اضعاف حركة الجهاد والتعجيل بانهائها في منطقة الجبل الاخضر ثم كانت حادثة القبض على عمر المختار واسره في معركة وادي الكوف او وادي بوطاقة او عي اللفو او كاف الدرقوش سنة ١٩٣١م بنص الروايات هي اسوأ النكبات التي حاقت بالمجاهدين الذين صمدوا طويلا وصبروا كثيرا في ساحات الجهاد، ومما هو جدير بالذكر انه كانت توجد بعض المقاومة في فزان والمنطقة الوسطى الغربية من ليبيا اثناء جهاد عمر المختار على شكل معارك تقع بين فترة واخرى اذ تذكر المصادر وقوع المعارك التالية :

١) معركة وادي دينار بنواحي بني وليد سنة ١٩٢٣م
٢) معركة الشميخ بنواحي ورفلة سنة ١٩٢٣م
٣) معركة قصر ميمون بوادي غبين سنة ١٩٢٣م
٤) معارك وادي الرمل، وفندق العلوص، سيدي الحمري، القصيبات، قصر الدوون وكلها بجهات ترهونة ووقعت سنة ١٩٢٣م
٥) معركة نالوت سنة ١٩٢٤م
٦) معركة سيناون سنة ١٩٢٤م
٧) معركة الطابونية بالقبلة سنة ١٩٢٤م
٨) معركة مزدة سنة ١٩٢٤م
٩) معركة تاقرفت سنة ١٩٢٨م
١٠) معركة بئر الشويرف بالقبلة سنة ١٩٢٩م

وهناك العديد من المعارك والمناوشات أيضا اثناء مرحلة زحف العدو على المناطق الغربية وقد أوردت ما تأكدت منه وقارنته بالمصادر.

هذا ولقد شاركت في انهاء حركة الجهاد العديد من العوامل اهمها قوة العدو في العدد والعدة، وظهور الفاشستية في ايطاليا وانتهاجها الخط الاستعماري الاستيطاني. وتصميمها على انهاء المقاومة بشكل عاجل وكذلك لدخول بعض المواطنين في صفوف الطليان ونجاح الفتن الاستعمارية الايطالية في استقطابهم الى جانب العدو وهجرة الكثير من المواطنين الى تونس ومصر وتشاد فرارا من جحيم التنكيل اليومي بهم الى اسباب اخرى كثيرة تكرر ورودها في فصول هذا الكتاب .

(١) فرانشسكو مالجيري الحرب الليبية ١٩١١م / ترجمة د / وهبي البوري — الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس (١) ١٩٧٨م ص : ٢١.
(٢) ٠ فرانشسكو مالجيري الحرب الليبية مصدر سابق ص : ١١٣.
(٣) ٠ فرانشسكو مالجيري الحرب الليبية مصدر سابق ص : ١١٣.
(٤) ٠ جورج ريمون من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا تعريب الدكتور محمد عبد الكريم الوافي مكتبة الفرجاني — ط ١ سنة ١٩٧٢م ص : ٧٢.
(٥) ٠ فرانشسكون مالجيري الحرب الليبية مصدر سابق ص : ٢٣٧.
(٦) ٠ الدكتور احمد ابراهيم دياب موقف مجلة المنار المصرية من الغزو والاحتلال الايطالي لليبيا، بحث مقدم لمؤتمر العلاقات العربية التركية الثاني بطرابلس سنة ١٩٧٢م ص : ٦١.
(٧) ٠ فرنسيس ماكولا /الغزاة — تعريب عبد الحميد شقلوف /العامة للنشر والتوزيع — ليبيا ، ط ١ سنة ١٩٧٩م ص : ٩٧.

(٨) ـ علي مصطفى المصراتي /مقال الشهيد العدد ٣ سنة ١٩٧٢م ص :٢٢١.
(٩) ـ محمد فؤاد شكري /السنوسية دين ودولة /دار الفكر العربي سنة ١٩٤٨م ص : ١٢١.
(١٠) ـ انظر مقال الباحث وعنوانه اثر الدين في جهاد الليبيين بمجلة الشهيد الصادرة عن مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي /العدد ٣ سنة ١٩٨٢م ص : ٦٠.
(١١) ـ اورخان كولو غلو /الراي العام الاسلامي في الاشهر الستة الاولى من الحرب الليبية الايطالية بحث مقدم للمؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية المنعقد بطرابلس سنة ١٩٧٢م ص : ٧ + ٥٦.
(١٢) ـ السنوسية دين ودولة مصدر سابق ص : ١٢٢.
(١٣) ـ الطاهر الزاوي جهاد الابطال /دار الفتح بيروت ، ط ٢ سنة ١٩٧٠م ص : ٦١...
(١٤) ـ جورج ريمون /من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا /تعريب محمد عبد الكريم الوافي مكتبة الفرجاني طرابلس ـــ ط ١ سنة ١٩٧٢م ص : ١٠٥.
(١٥) ـ انظر مقال الباحث بمجلة الشهيد الصدرة عن مركز الجهاد الليبي سنة ١٩٨٢م ، العدد ٣ ص : ٥٩...
(١٦) ـ انور باشا مذكرات انور باشا تعريب الدكتور عبد المولى الحريري مراجعة حبيب الحسناوي نشر مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي سنة ١٩٧٩م ص : ٤٦.
(١٧) ـ محمد الطيب الاشهب /برقة العربية امس واليوم /القاهرة ـــ مطبعة الهواري سنة ١٩٤٧م ص٢٩٧.
(١٨) ـ جورج ريمون ـــ من داخل معسكرات الجهاد ص : ١٩١.
(١٩) ـ لمعرفة المزيد من اسماء القبائل المشاركة في الجهاد منذ البداية وزعمائها انظر على سبيل المثال ما كتبه الصحفي الفرنسي «ريمون» في كتابه من داخل معسكرات الجهاد ص : ١٠٦ و ١١٣ وكذلك ما اورده قراتسياني في فترة لاحقة في كتابه نحو فزان ص : ١٧ وما جاء في كتاب السنوسية دين ودولة لمحمد فؤاد شكري ص : ١٢١ وما بعدها.
(٢٠) ـ جورج ريمون مصدر سابق ص : ٧٠.
(٢١) ـ محمد لطفي ابراهيم تاريخ حرب طرابلس /مطبعة بنها سنة ١٩٤٦م ص : ٣٦.
(٢٢) ـ احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد محمد بن علي /بغية المساعد في احكام المجاهد /مطبعة جريدة الشعب في القاهرة المعزية سنة ١٣٣٢هـ الصفحات : ٢، ٦، ٧.
(٢٣) ـ د /عبد المولى الحريري /مقدمة الترجمة لمذكرات انور باشا ص : ١٧، ٢٠.
(٢٤) ـ انظر محمد عبد الرزاق مناع /جذور النضال العربي في ليبيا ببنغازي ليبيا ط ٢ سنة ١٩٧٣م ص : ٢٦ كما - انني اعتمدت كثيرا على روايات كبار المجاهدين المعاصرين للاتراك امثال سعد عبد القادر البرزان من منطقة شحات /ويحي الطبجي البرعصي من منطقة البيضاء /ومحمد فضيل النافرة من منطقة القيقب وغيرهم.
(٢٥) ـ من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا /مصدر سابق ص : ١٢٠، ١٣١.
(٢٦) ـ باولو مالتيزي /ليبيا ارض الميعاد ـــ ترجمة عبد الرحمان سالم العجيلي ، مراجعة محمود التايب /منشورات مركز دراسة الجهاد الليبي سنة ١٩٧٩م ص : ٢٩٧.
(٢٧) ـ محمد صبيح /بطل لا ننساه عزيز المصري وعصره /المكتبة العصرية بيروت سنة ١٩٧١مص :٣٨
(٢٨) ـ ليبيا ارض الميعاد /مصدر سابق ص : ٣٥٨.
(٢٩) ـ ليبيا ارض الميعاد /مصدر سابق ص : ٣٤٤.
(٣٠) ـ ارودلفو قراتسياني /برقة الهاوئة /تعريب ابراهيم سالم بن عامر ـــ منشورات مكتبة الاندلس بنغازي /ط ١ سنة ١٩٧٤م ص : ٢٦٦.
(٣١) ـ الدكتور جمال زكرياء قاسم /موقف مصر من الحرب الليبية الايطالية، بحث في كتاب ليبيا في التاريخ /منشورات الجامعة الليبية سنة ١٩٦٨م ص : ٣٢٩. وكذلك مختار الهادي بن يونس من سجل الشهداء /مجلة الشهيد العدد ٣ سنة ١٩٧٢م ص : ١٥٤.
(٣٢) ـ رواية المجاهد المرحوم علي عقيلة ، في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٠م وسنه ٨٥سنة، رواية المجاهد سعد البرزان وسنه ٩٥ سنة في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٠م.
(٣٣) ـ خليفة التليسي معجم معارك الجهاد /مصدر سابق ص : ٤٠ ، ٤١.
(٣٤) ـ محمد الطيب الاشهب /برقة العربية امس واليوم /مطبعة الهواري القاهرة سنة ١٩٤٧م ص : ٢١٦.
(٣٥) ـ انظر روايات المجاهدين المشاركين في جيش احمد الشريف والذين قابلهم الباحث فيما بين عامي ١٩٧٩م ، ١٩٨٢م والمودع بعضها بالمكتبة المسموعة بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي /بطرابلس.
(٣٦) ـ انظر مقال الباحث بصحيفة الموطف العدد ٩٢ لسنة ١٩٨٢م الصادرة بمناسبة ذكرى عيد الثار.

(٣٧) * برقة العربية /مصدر سابق ص : ٣٢١.

(٣٨) * انظر الترجمة التفصيلية من حياته الواردة بهذا البحث.

(٣٩) * جهاد الابطال مصدر سابق ص : ٢٩٢.

(٤٠) * وثائق من تاريخ السيد احمد الشريف /كلية الآداب بالكويت صفحة ٢٠ ، انظر كذلك أ ، أ ، ايفانز بريتشارد سنوسيو برقة ص : ٢٤٩.

(٤١) * العلاقات العربية الايطالية /مصدر سابق ص : ٣٠٤.

(٤٢) * عبد الملك بن عبد القادر /الفوائد الجلية /مصدر سابق ص : ٤٢.

(٤٣) * السنوسية دين ودولة /مصدر سابق ص : ٢٠.

(٤٤) * جهاد الابطال /مصدر سابق ص : ٢٩٥.

(٤٥) * حرب طرابلس الغرب /مصدر سابق ص : ٧٨.

(٤٦) * اتريكو انسباتو /العلاقات العربية الايطالية /تعريب عمر الباروني — منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ص : ٣٠٣.

(٤٧) * السنوسية دين ودولة /مصدر سابق ص : ٢٤٣.

(٤٨) * محمد سعيد القشاط /خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ص : ١٢٩.

(٤٩) * محمد لطفي ابراهيم /حرب طرابلس مصدر سابق ص : ٨.

(٥٠) * مجلة الشهيد العدد ٣ سنة ١٩٨٢م ص : ١٧٢.

(٥١) * مجلة الشهيد العدد ٢ اكتوبر سنة ١٩٨١م ص : ٥٥.

(٥٢) * انظر الطاهر الزاوي /عمر المختار /منشورات مؤسسة الفرجاني سنة ١٩٧٠م ص : ١٨٦.

(٥٣) * السنوسية دين ودولة مصدر سابق ص : ٢٥٣.

(٥٤) * جهاد الابطال /مصدر سابق ص : ٢٥٧.

(٥٥) * علي عبد الخالق مخيون من الجبل الاخضر وجهاده كله في المناطق الغربية قابلته بالفائدية سنة ١٩٧٩م وعمره حوالي ٩٥ سنة.

(٥٦) * رواية المجاهد يحي الطبجي وعمره حوالي ١٠٠ سنة بمنطقة البيضاء ١٩٨٢مو كذلك رواية المجاهد صالح عقيلة بشحات ١٩٨٣م انظر ايضا محمد صالحية /الادوار في حركة الجهاد الليبي ، منشورات كلية الآداب بالكويت سنة ١٩٨٠م ص : ١٦

(٥٧) * محمد لطفي ابراهيم /تاريخ حرب طرابلس /مصدر سابق ص : ٥٢.

(٥٨) * انظر رواية المجاهد انبيه صالح الغربي الطائش وقد قابله الباحث المبروك الساعدي سنة ١٩٧٨م والرواية مسجلة بالشريط رقم ٨ /١٣ /انظر ايضا معجم معارك الجهاد ، مصدر سابق ص : ٥٢٠.

(٥٩) * محمد سعيد القشاط /خليفة بن عسكر /مصدر سابق ص :١٢٠.

(٦٠) • انظر ما كتبه عنه قراتسياني في كتابه نحو فزان /مصدر سابق وما كتبه عنه محمد المرزوق في كتابه : عبد النبي بالخير داهية السياسة ، مصدر سابق ايضا.

(٦١) • رودولفو قراتسياني /نحو فزان /تعريب طه فوزي /الناشر الفرجاني طرابلس طبع دار الفندور ص : ١٨٦.

(٦٢) • نحو فزان ، مصدر سابق ص : ٢٤٤.

(٦٣) • انظر محمد لطفي ابراهيم /حرب طرابلس /مصدر سابق ص : ٨٣.

(٦٤) • وثائق من تاريخ السيد احمد الشريف ، مصدر سابق ص : ٣١.

(٦٥) • جهاد الابطال /مصدر سابق ص : ٤١٨.

(٦٦) • سنوسيو برقة /مصدر سابق ص : ٢٦١ ، ٢٦٢.

(٦٧) • حرب طرابلس /مصدر سابق ص : ٨٦.

(٦٨) • عمر المختار للاشهب /مصدر سابق ص : ٥٤.

(٦٩) • عمر المختار نشاته وجهاده /مصدر سابق ص : ٦٧.

(٧٠) • عمر المختار نشاته وجهاده /مصدر سابق ص : ٣١.

(٧١) • محمد الشلماني /شيء عن بعض رجال عمر المختار. نشر المنشأة الشعبية للكتاب والتوزيع بنغازي ١٩٨١م ص : ٦٤.

(٧٢) • رواية المجاهد عبد العاطي محمد بوبعيدة في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٣م.

(٧٣) • رواية المجاهد عبد الرزاق عبد الله ادريس في مقابلتي له بمنطقة الفائدية سنة ١٩٧٩م.

(٧٤) • رواية المجاهد المرحوم عبد الله سويل في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٠م.

(٧٥) ه رواية المجاهد صالح عقيلة في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٠م ، والمجاهد محمد عثمان البرعصي في مقابلتي له بعمر المختار سنة ١٩٨٠م.

(٧٦) ه رواية المجاهد خالد البراني البرعصي سنة ١٩٨٣م.

(٧٧) ه رواية المجاهد المهدي ميلاد سالم قوارة المصراتي في مقابلتي له بالبيضاء سنة ١٩٧٩م.

(٧٨) ه رواية المجاهد محمد محمد النعاس من منطقة الفجر الجديد سنة ١٩٨٣م في النبذة المكتوبة التي قدمها لي قريبه عبد الله حسين فرج.

(٧٩) ه شيء عن بعض رجال عمر المختار /مصدر سابق ص : ٤١.

(٨٠) ه رواية المجاهد آدم الهاين سليمان من شحات سنة ١٩٧٩م.

(٨١) ه برقة العربية امس واليوم /مصدر سابق ص : ٤٢٣.

(٨٢) ه مصطفى سعد الهاين /من احداث الجهاد العربي الليبي ، مصدر سابق ص : ١١.

الفصـــل الرابـــع

تنظيمات المجاهدين الليبيين الحربية والادارية في المحلات والادوار والمعسكرات.

أولا : التنادي للجهاد

عندما دخلت الاطماع الاستعمارية الايطالية في ليبيا حيز التنفيذ العملي كانت الدولة التركية التي تحكمها مثقلة بالكثير من المشاكل.

ولكن ولكن رابطة الدين الذي كان مستهدفا من المسيحية حينذاك وحدّت بين الضباط الاتراك الصادقين في توجههم الاسلامي وبين الليبيين الذي تعودوا رفض سيطرة العثمانيين انفسهم — وهم من المسلمين — فما بالك وقد غزا بلادهم الكفار خاصة وان الحملة الايطالية اكتسبت الصفة الصليبية الواضحة مند البداية بدليل ان الايطاليين عندما سقط اول قتلاهم في معركة الهاني بطرابلس وضعوا على قبره صليبا من سعف النخيل وقالوا :

«لاول مرة ينصب الصليب فوق الارض الاسلامية ايذانا بان الصليب سينتصر على الاسلام». وفي هذا الدليل الصادق على ان الاستعمار في كل زمان كان يستهدف الاسلام بغزوه للارض وفيه الدليل ايضا على ان جهادنا كان من اجل كل المسلمين. ان التنادي للجهاد نبع من الليبيين انفسهم اذ سارع الاعيان والمشائخ من رجال الدين البارزين الى ابلاغ واشعار كافة المناطق القريبة والبعيدة بالغزو الايطالي بل نبّهوا اليه قبل ذلك بكثير وكان الحماس في التصدي له منقطع النظير.

يقول المجاهد فرحات الزاوي مخاطبا الرحالة الفرنسي «جورج ريمون» :

(اخذت انتقل بين القبائل والقرى الليبية وعدت ومعي عدد كبير من مجاهدي زوارة والعجيلات والزاوية. كنا في اخريات شهر اكتوبر واخذ المجاهدون يتوافدون من كل صوب وحدب وكانوا يقبلون على معسكر الجهاد في حشود هائلة مهترئي الثياب وقد لوحوا باسلحتهم باعثين من حناجرهم صيحات مزمجرة وتهليلات مجلجلة تقول : «الجهاد في سبيل الله» وقال ايضا : «بينما كنت انا الهب حمية الناس هنا كان الزعيم «سليمان الباروني» بقوم بنشر الثورة في كل الجبل الغربي)[1].

ويتحدث المجاهد محمد ابو عبد الله خليفة من منطقة تغرنة عن تنادي المجاهدين من اقصى جهات ليبيا فيقول :

«سمعنا بنزول الايطاليين في طرابلس وبعد ذلك بخمسة عشرة يوما جاء الى غريان جماعات من التبو والطوارق في طريقهم الى طرابلس لمحاربة الايطاليين وكانوا يرددون لا اله الا الله ، جهاد يا رسول الله»[2].

ويقول المجاهد محمود الجهمي في مذكراته :

«لما دكت مدفعية الاسطول الايطالي المدن الليبية الساحلية وانسحب الاتراك العثمانيين خارج المدن تقاطر عليهم المواطنون من تلقاء انفسهم بواعز من الضمير اليقظ والاحساس المرهف بوطأة العدو الصليبي»[3].

هذا ويتضح من الروايات الشفهية التي سجلت للمجاهدين ان الحضور الى مواقع الجهاد كان يتم بمجموعات حيث تتدبر كل مجموعة امورها فتحمل زادها وسلاحها وذخيرتها، وقد دفع الحماس بعضهم الى التوجه لمواقع القتال وهو لا يمتلك من السلاح سوى أعصاة من الخشب، وكل قبيلة ترسل بمجاهديها تختار احسن خيمة عندها «اي بيت مصنوع من الشعر» وتحمله معها وتصحبهم بعض النساء ممن يملكن المقدرة التامة على مواجهة ظروف الحرب، وتتوجه كل قبيلة تحت امرة شيخ الزاوية او المحلة، وفي بداية الجهاد كان اعلام القبائل بهجوم الغزاة كافيا لان تتدافع الجموع متطوعة في تنافس لاحراز الانتصارات على العدو واكتساب شرف التغلب عليه وعن هذه الروح المعنوية العالية يتحدث «انور باشا» القائد التركي بدور الظهر الحمر بدرنة فيقول :

«اخذ المتطوعون يتوافدون علي من كل القبائل فيالهم من رفاق عظام».[4]

ولم يكن توافد الليبيين على معسكرات الجهاد مقتصرا على مجموعات من الرجال وبعض النساء فقط بل ان المجاهدين اصطحبوا الى مواقع القتال عائلاتهم بكاملها فساهم فيه الكبار والصغار رجالا ونساء في بعض المراحل وعن هذه الروح القتالية الجماعية وسرعة التواجد بساحات الجهاد يتحدث الرحالة «جورج ريمون» فيقول :

«تقوم قرب بنغازي مدينة.اخرى كبيرة قوامها الخيام الرابضة». وقد حط بها المجاهدون بعائلاتهم فخيامهم تعج بالشيوخ الطاعنين في السن وبالنساء والاطفال الذين غالبا ما يتبعون المجاهدين في معاركهم لاثارة حميتهم وتشجيعهم ولاسعاف جرحاهم ونقل شهدائهم»[٥] .

ان وضع الاسر بكاملها في مؤخرة ميادين المعارك من الاساليب المتبعة في الاسلام كما حدث في غزوة الخندق وغيرها ذلك لأن مثل هذا الاجراء يطمئن المجاهد على اسرته من جهة، ويجعله اكثر تصميما على الصمود والانتصار من جهة اخرى.

كما ان التواجد الحماسي والحضور السريع الى مواقع الصدام مع العدو من قبل الليبيين كبارا وصغارا شمل كافة المناطق وهذا الطبيب الالماني «تيلهابر» يذكر عن جبهة المجاهدين بطرابلس ما يلي :

«من المثير منظر القبائل البدوية الجديدة وهي تتوارد الى المقر وكان كل من في المعسكر بتجمع بالانتظار عندما تاتي مجموعات كبيرة من الجنوب يتقدمهم الشيوخ زعماء القبائل بثيابهم الفاخرة وهم على صهوات جيادهم البديعة تتبعهم مجموعاتهم وكان الشيوخ بذقونهم البيضاء يسيرون الى جانب صبية صغار وكثير من هؤلاء المحاربين لم يتجاوز سنه ١٢ ــ ١٣ عاما ولكن الشيخ والشاب كان يمتلك بندقية ممتازة».[٦]

لقد كان الحضور للجهاد في بدايته يتم باعداد كبيرة جدا ثم خضع بالتدريج للتنظيم فكان البعض يجاهد ومعه عدد من النسوة للاهتمام بشؤون التمريض والمداواة والطهي والتشجيع واعداد الاسلحة والذخيرة ونقلهما والمساهمة في القتال في كثير من المعارك، اما البعض الآخر من الرجال فيبقى في مواقع القبائل البعيدة عن العدو ليكون الاحتياطي الاستراتيجي للمجاهدين ويحل بديلا عن كل مجموعة تعود بعد اتمام المدة المقررة لها في الجهاد، وتناط بغير المجاهدين المتواجدين في مواقع القتال مهام زراعة الارض والحصاد ورعاية المسنين والنسوة والاطفال واعداد التموين وجمع المال للمقاتلين. وبهذا كان الجهاد يسير وفق نظم محددة وخطط ممدروسة ودلّل الليبيون جميعا على مقدرة تعبوية وحنكة تنظيمية.

يقول المجاهد ابو عجيلة المقطف من منطقة جندوبة سنة ١٩٧٨م ما يلي :

«لما ذهبنا الى العجيلات كانت مجموعتنا بديلا للمجموعة التي كان يراسها (مسعود حابة) كما رجع الى غريان في تلك الفترة (المختار كعبار) بعد ان حضر بدله الى هناك وبقينا نحن ثلاثة شهور».

ويؤكد المجاهد (المختار المشلوح) من نفس المنطقة رواية زميله ويذكر ان هناك من رفض البدل وفضّل الاستمرار في الجهاد.[٧]

ان الاسلوب الطوعي في امداد جبهات القتال بالمجاهدين الجدد كلما احتاجت ظل الحفاظ عليه مستمرا حتى في احلك سنوات الحرب حرجا وقسوة ورغم ظروف القبائل السيئة ونقص رجالها وتدهور اقتصادها الا انها كانت تؤدي ضريبة الدم من اجل الدين والوطن طواعية وبانتظام وعن دور عمر المختار وهو آخر ادوار الجهاد في ليبيا يقول الدكتور (عقيل محمد البربار) :

«كانت عملية كسب المتطوعين الى حركة الجهاد تتم عن طريق مشائخ القبائل ومن كان لهم وزن اجتماعي داخل تركيباتهم الاسرية والقبلية وكان عمر المختار يكلف من حين لآخر بعض اعوانه بالذهاب الى كل قبيلة لجلب المتطوعين، وكانت كل قبيلة تقوم بتعويض شهدائها في ساحة المعركة بمتطوعين جدد».[٨]

يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

«فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما»[٩].

وقد جاء في التفسير ان القتال هنا يكون لاعلاء الدين وان الظفر للمسلمين يتحقق في حالتي النصر او الشهادة وقد مر في البحث ما يغني عن التفصيل والزيادة وما يهمني هو ان اكرر التاكيد عن قناعة مطلقة لا تخضع للهوى ولا يشوبها التحيز.

ان المجاهدين الليبيين قادة وافرادا في المدن والدواخل والواحات عندما نهضوا باعباء الجهاد وصبروا في ميادينه طويلا كانوا يطبقون الاوامر الالهية الواردة في القرآن الكريم بخصوص الجهاد ويعون الدروس المستفادة من سيرة النبي الكريم والمجاهد الاول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام الذي قال :

«الجنة تحت ظلال السيوف».[10]

وقال ايضا :

«والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة».[11]

الثاني : التسليح والتدريب

عرف الليبيون منذ القدم انواعا مختلفة من الاسلحة فقد تطلبت ظروف الحروب المتعددة التي خاضوها مدافعين احيانا او مهاجمين احيانا اخرى ان يلموا بفنون الحرب واساليب القتال ومتطلباتهما ولقد الف الليبي السلاح واجاد فهمه وصنعه بماكان يتيسر له من امكانيات ووسائل، ويحدثنا التاريخ ان «منفتّاح» احد ملوك مصر القدماء استولى على العديد من السيوف البرونزية من قبائل المشواش الليبية اثناء حربها معه وطوّرها واستفاد منها وفيما بعد استولى نظيره (رمسيس الثالث) على عدد كبير من السيوف ايضا وكانت اكثر تطورا من سابقتها هذا وتوضح رسومات (معبد الكرنك) بمصر، ورسومات (جبل العوينات بليبيا) الاسلحة الليبية القديمة والتي من بينها العربات الحربية، ونستنتج من كل ذلك ان الليبيين كان لهم السبق في صنع السلاح وتطويره، ورغم ان ذلك حدث في زمن بعيد جدا فان المؤكد ان عادات ومهارات الآباء يرثها الابناء كلها او بعضها عبر الاجيال كما ان تصدي الليبيين لكثير من الغزاة وثوراتهم ضد المستعمرين على مر السنين لا بد وان يجعلهم اكثر حرصا على اقتناء السلاح وتطوير صناعته.

فاذا ما وصلنا الى العهد الاسلامي — وهو ما يهمني التاكيد على ابرز تاثيره في خلق الشخصية الجهادية الليبية — فاننا نجد ان الليبيين قد رحبوا بالفتح الاسلامي[12]، وصارت بلادهم معبرا للجيوش الاسلامية التي قامت بنشر الاسلام في شمال وغرب افريقيا كما ساهموا في حفظه وتثبيته فيما بعد، ومن المؤكد ان شعبا يدخل اكثره في الاسلام طواعية قد اسهم ايضا بالكثير من ابنائه في جيوش الفتح واستفاد من تجارب المسلمين ومقدرتهم الحربية واستوعب اساليبهم في القتال وافكارهم في مجال صنع الاسلحة.

ولقد مر بليبيا بعد ذلك ما مر بالامة العربية والاسلامية من ظروف وتقلبات بين فترات التاخر والهزيمة التي نتجت عن عدم التمسك بالوحدة والجهاد ومتطلباتهما وبين فترات التقدم والنصر التي صنعتها العودة الى التمسك بهما مجددا في بعض الاقطار. وهناك بعض الظروف التي مرت بالليبيين خاصة ومنها ان الارض الليبية كانت ممرا للقوافل التجارية فيما بين الشمال والجنوب باعتبارها حلقة الوصل بين اوروبا واواسط افريقيا، وبين الشرق والغرب باعتبارها حلقة الوصل بين اقطار الوطن العربي، ونظرا لتعرض هذه القوافل التجارية للمخاطر احيانا وحدوث بعض النزاعات بين القبائل والافراد احيانا اخرى وبسبب ثورات الليبيين المتكررة ضد العثمانيين فقد كان ابرز ما يتميز به الفرد الليبي على الدوام هو تمسكه بسلاحه الذي كان بسيطا ومتنوعا مقارنة باسلحة ذلك العصر المتطورة وقد لاحظ الطبيب الالماني (تيلهبار) — عندما زار طرابلس في بداية الجهاد ضد الطليان — استمرار محافظة الليبيين على التمسك بالسلاح واتصافهم بالروح القتالية فقال :

«ان العرب الليبيين هم شعب محارب حقيقي. الحرب في نظرهم اسمى حدث في الحياة والبندقية هي ملكيتهم الوحيدة»[13].

ومن المعروف ان النزعة الصليبية ضد الاسلام قديمة ومستمرة وان الخطر الاستعماري قد داهم الشعوب الاسلامية والعربية على نطاق واسع في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي وقد استمر تصاعد هذه الهجمة الاستعمارية مما جدّد الايمان بضرورة التمسك بالاساليب العظيمة التي صنعت نصر الاسلام فيما مضى. وبيّن أهمية التعويل الكامل عليها وقد دللت احداث الجهاد الليبي ضد الطليان على تمسك الليبيين الشديد بعقيدة الجهاد فبالايمان وحده وقفوا ضد الطليان اما سلاحهم المادي فلم تكن له قياسا بسلاح العدو اية اهمية تذكر. واكثر الذين توجهوا الى مواقع القتال كانوا من العزل يقول المجاهد (محمد ابو النافرة) :

«حين توجهت الى دور الظهر الحمر بدرنة كانت مهمتي هي سوق الابل واشترطت ان يكون اجري هو الحصول على

يعد آخر. لقد ابدى العرب براعة فائقة في فهم الاسلحة الحديثة واستخدامها وكان العرب الذين لم يتمكنوا بعد من الحصول على بنادق ايطالية يتحرقون شوقا لقتل الاعداء واخذ بنادقهم»[٢١].

اما في غرب ليبيا فان العدو الايطالي يعترف بنفسه بان المجاهدين كانوا يغنمون الاسلحة منه يقول «قراتسياني» : استخرج المجاهدون من مخازننا ومستودعاتنا التي تركناها بسبب سرعة انسحابنا كميات هائلة من الاسلحة والذخيرة ويقدر عدد الاسلحة التي كانت تحت تصرف الثوار في مجموعها بنحو اربعين الف بندقية فضلا عن عدة مئات من مدافع الميترااليوزات المختلفة ونحو ثلاثين مدفعا اخرى»[٢٢].

وبالاضافة الى ما يغنمه المجاهدون من الاسلحة كانوا يحصلون عليها ايضا من المجندين مع الطليان وعن ذلك يتحدث (قراتسياني) ايضا في احدى منشوراته فيقول :

«الخاضعون لسلطاتنا من الليبيين كلهم مسلحون ويتحصلون على الاسلحة والذخيرة بسهولة ويبعثونها الى الثوار ولكن نزع السلاح الساري الى الآن عمله ان سحب السلاح مستمر دون هوادة، وفي القريب العاجل سيعلن قرار حكم الاعدام على كل من تكون في حيازته اسلحة وذخيرة»[٢٣].

وفي محادثات القيقب بين المتصرف الايطالي والمجاهد عمر المختار قائد المجاهدين اجاب الاخير عن سؤال يتعلق بمصادر السلاح قائلا : (مصانعكم تصنع السلاح وانا آخذه غنيمة منكم)[٢٤].

ويذكر مؤلف كتاب السويحلي ان صحفيا سأل رمضان السويحلي عن مصدر سلاحه فاجاب قائلا : «مصانع ايطاليا ترسل لي الاسلحة عن طريق جنودكم»[٢٥].

واورد (محمد القشاط) ان عبد النبي بالخير عندما اعطاه الطليان الف بندقية ليوزعها على المشاركين في حملة القرضابية صار يوزعها بدون قيد حتى انه كان ينادي الشخص فيعطيه بندقيتين او ثلاث ويقول له امام الطليان :

«اعطيها لاخوتك والرجل لا اخوة له كما ارسل الى جماعة الطبول — التابعة للمجاهدين — عدد (٣٨) بندقية بذخائرها وهي عماد سلاح احمد سيف النصر»[٢٦].

واورد (نقولا زيادة) ايضا رواية لاثنين من مجاهدين منطقة (توكرة) تحدثا فيها عن معاونة المجندين مع الطليان فقالا :

«التقينا بفرقة ممن انضموا الى الطليان قسرا واعطونا من زادهم وسلاحهم وذخيرتهم واوصونا بان نطلق عيارات نارية في الهواء وبعد مغادرتنا اطلقوا هم ايضا عيارات نارية ذرا للرماد في العيون»[٢٧].

اما وقد عرفنا مصادر الاسلحة فن الواجب ان نذكر ان المجاهدين لم يتركوا اية وسيلة ممكنة لاصلاحها عند العطل وكذلك ادخال كل تحسين ممكن عليها، وكان للاتراك في البداية دورهم الواضح في هذا المجال اذ يذكر لنا ذلك (انور باشا) القائد التركي بدرنة فيقول : «لقد ادخلت تحسينات معينة على الادارة كانشاء ورش حديثة حيث يتم اصلاح البنادق والمدافع الرشاشة التي تتمكن من اغتنامها»[٢٨].

وذكر لي بعض الرواة ان المجاهدين عندما انقصت الذخيرة لديهم صاروا يعاودون تعبئة (الظروف الفارغة) بالبارود من جديد ويغلقونها بكاغط خاص وعرفت هذه الذخيرة باسم (المكوغط) ومن بين الادلة على ذلك ان احد المجاهدين ويدعى (دميس التركاوي) كان يضرب الطليان في دور الظهر الحمر وهو يرتجز قائلا :

(يا مكوغط حن........عازاتك جن).

وقد ترددت هذه الاهزوجة الحماسية على لسان المجاهد المدفعي محمد عوض الاعمى أيضا والمعنى اسمعني صوتك أيها السلاح البديل فقد آن أوان الحاجة إليك ، وقد اصبح اسم (المكوغط) فيما بعد علما على الذخيرة كلها الاصلي منها والمقلد كما انتقل قول ذلك المجاهد ليتردد على ألسنة الكثير من المجاهدين في عدة أمكنة [٢٩] . هذا كما تخصص في صيانة سلاح المجاهدين واصلاحه بعض الاشخاص منهم وعلى سبيل المثال فقد اشتهرت بهذا العمل في ادوار عمر المختار عائلة مجاهدة تسمى عائلة الغويل، وما يزال احدهم حتى هذا الوقت يلقب (التوفيقجي) اي القائم والمختص باصلاح السلاح ومثيله احد مجاهدي منطقة الابرق وثالث بمنطقة بنغازي يعرف باسم (بدر الغويل)[٣٠].

كما تطوع الكثير من المجندين مع الطليان باستبدال قطع السلاح التي تتعطل بقطع اخرى جديدة يهربونها من مخازن الطليان الى المجاهدين كما كانوا يتركون لهم الذخيرة في مواقع المعارك ويضعون فوقها علامات لكي يهتدي اليها اخوانهم من المجاهدين او يخفونها تحت جثث الشهداء لعلمهم بان المجاهدين لا يتركون شهدائهم في العراء كما كانت الذخيرة تصل المجاهدين مهربة من جهة الطليان بطرق عديدة مما جعل الطليان يغيرون سلاحهم لكي يحرموا المجاهدين من الذخيرة المتسربة اليهم اما فيما يتعلق بالمجاهدين في غرب ليبيا فقد تخصص ايضا في اصلاح السلاح بعضهم كما كلف بعض الاسرى الطليان بهذه المهمة يقول المجاهد (محمد ابو عبد الله) من منطقة (تغرنة) :

«ان الاسرى الطليان في منطقة مصراتة وعددهم خمسمائة اسير حضروا من عدة اماكن وستغلوا في صنع الاحذية واصلاح الاسلحة»[٣١].

وعن طريق الاتراك وصلت الى ساحات الجهاد بغرب ليبيا الكثير من الاسلحة الاكثر تطورا ومنها (المتراليوز) ونصف المدفع المسمى عند الاتراك (كيشوك طب) والمدافع الكبيرة المسماة (جبال طب) كما عرفوا في بعض الاحيان القنبلة وكانت تسمى (كوجك طمعب)[٣٢].

ان الليبيين الذين جابهوا طواغيث المستعمر الايطالي كانوا مقاتلين بالفطرة ثم صقلتهم التجربة وافادهم التعليم، وقد مر بنا ان العامل الديني كان اقوى المؤثرات الفاعلة في ملحمة الجهاد الليبي، وان الليبيين بدأوا كفاحهم ضد الطليان وهم يمتلكون الزاد المعنوي الذي لا ينضب والحماس الوطني الذي لا يقهر، ولذلك فلم تقف مشكلة السلاح عائقا امامهم وانتهزوا كل فرصة ممكنة للحصول عليه وطوروا اساليبهم القتالية لتوافق تقدم انواع السلاح المختلفة التي تيسر لهم الحصول عليها وبالتاكيد فان الذي يجيد استعمال السلاح لا بد وان يكون جيد التدريب وهذا ما اكدته مسيرو الجهاد الليبي ونتائج المعارك المتعددة التي وقعت خلاله ضد الطليان فقد كان الليبيون مقاتلين متمرنين بحكم الظروف والتعود وبحكم مجابهة الاحداث كما كان اكثرهم على دراية باساليب التدريب وانواعه القديمة والحديثة عن طريق التدريب الذي تلقوه على ايد افراد منهم او عن طريق الاستفادو من الغير فبالاضافة الى ما تلقوه من تدريب واعداد معنوي مع تعليمهم المهارات المختلفة في المساجد والزوايا كما ذكرنا سابقا فقد وقعت الحرب بينهم وبين الفرنسيين دفاعا عن العقيدة في وسط افريقيا ولا شك ان تلك الفترة النضالية الزمتهم بالمداومة على التدريب العسكري واكسبتهم الخبرات الحربية وخلقت منهم كوادر من المدربين القادرين كما ان الاتراك كان لهم دورهم الذي لا ينكر في تدريب الليبيين في تركيا او في المدارس الحربية التي اقاموها داخل ليبيا وخرجت الضباط البارزين الذين اضطلعوا بمهمة تدريب واعداد المقاتلين في اماكن كثيرو من ليبيا ففي جبهة المجاهدين بدرنة التي كان من ابرز قاداتها (انور باشا) كان يجري التدريب اليومي للمجاهدين على يد ضباط بعضهم من الليبيين وعن ذلك يتحدث (الدكتور عبد المولى الحرير) فيقول :

«وصل السيد احمد الشريف الى العزيات، وكانَ في استقباله لفيف من المجاهدين وتم توزيع السلاح وقام بتدريب المتطوعين بعض المتخصصين امثال (ابوبكر البوال القطعاني) و (طارق بن عبد القادر الافريقي)[٣٣].

وذكر لي المجاهد (صالح محمد ابوعرقوب) رئيس الادارة في عهد احمد الشريف ما يلي : «هناك مجموعة من ابناء ليبيا تلقوا تعليمهم في عهد الاتراك داخل ليبيا ثم ارسلوا الى تركيا فتخصص بعضهم في شؤون الحرب بينما تخصص البعض الآخر في الشؤون الادارية وكانت الدراسة في الجغبوب ذات مستوى جيد وقد تلقى الراوي تعليمه بها»[٣٤].

كما ذكر لي الحاج عبد الله عبد الحميد بوفلقة العبيدي ان المجاهد المرحوم عبد الحميد بوفلقة كان من الذين تلقوا تدريبا عسكريا متقدما على يد الاتراك ثم تخصص مع آخرين بمهمة تدريب المجاهدين[٣٥].

وروى المجاهد محمد ابو عبد الله من منطقة (تغرنة) سنة ١٩٧٨م انه درس العلوم الاولية في المكتب التركي في غريان ثم انتقل الى الدراسة بمكتب (الكوشك ضابط) في مصراتة[٣٦].

ورد في رواية المجاهد (ابو عجيلة المقطف) من منطقة (جندوبة) سنة ١٩٧٨م قوله : «اذكر الضباط الذين ارسلهم (عبد العاطي الجرم) لتدريبنا وهم : صالح الكيلاني، ومحمد المريض، ومحمد معيوف، وصالح الكاديك وكنا نتدرب على المشي في الطابور»[٣٧].

هذا ولقد تنوعت اساليب التدريب وتطورت بمرور الزمن وفق تطور صنع الاسلحة وقد اسهم في هذا التطور ودفع به الى الامام الضباط الاتراك والليبيون على السواء، فبعد ان كان التدريب قاصرا في الغالب على طوابير المشاة واستعمال السلاح الشخصي البسيط كالبندقية ارتقى الى دراسة الفنون العسكرية المختلفة والتدريب على اسلحة اكثر تطورا واقوى تاثيرا، وقد ورد في كتاب (سعدون) قول المؤلف :

«اقام نوري الضابط التركي مدرسة حربية في مصراتة درّست فيها فنون التكتيك العسكري واطلاق النار والمباغتة وتنظيم الصفوف والخدع الميدانية ومديرها — اليوزباش امين بك — ومن مدرسيها — عبد الله الشامي — وتخرج من هذه المدرسة عدد وافر من الضباط ووزعوا على جبهات القتال»[٣٨].

ان التدريب الذي تلقاه قادة الجهاد في المدارس الحربية كان له الاثر الواضح في مسيرة الجهاد اذ ان المتخرجين منها — وخاصة من تلقلوا التعليم الديني في البداية — كانوا من ابرز المخططين في الحرب واكثر مقدرة على التنظيم والادارة لذا فقد تناوب اكثرهم شغل وظيفة (قومندان السلاح الحربي) كم حدث في ادوار عمر المختار وجيش سعدون السويحلي على سبيل المثال ولقد دللت وقائع الاحداث المتتابعة في كامل مراحل الجهاد على الاثر البعيد لمدرسة التدريب الليبية التي بدات بالتركيز على الرفع من الروح المعنوية وجعلت من ابرز مهامها تحقيق ما ينشده مبدا الجهاد واعتمدت على الخبرة الحربية المكتسبة في ميادين النضال.

هذا ولا ننسى ان التدريب كان من ابرز ما يتميز به الضبط والربط، واخذ الحيطة في كامل التحركات والتصرفات. واستمر التمسك بهذه الامور الهامة معمولا به طوال فترة الجهاد. يقول المجاهد (محمد رمضان) من منطقة (ابوزيان) سنة ١٩٧٨م :

«وصلنا عين زارة وبمجرد وصولنا صدرت الينا تعليمات ببدء الهجوم ومنع التدخين والكلام»[٣٩].

ويتحدث المجاهد (علي عبد الخالق) عن حزم القادة وتشددهم في تعميم صفة الانضباطية واستمرارها فيقول : «كان اسحق باشا الضابط التركي شديد التمسك بتنفيذ الاوامر العسكرية وهو اقسى ضابط في الضبط والربط عرفته كما كان بعض ضباطنا من الليبيين على طريقته في التدريب وفي متابعة تنفيذ التعليمات العسكرية الحربية»[٤٠].

ولم تكن الانضباطية في التدريب والقيادة مقصورة على القادة والضباط الاتراك فقط بل ان قادة الجهاد من الليبيين ايضا كانوا يطبقون العقوبات ضد الذين يخلّون بالنظام العسكري ويخالفون الاوامر او يهملونها او يميعون التعليمات وقد عرف عن القائد احمد الشريف محافظته على الانضباط وكراهيته الشديدة للخيانة الوطنية او الركون للعدو ومن مدرسته عمر المختار وماثلهما في هذا الطبع الذي يؤكد رسوخ العقيدة الكثير من قادة الجهاد مثل محمد البوسيفي وسعدون السويحلي وعبد العاطي الجرم وغيرهم ولا شك ان للضبط اثره الواضح في صنع النتائج المشرفة للمعارك يقول المؤرخ الاسلامي (محمود شيت خطاب) متحدثا عن سر انتصار المسلمين ما يلي :

«ظهر بوضوح اثر الضبط المتين والمعنويات العالية والعقيدة الراسخة في انتصار المسلمين على قريش وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار في كل حرب»[٤١].

ان الدرس المستفاد من نظام التسليح والتدريب عند المجاهدين الليبيين يؤكد استرشادهم بما جاء به الاسلام فالحفاظ على الروح المعنوية العالية واعداد العدة لمواجهة اعداء العقيدة الواطن باقتناء الاسلحة وتطور فهمها ومحاولة صنعها واصلاح اعطالها واتقان انواع التدريب المختلفة والتمسك بالطاعة والضبط العسكري كل هذه الامور نتاج تربية اسلامية تؤكد التمسك باهداف مبدأ الجهاد وانتهاج طريقة السلف الصالح في الالتزام بها، فعن الاهتمام بالتدريب المستمر المتسم بالانضباط والحيوية والهمة العالية كان لهم في رسول الله ﷺ خير قدوة فهو القائل :

«ارموا واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او قال كفرها»[٤٢].

وهو الذي مر على نفر ينتضون فقال :

«ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا»[٤٣].

وهو الذي عرفت عنه مقدرته على الوثوب فوق جواده بسرعة وهو بدون سرج كما كان يحب اجراء المسابقات بين الخيول ويهتم كثيرا بالسلاح ويحرص على اقتنائه لانه مقاتل بالفطرة ومقاتل بامر ربه لذا فقد تعددت السيوف عنده فمنها سيفه المسمى (الغضب) الذي وهبه له (سعد بن معاذ) وسيفه (القلعي) الذي تحصل عليه من (بني قنيقاع) وسيفه (البتّار) وكان مقبض السيف من فضة حتى لا ينزلق اثناء القتال وفوق راسه كان يرتدي (البيضة) وهي التي كُسرت على راسه يوم احد، واقتنى فيما اقتناه من ادوات القتال الحربة، وقد وهبها له (الزبير بن العوام) وكذك الترس وسمّاه (الزلوق) والدرع وكانت تسمى (ذات الفضول) وهبها له (سعد بن عبادة) وتسلح بها في معركتي بدر واحد وامتلك ايضا مجموعة من (القسي) وكان الرسول الكريم يحرص دائما على التنبيه الى فضل سنع الاسلحة وثواب حاملها ويؤكد ان جزاءه الجنة ما دامت في سبيل الله فهو القائل :

«ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومبله»[٤٤].

ان الرسول ﷺ في كل ما امر به وطبقه على صعيد الواقع كان يلتزم بما جاء في القرآن الكريم فعن الاستعداد العام والدائم لصد العدو يقول تعالى :

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»[٤٥]. وعن الحديد مادة صنع السلاح يقول سبحانه :

«وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس»[٤٦].

وعن مساوىء الضعف والتهاوُن وعدم اخذ الحيطة الدائمة يقول الخالق العظيم :

«ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة»[٤٧].

وعن الروح الانضباطية والثبات في الحرب والطاعة يقول الله جل جلاله :

«يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»[٤٨].

ونستخلص من مسيرة الجهاد الليبي في مجملها الحرص التام على تطبيق ما امر به القرآن والسنة في كافة الامور كبيرها وصغيرها وعلى سبيل المثال فان مسالة تموين المجاهدين كانت تتم عن طريق اخذ خمس الغنائم لصالح صندوق مال الجهاد كما فُرضت الاعشار على الاهالي ووُكّل امر جمعها الى الذين يتصفون بالنزاهة الكاملة والعفة التامة حيث كانوا يتوجهون الى القبائل المختلفة فيجمعون الاعشار والزكاة لصالح المجاهدين وكان الاهالي يُؤدّونهما طواعية باقتناع تام بل قد تكفل بعضهم بالصرف على بعض المجاهدين من قبيلته بالاضافة الى الوفاء بالتزاماته في دفع الزكاة والاعشار كما كان الجميع يصرفون كامل الاهتمام الى اسر المجاهدين ويلتزمون التزاما تاما برعاية اسر الشهداء خاصة، وتساوى في القيام بهذه الواجبات اكثر الذين يخضعون لمراقبة الطليان مع اخوانهم الاهالي الذين يعيشون قرب المجاهدين وفي مواقع الجهاد كان الاهتمام بالقضايا الادارية المختلفة يعطي الدليل القوي على مقدرة المجاهدين التنظيمية ففي مجال الاستطلاع ركّزوا على تكليف سرايا من اهل المقدرة والشجاعة والفطانة وكانت هذه السرايا تتحرك الى الاماكن التي يعتقد بمجيء العدو منها لابلاغ المجاهدين عند الخطر ومناوشته حتى تبتعد قوافل المجاهدين ويستعد المقاتلون للمعركة ولم يكتف المجاهدون بذلك فقط بل كانوا يرسلون بعض الافراد منهم للاستطلاع المستمر على العدو، ومن اعجب ما سمعته من بعض الرواة ان عمر المختار امر بعض الافراد بالالتحاق بالعدو لغرض الاستطلاع المستمر عليه والابلاغ عن تحركاته وكذلك تسهيل مهمة تهريب السلاح والذخيرة وبلغت الجرأة بفرق الاستطلاع التي يرسلها المجاهدون للتعرف على قوة العدو وتحركاته انها كانت تقتحم المخاطر للحصول على المعلومات يقول قراتسياني :

«اعلن رجال الكشّافة وجود بعض الاهالي الوطنيين على مقربة من المعسكر وسرعان ما خرجت احدى الدوريات وقبضت بالفعل على أربعة من جواسيس القبلة اذ انهم بعد ان تقدموا قريبا من الجدار لم يستطيعوا الفرار في الوقت المناسب»[٤٩].

هذا ولقد اهتم المجاهدون كثيرا بوسائل النقل واعطوا عناية كاملة للحفاظ على الابل والخيول واشتهروا في اختيار افضل الانواع واحسن السلالات منهما، وارتبطت شهرة المجاهد منهم بشهرة جواده، وفي فترة متاخرة من الحرب كان جنود العدو الايطالي يحرصون على اصابة الخيول المشهورة عند المجاهدين بقدر ما يحرصون ايضا قتل كبار المجاهدين وهذا يؤكد معرفة العدو بتاثير ذلك على معنويات المجاهدين كما كان الطليان يركّزون على ابادة ابل المجاهدين، ومن المعروف ان الخيل والابل من عوامل النجاح في شؤون الحرب وكان لها ما للسيارات والدبابات من اهمية في الحرب المعاصرة.

اما فيما يتعلق بوسائل الاتصال بين المجاهدين فكانت بالرسائل الشفوية والمكتوبة يقول مؤلف كتاب (الفوائد الجلية) : «في عهد احمد الشريف كانت الاوامر تصدر منه وترد اليه والرسل تتردّد ما بينه وبين قيادات مناطق الدفاع اسبوعيا عن كل كبيرة وصغيرة وهو يمد الجميع بالاوامر والمساعدات الممكنة»[٥٠].

ويقول المجاهد محمد رمضان احمد من منطقة ابو زيان سنة ١٩٧٨م ما يلي : «كانت قوافل فزان تحضر لنا الرسائل والاخبار»[٥١].

ويتحدث (جورج ريمون) عن المراسلات بين جبهات المجاهدين في الفترة الاولى من الجهاد فيقول : «التقينا في الطريق بساعي بريد اسود البشرة كان يحمل على ظهره جراب بريده وقربة ماء وهو يخترق الصحراء ما بين مصراتة وسرت جيئة وذهابا...»[٥٢].

ومن ما سبق نتبين ان المراسلات توزع عن طريق القوافل او الافراد الذين بتم اختيارهم لمعرفتهم لطبيعة الارض ومسالكها ومقدرتهم على التخفّي وفي فترة جهاد عمر المختار كانوا ينتحلون صفة التجار ويعرفون باسم (البسّاطين)، وكان من اساليب الحذر والاحتياط عند المجاهدين تغييرهم باستمرار، وابتكار اساليب اتصال جديدة في كل مرة كان اكثرها براعة استخدام الادب الشعبي كالاغاني والامثال الشعبية في نقل الافكار واعطاء البلاغات ما بين جهة واخرى، ولا ننسى ان نذكر ان كثرية من المجندين مع الطليان كانوا ونا كبيرا في تسهيل الاتصال ما بين المجاهدين وفي اخبارهم عن تحركات العدو واستعداداته.

ان اعظم ما يتميز به المجاهدون الليبيون هو توظيفهم واستخدامهم لكل ما وجد في بيئتهم لخدمة قضية الجهاد والحفاظ على استمرارها اذ اتخذوا الجبال كحصون طبيعية وحرصوا على جعل معاركهم بها حتى لا تتمكن آليات القتال الثقيلة التي لا يملكون السلاح المضاد لها من الوصول اليهم كما اتخذوا الغابات الطبيعية الكثيفة والاحراش مواقع قتال لتحميهم وليحصلوا منها على الغذاء والدواء.

وكان الجبل الاخضر بحصونه الطبيعية موقع ثبات للمجاهدين حتى آخر سنوات الحرب مع الطليان.

ثالثا : اهتمام المجاهدين الليبيين بالمسائل الادارية

من المعروف ان من اهم موارد التموين للمجاهدين الاهالي وكذلك ما يحصلون عليه من غنائم وما ياتيهم عن طريق القوافل الآتية من مصر وتونس كما يحصلون على تموينهم بعملهم في الزراعة وتربية الماشية اذ كانوا يهتمون كثيرا بالنواحي الاقتصادية ولكن عندما قفلت الحدود واعتقل الاهالي جميعا في معتقلات الابادة الجماعية في مناطق العقلية والبريقة وغيرهما، واشتدت المطاردة والملاحقة للمجاهدين لم يجدوا سوى حشائش الارض واشجارها مصدر للطعام وللدواء فمن ثمار الاشجار الطبيعية اكلو الخرّوب، والبطّوم، وثمار اشجار الشّماري (العجور) واشجار الشعراء المسماة (الزمباع) وكذلك من ضمن ما يأكلونه (الفكريس) ونبات (القيز)[٥٣].

وكذلك التين الشوكي، ومن حشائش الارض (القعمول) وهو نبات شوكي مستدير و (القمحي) وهو نبات فظري مستدير ينمو على سطح الارض مباشرة في اوائل فصل الربيع بالجبل الاخضر، ومجموعة كبيرة اخرى من حشائش الارض تختلف باختلاف المناطق حيث يؤكل كل ما يستساغ منها عند الجوع، وقد دفعت الحاجة المجاهدين الى اكل لحوم بعض الحيوانات المفترسة كالضباع والذئاب وافضل ما كان يطلبونه الغزال والحباري وشبيهاتهما في المناطق الصحراوية، و(صيد الليل) وهو الدلدل والارانب وامثالهما من الحيوانات البرية في المنطقة الجبلية الشمالية[٥٤].

حدثني بعض المجاهدين فقالوا :
«مر علينا شهر رمضان في آخر سنوات الجهاد بالجبل الاخضر فصمناه وكنا نقتات من اشجار وحشائش وصيد الجبل الاخضر»(٥٥).

وكان العسل اعظم دواء استعمله المجاهدون لمداواة الجروح، وكانوا يصبونه فيها فيمنع تعفنها ويؤدي الى شفائها ويخرج ما فيها من مواد غريبة، كما كانوا يغمرون كره من السلك في الزيت ثم يدفعونها داخل الجروح لتنظيفها، واستعملوا في المداواة ايضا القطران(٥٦).

وقبل كل ذلك كانوا يسارعون بزيب الشيح البري الى الجريح ليشمه ومن ادويتهم ايضا رش مسحوق (البارود) المستخرج من الرصاص وكذلك مسحوق صمغ شجر الصنوبر فوق الجروح(٥٧).

ولقد تخصص بعضهم في تجبير الكسور ومداواة الجرحى واكتسبوا خبرة كبيرة في ذلك، وقد بلغ من خبرتهم ان بعضهم أُصيب بجروح في بطنه وعُولج فكتبت له النجاة ومن هؤلاء (محمد عبد الله القنتلي الحاسي) احد الذين حضروا المعركة الاخيرة مع عمر المختار، وكان من وسائل المجاهدين في معالجة جرح البطن العميق وضع الغلاف الخارجي لمعدة الخروف فوقه وهذا الغلاف يكون عبارة عن طبقة رقيقة من الشحم كما هو معروف، وكان من اطباء الادوار على سبيل المثال يونس بوحسوك ومحمد العفريتة العبيدي ي دور احمد الشريف والاخير اعترض على طبيب تركي اراد بتر رجل احد الجرحى من المجاهدين وتحمّل مسؤولية اعتراضه وعمل للمصاب جبيرة اذ نحت قطعة خشبية ووضع ركبة المصاب فيها وواظب على علاجه بوسائله الخاصة معتمدا على تجاربه الطويلة السابقة فتسبب بعون الله في شفائه.(٥٨)

هذا ولقد ظهرت مجموعة من الاطباء الشعبيين في مختلف مناطق الجهاد استفادت من تجارب السابقين وادت واجبها الوطني والانساني بكل اخلاص ولا يغيب عن الذهن دور البعثات الطبية التي عملت مع المجاهدين في السنوات الاولى التي قدمت من مصر وتركيا وغيرهما غير ان ما يهمني التركيز عليه هو ابراز دور الليبيين في مختلف المسائل المتعلقة بالجهاد وكيفية مواجهتهم للمشاكل التي كانت تعترضهم طوال مرحلة الجهاد.

ان الاهداف العظيمة التي جاهد الليبيون من اجلها كان في مقدمتها الانتصار للعقيدة وكان هذا الهدف وحده كفيلاً بان يجعل منهم شعبا مسلحا يُوجد الحلول لمشاكله فوريا وبالامكانيات المتاحة له حينذاك فهو الهدف الذي صنع القوة المعنوية الفاعلة التي حققت نصر المسلمين في ظروف كانت اصعب بكثير من ظروفهم وقد كان المسلمون الاوائل يهتمون كل الاهتمام بالمسائل الادارية وعلى نهجهم سار المجاهدون الليبيون اذ ان جميع افعالهم وتصريفاتهم للامور كانت تصدر عن ايمان عميق بتطبيق ما امرت به العقيدة وعلى سبيل المثال فان التزامهم بجعل الخمس في الغنيمة هو تطبيق امين لامر الله تعالى في قوله :
«واعلموا ان ما غنمتم من شيء فانّ خمسه لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير»(٥٩).

وكانوا يحرصون على ان لا يتم توزيع الغنيمة قبل اخراج الخمس منها وهم في هذا انما يطبقون امر الرسول ﷺ في قوله :
«لا نفل الا بعد الخمس» وقوله ايضا : (والخمس في ذلك كله واجب)(٦٠). واقتسموا الغنيمة وفقا لحديث الرسول القائل :
«للفرس سهمين وللرجل سهما وقيل للراجل»(٦١).

ان الالتزام بما امرت به العقيدة كان طوعيا وعمليا اذ تعدى المشاركة الوجدانية الى البذل الحقيقي فالاهالي من غير المجاهدين الذين تكفلوا بامداد اخوانهم في ميادين الجهاد بالزاد والعتاد وحفظوهم في اهلهم بخير فقاموا بحمايتهم ورعايتهم انما كانوا يطبقون اوامر الله في كون الجهاد بالارواح يقترن دائما بالجهاد بالمال بل ان المال يتقدم على الانفس في الآيات التي امرت بالجهاد كقول الله عالى :
«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون»(٦٢).

كما كان الاهالي يطبقون اوامر النبي ﷺ في قوله :
«من جهّز غازا فقد غزا، ومن خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا»[٦٣].

حرص المجاهدون الليبيون كما ذكرت سابقا على اقتناء الخيل وبرعوا في معرفة انسابها وتحديد مميزات كل نوع وكان كلٌّ يفتخر بجواده وهم في هذا انما يمثلون سيرة السلف الصالح ويطبقون ما جاء في القرآن والسنة بشان الخيول في مثل قول الله تعالى المبين لاهميتهما في الغزو والحرب :
«والعاديات ضبحا فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا فاثرن به نفعا، فوسطن به جمعا»[٦٤].

وقول الرسول الكريم ﷺ :
«الخيل معقود في نواصيها الخير والاجر والمغنم الى يوم القيامة»[٦٥]. وفي تخيرهم لانسابها كانوا يقتدون بالرسول الذي قال عن ذلك :
«خير الخيل الادهم والاقرح، الارثم ثم الاقرح المحجّل طلق اليمين فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية، وتكره الشكال من الخيل ويمن الخيل في الشقر»[٦٦].

وفي اطلاقهم للاسماء على خيولهم واعتزازهم بها شابهوا البطل الاسلامي (ضرار بن الأزور) الذي اشتهر بفارس (المحبّر) هو اسم جواده، وفي اهتمامهم الكبير بها طبقوا مسلك الرسول ﷺ اذ ورد في الحديث عن يحي بن سعيد ما يلي :
«ان الرسول ﷺ رىء وهو يمسح وجه فرسه بردائه، فسئل عن ذلك ؟ فقال : اني عُوتبت الليلة في الخيل»[٦٧].

وفي اهتمامهم الدائم بالزراعة كانوا يعون ما جاء في القول الماثور :
«لو يعلم الناس ما في زراعة الارض من رضاء الله تعالى لما بقي على وجه الارض خراب».

ولقد مر بنا ان المجاهدين برعوا في علاج الجرحى وكان اهم ادويتهم العسل وفيه يقول الله تعالى والخطاب للنحل ما يلي :
«ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون»[٦٨].

كما يقول الرسول الكريم ﷺ :
«شفاء امتي في ثلاث : شربه عسل، وشرطه محجم، وكيه بنار، وما احب ان اكتوي»[٦٩].

وقد اكد العلم الحديث صدق ما جاء في القرآن الكريم بشان العسل بعد اجراء التجارب يقول الطبيب الجراح (مخائيل بولمان) ما يلي :
«ان العلاج بالعسل قديم وان تاثيره القاتل للجراثيم عند تطبيقه على التقرحات والسطوح الملتهبة اكيد لا شك فيه وذلك بسبب فعله الماص للماء وهو مفيد للجروح العميقة»[٧٠].

كما ثبت عن طريق التجربة العلمية فائدة نبات الخروب الصحية وكان المجاهدون يحرصون على تناوله وفيه يقول العلم الحديث :
«الخروب علاج للسعال وامراض الصدر وتليين الجها،ز الهضمي، وعلاج الامساك ويفيد في علاج الامراض الصيفية مثل مرض الثاليل».

ان المجاهدين الليبيين الذين اجتهدوا في الاستفادة طبيا من اعشاب واشجار البيئة واستغنوا بتجاربهم الذاتية عن انتظار ما هو في استطاعة الغير ويصعب الحصول عليه كانوا يطبقون ما حض عليه الاسلام بشان التداوي اذ يقول الرسول ﷺ :
«لكل داء دواء فاذا اصاب دواء الداء برىء باذن الله عز وجلّ»[٧١].

رابعا : اساليب القتال والخطط الحربية عند المجاهدين الليبيين

لم تكن فكرة التخطيط للمعارك وليدة العصر الحديث كما لم يكن لغير المسلمين فضل السبق بها كما قد يفهم البعض وذلك لان المسلمين ادركوا منذ المراحل الاولى لجهادهم ضد الكفر ان التعويل على العوامل المعنوية لوحدها غير كاف فمواقف الرسول الكريم ﷺ وهو القدوة للمجاهدين تؤكد انه سلك اسلوب التخطيط للحرب ضد اعدائه منذ البداية ولم يترك الاشياء للمصادفة او يقعده التسلح بالعقيدة عن رسم خطط الانتصار على اعدائه تلك الخطط التي لم تستهدف شؤون الحرب فقط بل شملت النواحي الاقتصادية والسياسية وغيرها وذلك لان عوامل النصر سلسلة متصلة الحلقات لا يغني بعضها عن بعض، ورغم التطور الهائل في اساليب التخطيط الحربي وتشعب اتجاهاته بمرور الزمن فان نظرة متفحصة في تاريخ معارك الانتصار الاسلامي المتلاحقة تعطي الدليل على ان التخطيط لها شمل كافة الجوانب واحتسب كافة الاحتمالات مسبقا مما يؤكد استرشاد الرجال الافذاذ الذين قادوا تلك المعارك بسيرة الاسلاف العظماء واستيعابهم لكل المستجدات في مجالات التخطيط الحربي والعمل بها.

ان الله سبحانه وتعالى قد وعد المسلمين بالنصر ولكن هذا الوعد يرتبط بالاخلاص في الجهاد والصدق فيه اتخاذ جميع الاسباب المؤدية الى الظفر به.

واننا عندما ندرس تاريخ جهاد الليبيين دراسة متفحصة لاحداثه اليومية نجد اصدق الشواهد وانصع الدلائل على انتهاجهم لكل أساليب التخطيط الحربي المتيسرة لهم حينذاك اذ انهم كانوا يدرسون طبيعة الارض دراسة كافية ويعملون على تأمين الموارد المالية والتسليح والتموين .

ومسالك الانسحاب ومواقع الصمود وساليب التخفي والتمويه والخداع للعدو وكيفية متابعة المعركة بعد الانتصار كما وصل بهم حسن التخطيط الى معرفة نفسية العدو واستقصاء اخباره، ومعرفة اسراره وتوجهاته. ولقد دللت الاحداث على امتلاك الغالبية العظمى من المجاهدين الليبيين لميزة التخطيط ضد الاعداء والمقدرة على خداعهم والتصرف السريع ضدهم وابتداع الوسيلة لكل ظرف طارىء، واخذ الاحتياط لكل خطر متوقع وتساوى في هذا الامر اهل التجربة والخبرة والدهاء من البادية الذين قادوا الجهاد مع قادة الجهاد الآخرين الذين تحصّلوا على قسط وافر من التعليم والخبرة، وكان لكل منهم طريقته التي اذهلت العدو وتركته في حيرة من امره فالمجاهد (صالح الطيوش) وهو قائد بدوي ومجرب كان يعرف المسالك التي سيطرقها العدو ويضع الخطط المستقبلية للحرب على هذا الاساس. وكان يعمل على انسحاب الاهالي ينجوعهم باسرع ما يمكن عند الخطر فيحقق تامين مصادر التموين، واستماتة المقاتلين في الدفاع عن اهلهم كما كان يامر قوابه بالانتشار احيانا ليرهق العدو ويستنفذ قوته ولقد وصفه (قراتسياني) ــ العدو اللدود للمجاهدين ــ بانه الرجل الحكيم في قراراته وخططه.[٧٢]

ويعترف (قراتسياني) ايضا ــ وهو الذي اسهم بدور كبير في الاحتلال الايطالي لغرب ليبيا ــ بان سيف النصر (احد قادة المجاهدين) كان يمتلك مقدرة فائقة على الخداع والمراوغة والتخفي ويطبق خطط انسحاب غاية في التحوط والذكاء يقول (قراتسياني) :

«كان من اللازم التحرك من (بونجيم) و (القريات) نحو (الشويرف) للبحث عن محلة (سيف النصر) التي كان الجميع يجهلون كل الجهل تنقلاتها. وكل الطائرات قامت بعمليات استطلاعية دقيقة في جميع الوديان التي تخترق المناطق الشاسعة ولكن النتيجة كانت سلبية لقد خرج من الطوق»[٧٣].

ان معطيات الجهاد الليبي تؤكد ان الغالبية العظمى من القادة كانت تتميز بالدهاء وحبك الخطط الحربية واجادة خداع العدو وابرزهم عمر المختار الذي ظل الى فترة متاخرة من الجهاد مصدر حيرة للايطاليين حيث افقدهم صوابهم باساليبه المتجددة في فن المباغتة واساليب المراوغة والضرب والاختفاء السريعين.

ومثيله سعدون السويحلي الذي جعله حسن تدبيره الحربي وشجاعته معقد آمال الثورة الوطنية حينذاك فتوحدت تحت امرته **ولو امتد به الاجل لكان اعظم سند لعمر المختار ولتحققت للمجاهدين الوحدة الشاملة للتشابه الكبير بينهما في النظر للامور الحربية**

واتحاد افكارهما حول اسلوب مجابهة العدو ولا تقل ادوار نظرائهما من القادة عن هذا المستوى وخاصة اولئك الذين ثبتوا على مبدا الاستمرار في محاربة المحتلين الطليان.

ولم تكن هذه الصفات متوفرة في القادة الكبار فقط بل ان بعض الضباط الصغار برعوا في الخطط الحربية ومنهم على سبيل المثال المجاهد (رابح ابوعزيزة) الذي هاجمته السيارات المصفحة الايطالية في منطقة صحراوية جرداء وكان من الممكن ان تُباد مجموعته بكاملها لولا انه تصرف بحكمة وبراعة اذ امر رفاقه بتنكيس اسلحتهم والتوجه راسا الى الايطاليين الذين انطلت عليهم الحيلة وعندما اصبحوا في منجاة من رشاشات المصفحات المثبتة على ابراجها العالية هتف مكبرا وشن بمجموعته هجوما ساحقا وتمكنوا بسلاحهم البسيط من الحاق افدح الخسائر بمصفحات العدو وافراده لقرب المسافة وعرفت هذه المعركة بمعركة (الكراهب) ووقعت في منطقة اجدابيا سنة ١٩٢٣م.

وكان معه في المعركة عدد من كبار المجاهدين لا يتسع المجال لذكرهم.[٧٤]

يقول (فيليكس تيلهابر) الطبيب الالماني الذي زار بعض مواقع الجهاد بطرابلس سنة ١٩١٢م :

«ان الايطاليين الذين يتكلمون بهذا الصوت الصاخب بواسطة مدافعهم يحققون نجاحات في القتال البعيد. انهم يفشلون في القتال المتلاحم الذي لا يخطى فيه العربي ذو الاعصاب الهادئة هدفه عندما تكون المسافة بضع مئات من الامتار».[٧٥]

وفي الانسحاب عند الضرورة الذي كان يحسن تطبيقه قادة الجهاد له ما يماثله في تاريخ الاسلام يقول المؤرخ العسكري الاسلامي المعروف (محمود شيت خطاب) ما يلي :

«يعتبر نجاح خالد بن الوليد في انسحابه من مؤته تجاه قوات متفوقة على قوته تفوقا ساحقا، يعتبر هذا الانسحاب معجزة عسكرية».[٧٦]

لقد عرفنا ان قادة الجهاد الليبي يجيدون الهجوم كما يجيدون الانسحاب، وهذا مثال آخر يؤكد اساليبهم في ضرب العدو من حيث لا يتوقع وعملهم على ارباكه وتحطيم معنوياته يتحدث الباحث مختار بن يونس عن معركة قارة عافية بهون سنة ١٩٢٨م فيقول :

«اعد المجاهدون بقيادة (قذوار بن علي) خطة بسيطة باختيار اصعب الجهات بالقارة التي يكون العدو مطمئنا الى عدم دخول المجاهدين منها وهجموا منها ولما دخلوا صاروا يهللون ويكبرون فارتبك العدو».[٧٧]

وتتعدد امثلة هذه الواقعة في ملحمة الجهاد الليبي اذ استطاعت مجموعة صغيرة من المجاهدين ان تحفر نفقا في جدار قلعة الحراسة الحربية الواقعة جنوب منطقة سوسة بالجبل الاخضر وكان يتحصن بها بعض الطليان اخذتهم المفاجأة المذهلة فسقطوا بين قتيل وجريح.[٧٨]

وعن اسلوب تضليل العدو ثم مباغتته بالهجوم يتحدث (قراتسياني) ايضا فيقول :

«لم تكن لدينا اية معلومات وثيقة عن محلة (محمد بن الحاج حسن) التي اتضح انها وحلت فعلا الى الشاطىء نحو الشمال الغربي، ولكن سرعان ماظهرت فجاة في منطقة احتلالنا وقامت بالهجوم فجاة على مراكزنا الامامية».[٧٩]

ان اسلوب المباغتة وتكرار الهجوم في زمن قصير وضرب الاجنحة ومحاولة تطويقها كان ابرز اساليب المجاهدين الليبيين منذ السنوات الاولى للحرب يقول (باولو مالتيزي) :

«قامت مجموعات كبيرة من القوات التركية العربية المشتركة بالهجوم على القوات الزاحفة من اقصى اطراف الواحة سيرا على خطتهم المألوفة في تعمد شن هجوم خاطف على جناحي قوات العدو ثم ابداء اقصى محاولة لتطويقها مع انسحاب خط الوسط الذي ظل ثابتا فيما سبق».[٨٠]

يقول المؤرخ العسكري الاسلامي (محمود شيت خطاب) :

«تكون المباغتة بالوقت والمكان والاسلوب فالمباغتة بالمكان ان تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو، وبالزمان ان تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو، وبالاسلوب ان تقوم بالقتال باسلوب جديد او بسلاح جديد فالمباغتة تقضي على الخصم ماديا ومعنويا وقد طبق الرسول كل اساليب المباغتة».[٨١]

وكلما بحثت في وقائع الجهاد الليبي نجد المجاهدين بذكاء البادية ودهائها قد طبقوا جميع هذه الاساليب باقتدار كبير ومن المعارك الخاطفة التي خطط لها تخطيطا جيدا واثرت تاثيرا قويا على معنويات العدو ونفسيات جنوده داخل ليبيا وفي ايطاليا نفسها ــ تذكر معركة (الكراهب) على الطريق الموصلة ما بين منطقتي سوسة وشحات بالجبل الاخضر سنة ١٩٢٦م اذ اعترض المجاهدون قافلة من سيارات العدو تحمل مجموعة من صغار الضباط الجدد سقطوا ما بين قتيل واسير وكانت الدعاية الايطالية حينذاك تشن حملة واسعة للتقليل من اهمية حركة الجهاد في الجبل الاخضر فلما قتل هؤلاء الضباط بمجرد وصولهم الى ليبيا انعكس ذلك على معنويات العدو واثار الرأي العام الايطالي ضد تضليل حكومته له [٨٢]. وكان أسلوب المجاهدين في هذه المعركة التخدق في منحنى الطريق الصعب واطلاق الرصاص على اول سيارة واخر سيارة.

ومن المعارك التي اعتمد فيها اسلوب المباغتة ايضا وبرزت فيها البطولة الفردية هجوم المجاهدين على منطقة مراوة حيث غنموا من ابل الطليان وتموينهم وسلاحهم، وقد اظهر المجاهد (ابراهيم الحول البرعصي) بطولة فردية نادرة المثال فرغم اصابته بكسر خطير ظل يوجه نيران سلاحه الى الطليان حتى اسر بعد نفاذ ذخيرته وعذب بقسوة فلم يبح باية معلومات عن المجاهدين مما اغضب الضابط الايطالي الذي يحقق معه وزاد من حنقه عليه فصب رصاص مسدسه في راسه.

لقد كانت هذه المعارك الخاطفة المؤثرة والتي اسفرت عن غنائم مفيدة من السلاح والذخيرة والتموين المتمثل في الغالب في الابل وحمولتها كانت هذه المعارك توكل مهمة القيام بها الى مجموعات يتم اختيار افرادها من المجاهدين المعروفين بالجسارة والشجاعة والفهم التام لطبيعة الارض وتحوطات الحرب وتسمى في دور عمر المختار بالجبل الاخضر مثل هذه المعارك والاعتراضات للعدو (غزوة). وتحرص المجموعات التي تكلف بمثل هذه المهام الخطيرة والسريعة على الحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر بافراد العدو والحصول على اكبر كمية من السلاح والذخيرة والتموين والدواب واذا ما رجعنا الى التاريخ الاسلامي فسوف نجد ان مثل هذا الاسلوب كان مطبقا في الجيوش الاسلامية.

قال ابن الحكم : «في عهد عمر بن الخطاب كان يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون من الغنائم ثم يرجعون».[٨٣]

وعن استغلال المجاهدين الليبيين لطبيعة الارض واستفادتهم من الساتر الطبيعي اينما وجد وخروجهم في مجموعات متلاحقة واتباعهم لاسلوب التطويق يتحدث (قراتسياني) عن معركة (تاقرفت) سنة ١٩٢٨م فيقول :

«كان رجال العدو يخرجون في اسراب كانت تظهر وتختفي بين الكثبان الرملية والخمائل والاحراج، وتحاول تطويق جناحي الكتيبة الارترية الخامسة والعشرين والعناصر الاخرى المتقدمة التي كانت قد انضمت اليها».

ويؤكد ان اسلوب المجاهدين هو شن الهجومات المتتابعة فيقول : «العدو يزداد عددا ويهاجم بكل عنف».[٨٤]

وفي جميع المعارك: ركز المجاهدون على اصابة القادة الطليان الكبار ثم بقية الرتب الاخرى وكانوا اثناء المعارك يطبقون كل خطة ممكنة لتحقيق هذا الهدف، وذلك لأن الخبرو علمتهم ان الطليان ــ واكثرهم في اغلب المعارك من المرتزقة والمجندين ــ ينسحبون متى اصيب قادتهم وعندها يركب المجاهدون اقفيتهم ويصلونهم نارا حامية وعن ذلك يتحدث المجاهد سعد بالحمد من منطقة شحات فيقول :

«علمني والدي الذي خاض المعارك مع احمد الشريف ان توجيه الرصاص الى الرتب له اثره في صد العدو او تاخيره تقدمه وعندما حدثت معي معركة في منطقة بلفس بالجبل الاخضر وكنت وحيدا صرت اوجه الرصاص الى الاحباش الذين يحملون الرتب كما اطلقت النار عليهم من عدة اتجاهات في الاجنحة وفي المواجهة وكنت محتميا بالصخور واطلقت الرصاص على الضابط الايطالي وكان يركب الحصان ويختلف تماما عن الاحباش شاهدت كل شيء عن قرب كان رصاصهم يطيش بسبب الاندفاع اما رصاص بندقيتي فكان يصيب مقتلا منهم كنت اكثر ثقة بنفسي رايتهم بعد اصابة بعض الرتب منهم يتقهقرون ونجحت في صدهم ونجوت باغنام الدور التي ابعدتها قبل ذلك عن مكان المعركة ويومها عرفت ان دروس كبار المجاهدين مفيدة لقد طبقت تعليمات والدي في الحرب بدقة».[٨٥]

وعن اتباع المجاهدين لنفس الطريقة في معركة تاقرفت سنة ١٩٢٨م يقول (قراتسياني) : «لم يسلم البرج الكبير الاول الذي تقع عليه القيادة على انحداره من طلقات نارية عنيفة من رماة قريبين منه ولكن لا يستطيع احد رؤيتهم» ويذكر ان المجاهدين

اصابوا اربعة ضباط على التوالي فيقول :

«جرح الرئيسان بوركلير وبيلليزاري، ووقع فابري اما الملازم الذي مل محله فقد نفذت رصاصة ي قبعته بين الشارة والشريط».

ان الاهتمام بالمسائل التعبوية والتخطيط الحربي قبل المعركة وفي اثنائها امور معروفة في الحرب الأسلامية الاولى ومن ذلك هجوم مجموعة وابقاء الاخرى على اهبة الاستعداد ويصف (قراتسياني) وضع المجاهدين في معركة تاقرفت فيقول :

«على مسافة ابعد من هذه المسافة قامت اسراب من العدو بالاستعداد باتخاذ التدابير التي يقتضيها الموقف».(٨٦)

لقد اتبع قادة الجهاد الليبي في معاركهم ضد العدو الايطالي الى خطة توزيع المهام الهجومية والدفاعية على القبائل وكمثال لذلك ذكر المجاهد (البكوش عبد النبي الناكوع) من منطقة القريات الغربية في روايته سنة ١٩٧٨م عن معركة علاق التي وقعت حوالي ١٩٢٩م ما يلي :

«حين اقتربنا امرنا عمي سالم بالتوقف كما امرنا بان يكون ــ الزنتان ــ في جهة ــ والمشاشية ــ في جهة اخرى، ولما سأله زميله القائد محمد بن حسن عن سبب ذلك التقسيم اقنعه بوجهة نظره وذلك لأن كل طرف يدعى الشجاعة فحين يكون كل طرف في جهة يدفعهم ذلك الى التضحية والاستبسال».(٨٧)

وفي دور الظهر الحمر بمنطقة درنة كان القائد التركي (انور باشا) يحرص على توجيه كل قبيلة للهجوم على جهة معينة لانه كان يعرف ان القبائل تتنافس في كسب المفاخر والانتصارات، وفي ادوار الجبل الاخضر اتبع عمر المختار نفس الاسلوب فكوّن دور العبيد والعرفة والعواقير، ودور البراعصة والدرسة ودور الحاسة والعبيدات بمواقع قبائلهم وكان يتوحدون في جهة واحدة كلما دعت ظروف الحرب الى ذلك ان لنا في تاريخ المسلمين ما يؤكد اتباعهم لنفس الاسلوب. فعلى صعيد الدولة الاسلامية العام كان الخليفة عمر بن الخطاب يحدّد لكل جند مغازيه وعلى صعيد قطاعات الجيوش الاسلامية فان خالد بن الوليد عندما غزا العراق سنة ١٢هـ وجد في الحيرة اربعة حصون ينظر بعضها الى بعض فكان الحص الابيض يافع عنه بنو طيء. وقد وكّل امره الى «ضرار بن الازور» كما وكّل حصن «العدسين» الى «ضرار بن الخطاب الفهري» وحصن «بني مازن» الى «ضرار بن مقرن المزني» ثم كان حصن «ابن بقيلة» فوكّل امره الى «المثنى بن حارثة» (٨٨) .

وقد كان خالد بن الوليد ــ الذي قصدت من الاستشهاد بتاريخه كونه من ابرز مخططي قادة الاسلام ــ كان يقسم قواته الى اقسام بالنسبة الى قبائلها وبطونها ويجعل لكل قسم قائدا، حتى يشتد التنافس بين القوات وكان يتبع اسلوب مشاغلة العدو في جهة ثم الهجوم الساحق عليه من جهة اخرى بمقاتلين آخرين كانوا في فترة راحة.(٨٩)

ان نفس الخطط اتبعها المجاهدون الليبيون رغم تباعد الزمن، ولكن يجب التاكيد على ان الاقليمية لم تكن مقصودة في هذا الاجراء الذي سلكه قادة الجهاد الليبي واعني به تحديد مكان لكل قبيلة لتدافع عنه فذلك مسلك القادة ليخلقوا التنافس بين القبائل المقاتلة في بعض الاحيان ولقد حقق الليبيون اقصى درجات التلاحم والانسجام بينهم ضد العدو في العديد من المعارك وفضّل الكثيرون منهم الالتحاق بالمجاهدين الذين واصلوا الكفاح ضد الطليان الى النهاية ومنهم رفاق سعدون السويحلي الذين توجهوا بعد سنة ١٩٢٣م للجهاد مع عمر المختار بالجبل الاخضر وقبلهم حارب الكثير من ابناء شرق ليبيا بمحلات المجاهدين الواقعة في غرب ليبيا وهذا يؤكد ان القبلية والاقليمية لم تكن موجودة في اذهان المقاتلين العاديين.

وان الخلاف الذي اجهض حركة الجهاد في بعض الفترات هو خلاف بعض القيادات وكانت ابرز نقاط الاساءة الى الجهاد الليبي العظيم مهادنة العدو والاتصال به من قبل بعض الزعماء والقادة.

ان المجاهدين الصادقين قد دفعوا ضريبة الدم من اجل العقيدة والوطن في كامل التراب الليبي ومنهم من فضّل الجهاد في منطقة غير منطقته ومع قبائل غير قبيلته ومنهم من ترك الزعامة والقيادة في منطقة ما وتوجه ليكون مجاهدا عاديا في موقع اخر وامثال هؤلاء لهم في الفدائي الاسلامي (خالد بن سعيد بن العاص) خير قدوة فقد عقد له (ابوبكر الصديق) لواء الجيش الاسلامي المتجه الى الشام ثم غير قراره فتقبل خالد ذلك بنفس طيبة ورضي ان يكون جنديا عاديا تحت امرة (شرحبيل بن حسنة) واثره على ابن عمه (عمرو بن العاص) وقال قولته المشهورة :

ان العرض السابق (الاستراتيجية) للمجاهدين في الحرب والذي اقترن بشواهد ثابتة تعمدت نقلها من مصادر العدو الايطالي ومن اقوال اشد القادة الطليان عداوة للمجاهدين ان هذا العرض اكد لنا اجادة الليبيين التامة للهجوم بانواعه وبراعتهم في الانسحاب عند الضرورة ومقدرتهم على توجيه الضربات الموجعة السريعة للعدو وخططهم المختلفة اثناء التحام المعارك والتي منها الضرب في عدة امكنة او الالتفاف حول الاجنحة وتركيز النيران على قادة العدو والهجوم من جهات مامونة بالنسبة له واتقان فنون الخداع والتمويه والاستفادة من الارض وتحصيناتها الطبيعية المختلفة وتامين مطالب الحرب الحيوية مقدما.

ومن اساليبهم في اخراج العدو الى العراء مهاجمة مواقعه المحصنة ثم جره الى الصحراء والاجهاز على اجنحته ومن الاساليب العجيبة في اخراج العدو الى العراء ايضا دحرجة الاحجار الضخمةعلى الجنود الطليان وكذلك اشعال النيران في اماكن بعيدة عن مواقعهم لتتوجه اليها قذائف البحرية الايطالية، وتضيع هدار وبالنسبة للامرين الاخرين ثبت حصولهما في دور الظهر الحر بدرنة سنة ١٩١٢م.

كما كان من شدة حذر المجاهدين في التحرك ربط الخرق على حوافر الخيل وقام المجاهد (بكار بوامفيصعة) من دور الحاسة والعبيدات بخرت الحمير باجراء فصد في الرقبة يمنع الحمار من اصدار اي صوت ويستغل في نقل وتهريب المؤن والذخائر وفي دور سعدون السويحلي قام المجاهدون بصنع كمامة للبغال.

هذا وقد عرفت عند المجاهدين الليبيين في مختلف مناطقهم الشفرة السرية وكانت كلمة السر عندهم اصدار اصوات حيوانات معينة او النطق باسماء اشخاص او ذكر الفاظ معينة مثل لفظتي «في سبيل الله» و «لا حول ولا قوة الا بالله» وغيرهما.[٩١]

كما استعملوا الاغاني الشعبية كشفرة سرية بشكل دائم وخاصة بدور الجبل الاخضر واعتقد بشكل جازم ان السبب الرئيسي في بعث الحماس الدائم بين المجاهدين في كافة ساحات الحرب الليبية سببه مصاحبة النساء للمجاهدين وتشجيعهم بالاهازيج والاغاني والزغاريد وكذلك لوجود الشعراء الشعبيين معهم وقد كانوا قادرين على تصوير البطولات ونشرها كما كانوا يسبون مواقف التخلف او التهاون عن الجهاد ولعبت الاهازيج بالذات دورا كبيرا في بعث الحماس وهذا على سبيل المثال فقط شاعر من دور العبيدات يقول : «نضرب عريان دون البطنان».

وآخر من دور البراعصة يقول عندما راى بهيب البعض للمعركة :

«خشي يا ناب * الحاشى هاب»**

وثالث يمتدح دور الحاسة فيقول :

«فيها حاسة * في فهاسه»**

ورابع يضرب الاحباش وهو يرتجز في دور الدرسة قائلا :

«يا مصوع رد * والفت الهد»**

وشاعر المجاهدين في قوات سعدون السويحلي يشجعهم فيقول :

شدوا احزاماتكم زين *** وكونوا اكبار العزائم

والموت عندها ميجال *** والله ما شخص دايـــم

ويقول قائد المجاهدين سوف : « ناسوف محمودى وجدى غومه * ونفزع اذا ثاب الذخير انرومه»**

ان المجاهدين في مسلكهم خير قدوة بالرسول الكريم الذي كان يشجع اصحابه في غزوة حنين قائلا :

«انا النبي لا كذب .... انا ابن عبد المطلب .»

وكان يقول عند احتدام المعارك :

«هل انت الا اصبح دميت في سبيل الله ما لقيت».

كما كان هدف هذه الدراسة الاساسي هو تاكيد اثر الدين في الجهاد الليبي على وجه الخصوص مستعينا بدلائل وشواهد من احداثه التي وقعت على كامل التراب الليبي، ولم يكن التاكيد على هذه المعطية البارزة في تاريخ جهادنا واظهارها في حاجة

الى كثير عناء وذلك لان العامل الديني في نضالنا ضد الطليان تقدم جملة العوامل المؤثرة في حركة الجهاد، ومن المعلوم ان العامل القومي هو العامل المؤثر الفاعل في الحركات التاريخية غير انه في فترة نضالنا ضد الطليان لم يتجاوز حدود الارض الليبية، ومن الملاحظ ان الرابطة الاجتماعية لم تتجاوز في تاثيرها محيط القبيلة الواحدة او المنطقة الواحدة، وقد كانت التركيبة القبلية من اسباب الصمود ضد الاستعمار، وخاصة باستثناء بعض القبائل التي استغل الاستعمار نزاعاتها وتمكن بسلاح الفتنة من اشعال نار الحرب بينها، ولم يكن الجهاد لاهداف سياسية لان الوعي السياسي لم يكن قد نضج عند الغالبية العظمى من المجاهدين العاديين وهم المجموع المؤثر في المعارك، كما لم يكن هدف الجهاد لاسباب اقتصادية او مغانم دنيوية لان السواد الاعظم من الشعب كان يعيش حياة بسيطة اساسها القناعة بالضروريات الحياتية الاساسية وهي متوفرة عند الجميع. ولو كان هدف المجاهدين الليبيين من جهادهم هو الحصول على مكاسب اقتصادية لاغتنموا فرص الاثراء الكثيرة في كنف المستعمرين ولانتهت حركة الجهاد في زمن قصير، وقد فطن المستعمرون فيما بعد الى هذه الميزة في الشعب الليبي فمارسوا ضده اشد انواع التجويع رغبة في اجهاض حركة الجهاد.

فان قيل ان بعض قادة الجهاد كانوا على درجة عالية من الفهم السياسي فتلك حقيقة واقعة، وعلينا أن نعترف بأن الذين دخلوا متاهات السياسة وقعوا في كثير من المحاذير التي تتنافى مع مبدأ الجهاد في الاسلام رغم المقدرة التي اظهرها أغلبهم في ضرب الاجنحة والمناورة، ورغم ان أكثرهم كان صادق النية في استخدام سلاح المفاوضات والمناورة لصالح حركة الجهاد، وتلك فئة من قادة الجهاد لها وعليها.

أما الذين حولوا حركة الجهاد الى منعطف السياسة كلية ولم يواصلوا الجهاد جنبا الى جنب معها فقد اخطأوا في فهم الامكانيات النضالية عند الشعب الليبي وقدرته على الصمود بثبات — رغم الشدائد والاهوال — لتحقيق مستهدفات مبدأ الجهاد الاسلامي التي لم تكن عند المجاهدين الصادقين تتعدى امرين النصر أو الشهادة فأن قيل ان الغالبية العظمى من المجاهدين لم تكن على درجة عالية من المعرفة لتستوعب الفلسفة الكافية في مبدأ الجهاد لتعمل بها فتلك أيضا حقيقة غير أن الامر لم يكن يرقى الى مستوى التبحر في الافكار عند هؤلاء بقدر ما كان المجاهد العادي يحرص على الجهاد بثقة في النفس اشد من الجبال رسوخا بأن الشهاد في سبيل الله والوطن هي اعظم الامال التي يطلبها المسلم الصادق في ايمانه وعقيدته.

ان بساطة وصدق وعفوية المجاهد العادي في فهم الجهاد على الاساس المتقدم هي سر صمود.

انه جهاد ضد اعداء الاسلام الغزاة الذين قدموا ايضا لسلب الأرض والعرض وهما اعز ما يعتز المجاهد الليبي به.

لذا فالجهاد ضدهم هو دليل الايمان الصادق، وكل مفهوم مخالف لذلك في نظره هو ركون للكفار ومجلبة للعار.

حتى سنة ١٩١٤ كانت حركة الجهاد على الساحة الليبية كلها شديدة الوفاء قرية الالتزام بمبدأ الجهاد في الاسلام، أما فيما بعد ذلك فان سلاح السياسة قد دخل ليعمل على احباط الثورة الجماعية الغيورة على العقيدة والوطن بالتدريج وقد وجد الاستعمار منفذا بين الجموع ليستخدم اخطر اسلحته فتكا وهو سلاح الفتن لتشتيت الصف وتضييع الهدف، وكان اسوأ الامور على الاطلاق هو انحياز قلة من المواطنين الى العدو لمعاونته في تحقيق اهدافه الاستعمارية التي استطاع الوصول اليها فيما بعد، وحتى في هذه المرحلة الحرجة ظل الاوفياء في الدفاع عن العقيدة في خنادق الصمود، ويرجع ذلك إلى قوة ايمانهم وصدق جهادهم، ويجب التذكير بأن الشعب الليبي كله كما تؤكد الوقائع والاحداث المتواصلة عبر كل السنوات وتحت كل الظروف لم يركن للاعداء ولم ينخدع بأساليبهم المختلفة، وكان جل اعتماده على نفسه في كامل مراحل الجهاد حيث وظّف امكانياته المحدودة واستغل ظروف بيئته الطبيعية في الحرب ومواجهة الاعداء وكانت له مقدرة فائقة، واساليب متعددة ابتكرها لمواجهة خططهم وطوّرها باستمرار وغيّر في كيفية تطبيقها مرات لكي يصمد في وجه جيوش العدو الجرارة وآلاته الحربية الرهيبة.

فان قيل ان الليبين تلقوا معاونة من اخوانهم في الاسلام والعروبة فذلك حق تؤكده الشواهد المتعددة لكن الدافع الى هذه المعاونة كان اسلاميا اكثر من كونه قوميا اذ ان الذين تنادوا لنصرة الليبيين كان منطلقهم الغيرة على الولاية الاخيرة للخلافة الاسلامية في شمال افريقيا كما ان هذه المعاونة تناقصت بعد السنوات الأولى من الجهاد، ولا يعني هذا مطلقا اغفال اثر العامل القومي،

ولكن يجب العلم بأن القومية العربية حينذاك لم تكن قد ظهرت بالمفهوم الشمولي المعاصر وان تأثير العامل القومي كان قليلا قياسا بما احدثه العامل الديني، وهذا ينطبق تماما على الفترة الأولى من الجهاد اما في المرحلة اللاحقة فان الذين واصلوا الجهاد مع الليبيين منذ البداية أو الذين قدموا للاسهام فيه في النسوات الاخيرة منه ـــ وهم قلة ـــ كانوا ينطلقون من منطلق قومي وديني، وعموما فان الدين هو وعاء القومية كما أكدت وتؤكد احداث التاريخ العربي الاسلامي.

ان القوة بأن تأثير العامل الديني هو الظاهر في الجهاد الليبي لا ينطلق من فراغ لانه يستند الى شواهد عديدة، ويعتمد على وقائع ثابتة، واكبر دليل على ذلك ان الذين اظهروا مقدرة في الجهاد، وصبروا طويلا في ميادينه هم من رجال الدين الثابتين على مبدأ الجهاد الاسلامي المفضلين لطريق النضال الكارهين لاساليب الاتصال بالعدو اذ كانت على حساب حرية الوطن.

فأن قيل ان التعويل على الدين دون الاعداد لمواجهة العدو هو من باب التوكل دون العمل قلت نعم ولكن الامر لم يكن كذلك بالنسبة للجهاد الليبي في كامل مراحله وتفاصيله، ولا يمكن ابدا ان ننظر الى التعليم الديني الذي تلقاه اغلب رجال الجهاد في المدارس الدينية والزوايا في فترة ما قبل الغزو على انه تعليم موغل في الصوفية لان الدراسة لتلك الفترة تؤكد ان ذلك كان تعليما دينيا ودنيويا، ولم يكن تعليما كُتُبيا محضًا لأنه قدّس العمل وحثّ عليه وركّز على الاعداد المعنوي والمادي للمجاهدين ويكفي ان نلقي نظرة على مواقع التعليم في تلك المرحلة التاريخية لندرك ان الاعتبارات الامنية والتحوطات الحربية قد أُخذت في الحسبان حتى في عملية بنائها وانشائها، ولكونها كذلك فان الاستعمار الايطالي كان حريصا عند احتلاله لمناطق ليبيا المختلفة ان يستولى أول ما يستولي على الزوايا والمساجد باعتبارها رمز المقاومة ومواقع التوجيه المعنوي الفعّال، والطرق الصوفية عامة وان اختلفت في اساليبها واجتهاداتها وتوجهاتها اتفقت كلها على كراهية الكفار وضرورة محاربتهم وكل الحركات الثورية العربية ضد الاستعمار في ذلك الوقت قادها العلماء من رجال الدين، وعلينا قبل ذلك أن نتذكر أيضا بأن قادة المجاهدين الليبيين انفتحوا على ثقافات ذلك العصر، وتلقوا تعليما عسكريا متقدما على يد الاتراك كما أن حروبهم في عدة جبهات بجنوب ليبيا وشرقها وغربها اكسبتهم خبرة ومرانا في فنون الحرب واساليب القتال.

تلك اهم وابرز النقاط التي تناولها البحث من الناحية الدينية اما من الناحية التاريخية فأن من بين النتائج المستخلصة من البحث النقاط التالية :

١ ـــ ان النداء الأول للجهاد انطلق من الليبيين، وكان تواجدهم السريع يفضل قيادات ليبية واعية مثل المناضل أحمد الشريف والشيخ سليمان الباروني والمجاهد فرحات الزاوي وغيرهم وقد عاونهم في مهمتهم الكثير من مشائخ الزاويا والقبائل والمحلات، واستجاب الاتراك الذين كانوا على ارض ليبيا لهذا النداء وشجعهم الحماس الجماعي والتواجد السريع للمجاهدين الليبيين فقاموا بجهود مركّزة ومثمرة في التنظيم والتدريب وخاضوا المعارك الأولى مع الليبيين بعد أن كانوا قد انسحبوا عقب ضرب مواقعهم، وقد تجلت الحمية الاسلامية في قدوم الضباط الاتراك للجهاد في ليبيا رغم توقيع دولتهم لمعاهدة التنازل عنها، كما برز أثر العامل الديني في التحاق الكثير من المسلمين بساحات الجهاد الليبي وقد قدموا من اقطار عربية واسلامية اخرى في السنوات الأولى من الجهاد.

٢ ـــ ان الليبيين في بداية الحرب جاءوا على شكل مجموعات مقاتلة تصحبهم بعض النسوة فلما حققوا الانتصارات الأولى زاد عددهم بشكل كبير حتى ان بعض المعسكرات استقدم المنتجعات بكاملها، ولما تحولت الحرب الى حرب دفاعية هجومية استلزم الامر ان يسود النظام مواقع القتال وان يلتفت الى التنظيم الحربي الدقيق والاساليب القتالية الجيدة وان تعطي الاهمية للنواحي الاقتصادية وشيئا فشيئا تنظمت مواقع القتال وصارت قاصرة على المجاهدين بينما هناك من يهتم برعاية الأسر وبالزراعة وتوفير التموين للمجاهدين. **ففكرة الشعب المسلح الذي يتناوب القتال والعمل لها جذورها التاريخية في الجهاد الليبي.**

٣ ـــ ان الحرب العالمية الأولى كانت فرصة لليبيين لتحقيق الكثير من الانتصارات على العدو الايطالي الذي سحب قواته الى السواحل تحت ضغط المجاهدين عليه وركزها في المناطق الساحلية والاستراتيجية مثل طرابلس وطبرق والخمس وبنغازي وسوسة والمرج وشحات.

٤ ــ ان الايطاليين ــ وقد عرفوا اهمية الاتحاد بين المجاهدين في معركة القرضابية الشهيرة ــ اتبعوا اشد أساليبهم خطورة على حركة الجهاد الليبي وهو اسلوب زرع الفتن واذكائها. وللحق اقول انهم تفوقوا في هذه الاسلوب اكثر من تفوقهم الحربي. ومن الخطأ القول بأن الليبيين لم يكونوا قادرين على تحقيق النصر ضد العدو، فيما لو اتحدوا جميعا.

لقد كان بامكانهم على الاقل الاحتفاظ بجزء كبير من ارض الوطن فاذا كان بعض القادة قد شكّلوا خطرا على الاستعمار رغم كونهم يحاربون اخوانهم، ويجاهدون ضد العدو ايضا، واذا كان الرافضون لسياسة المعاهدات والركون للعدو قد شكّلوا على المستعمرين الخطر الاكبر، واستعصى اخضاعهم عليه لمدة طويلة فكيف يكون الحال لو تحققت وحدة القيادة والبندقية.

٥ ــ ان الفترة فيما بين ١٩١٦ م ــ ١٩٢١ م قد تميزت بظهور بذور الفتن التي زرعها الاستعمار بين بعض القادة الليبيين مما جعل الوحدة متعذرة بينهم في كثير من الاحيان كما تميزت تلك الفترة بتحول مسار حركة الجهاد الى الحلول السياسية في برقة بينما سدّد المستعمر هجومه لاعادة الاحتلال وتأكيد السلطة الايطالية على كامل مناطق ليبيا الغربية ويظهر لنا من هذا ان الاستعمار استطاع مؤقتا أن يهدّن برقة ــ مستغلال ظروفها المعيشية السيئة حينذاك ــ ليوجه ضربات متلاحقة لشقيقتها طرابلس الى جانب كونه يسعى الى عقد مفاوضات مع هيئة الاصلاح المركزية التي كانت تقود الجهاد فتنخدع هي أيضا بأضاليلة لمدة من الوقت بينما ترفض مجموعة من القادة في كل من برقة وطرابلس كل أساليب المفاوضات والمعاهدات وتقود المجاهدين في كثير من المعارك ضد الطليان.

٦ ــ ان الفترة من ١٩٢٢ م الى ١٩٢٤ م شهدت رغبة الليبيين الصادقة في توحيد جهودهم وتجميع امكانياتهم لمواجهة العدو الذي ظهرت حقيقته الاستعمارية وبان كذبه وخداعه حيث الغى جميع المعاهدات السابقة واستأنف الحرب مجددا بقسوة وضراوة وظهرت في تلك الفترة بطولات نادرة تمثلت في الصمود الرائع الذي اظهره سعدون السويحلي ضد جحافل الطليان في وقت كانت فيه بعض مناطق غرب ليبيا قد اخضعت قهرا للعدو، كما تميزت هذه الفترة بتولي عمر المختار قيادة الجهاد في شرق ليبيا ليسجل اروع صفحات الصمود ضد الهمجية والبربرية الفاشستية الايطالية.

٧ ــ ان الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٢١ م تمثل فترة التركيز للحرب ضد منطقة برقة والمواقع التي لم تخضع في مرحلة الاسترداد أومحاورةالاحتلال في غرب وجنوب ليبيا، ولقد عزّ على الايطاليين ان تعود حركة الجهاد الى اعتماد مبدأ الجهاد الاسلامي في حربها ضدهم فوجهت كامل قوتها لضرب حركة الجهاد الصامدة في الجبل الاخضر بقيادة عمر المختار والتي خاضت عشرات المعارك البطولية التي اغفلت المصادر ذكر اسماء اكثرها.

٨ ــ ان اكبر المعضلات التي واجهها عمر المختار في حربه ضد الايطاليين بالجبل الاخضر هي :

أ) استمالة ايطاليا لبعض الوجهاء والاعيان وتجنيدها لبعض الليبيين في كتائب (الباندة) وقد تلقت حركة عمر المختار اشد الضربات قسوة من المجندين في (الباندة) مثل «ناندة» عاكف أمسيك وغيرها.

ب) تأثير ايطاليا على بعض السنوسيين للانظمام اليها وكان من بين الذين خدعتهم الرضا السنوسي ثم ابنه الحسن ارضا وغيرهما ولو بقي الحسن الرضا في الصف الرافض للاستسلام مع عمر المختار لكان ذلك افضل له من حياة المذلة في كنف المستعمرين.

ج) احتلال ايطاليا لمنطقة الجغبوب سنة ١٩٢٦ م وكانت منفذا لاستقدام السلاح والذخيرة والتموين ثم اقامة المعتقلات الجماعية سنة ١٩٣٠ م، وقد حشرت ايطاليا فيها سكان برقة من الاهالي الذين كانوا خير عون لعمر المختار.

د) احتلال منطقة الكفرة سنة ١٩٣١ م وكانت آخر المناطق التي يمكن منها امداد حركة الجهاد الصابرة الصامدة في الجبل الاخشر ثم زاد الامر تعقيدا اقامة الاسلاك الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية.

هـ) عدم تلقي عمر المختار لأية مساعدات من خارج ليبيا باستثناء ما كان يحصل عليه من مصر قبل اغلاق الحدود معها ولقد كان الوطن العربي باجمعه في تلك الفترة يعاني من الاستعمار ويعيش في دوامة الضياع وتكبيل الحريات كما أن العزائم قد فترت ايضا في اكثر مناطق ليبيا ورغم تلك الظروف العسيرة فان حركة عمر المختار لم تنته في مدة قصيرة كما كان يتوقع العدو الايطالي حينما سلّط اقسى قادته الفاشست عليها وفي ذلك اصدق الدلائل على عظمة سلاح الايمان وقوة فعله.

(١) من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص : ١٠٥

(٢) المبروك الساعدي / موسوعة روايات الجهاد / منشورات جامعة الفاتح / مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي / سنة ١٩٨٣م ص : ٣٢

(٣) محمود الجهمي / مذكرات مجاهد / تقديم محمد عبد الرزاق مناع / دار الاتحاد للطباعة والنشر بنغازي / ط ١ سنة ١٩٧٣م ص : ٢٥

(٤) مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص : ٥٧

(٥) من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص : ٢٦٤

(٦) مع الهلال الاحمر / مصدر سابق ص : ٨٠ — ٨١

(٧) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٤٣ / ٢٢٦

(٨) عمر المختار نشأته وجهاده / مصدر سابق ص : ٨٧

(٩) النســـاء (٧٣)

(١٠) نيل الاوطار / مصدر سابق ج ٢ ص : ٢٤ + **فتح الباري بشرح البخاري ص ١٩ كتاب الجهاد.**

(١١) الامام مالك / الموطا / تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة مطبعة مطبعة مصطفى الحلبي بمصر / ط ١ — ١٩٦١م ص : ٢٤٣

(١٢) الدكتور حسن سليمان محمود / ليبيا بين الماضي والحاضر / مطبعة المعرفة، نشر مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢م ص : ٩٩

(١٣) مع الهلال الاحمر / مصدر سابق ص : ٨٤ ولا ننسى ما يقع فيه بعض الاجانب من اخطاء في تفسير الجهاد بانه رغبة محمومة في سلك الدماء او تعصب شديد للدين الاسلامي، وقد مر بنا في هذا البحث ما يكفي في الرد على هذه المغالطة.

(١٤) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٧٩ وكذلك رواية ونيس ابراهيم العلاك من منطقة (الفجر الجديد) في مقابلتي له سنة ١٩٨٢م

(١٥) من داخل معسكرات الجهاد / مصدر سابق ص : ١٧٩

(١٦) **معمر القذافي قائد الثورة/اراء جديدة في السوق والتعبئة ومبادىء الحرب/منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان والمطابع/ط ٤** سنة ١٩٨١م ص : ١١

(١٧) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٧٦

(١٨) المجاهدون محمد بوعبد الله من منطقة (تغرنة) ومحمد الصديقية من منطقة (راس الطبل) وابو عجيلة ابو رميلة من منطقة (القريات الغربية) في رواياتهم بموسوعة الجهاد / مصدر سابق ص : ٣٤/١٨١/٢١٣/٢٢٦ وكذلك مقابلتي للمجاهدين عمر العبيد البرعصي (بالبيضاء) ١٩٨٣م ومحمد متوبل الدرسي (بالفجر الجديد) ١٩٨٢م وصالح بوعرقوب البرعصي (البيضاء) ١٩٨٢م وعبد الله سليمان بوعوينة (بقصر ليبيا) ١٩٨١م وعبد العاطي الحاج محمد ابو بعيدة من (البيضاء) ١٩٨٣م والمرحوم الصديق ابو هزاوي (بدرنة) ١٩٨٠م.

(١٩) من داخل معسكرات الجهاد مصدر سابق ص : ١٤٠

(٢٠) برقة الهادئة / مصدر سابق ص : ١٦٦

(٢١) مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص : ٥٩

(٢٢) نحو فزان / مصدر سابق ص : ١٩

(٢٣) برقة الهادئة / مصدر سابق ص : ١٦٣

(٢٤) رواية المجاهد صالح عبد المالك عبد الرحيم من منطقة (الفائدية ١٩٧٩م.

(٢٥) السويحلي حياته وجهاده / مصدر سابق ص : ٣٥

(٢٦) القرضابية / مصدر سابق ص : ١٣

(٢٧) نقولا زيادة / برقة الدولة العربية الثامنة / دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٠م ص : ١٠١ — ١٠٢.

(٢٨) مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص : ٨٠

(٢٩) على سبيل المثال رواية المجاهد ابوبكر لملوم الحمري في مقابلتي له بقرنادة ١٩٧٩م والمجاهد علي صالح الدويلي في مقابلتي له بشجات سنة ١٩٨٠م.

(٣٠) رواية المجاهد حمد بكار الغويل بالبيضاء سنة ١٩٨١م.

(٣١) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٣٥

(٣٢) سعدون / مصدر سابق ص : ١١٥ / ١١٩

(٣٣) الدكتور عبد المولى الحرير / مقدمة مذكرات انور باشا / مصدر سابق ص : ٢٨

(٣٤) الشيخ المجاهد صالح محمد ابوعرقوب البرعصي في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨٢م

(٣٥) الحاج عبد الله عبد الحميد بوفلقة في مقابلتي له بالبيضاء سنة ١٩٨٢م

(٣٦) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٣٢
(٣٧) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٢٢٦، واعتقد بانه يعني صالح الكيلاني وليس الكبلاك بالنسبة للاول وصالح الكاديكي وليس الكاديك بالنسبة للثاني.
(٣٨) سعدون البطل الشهيد / مصدر سابق ص : ٦٨ انظر ايضا مساهمة الباحث بكتاب عمر المختار / مصدر سابق ص : ١٦٢
(٣٩) موسوعة روايات الجهاد / مصدر سابق ص : ٢
(٤٠) علي عبد الخالق مخيون في مقابلتي له بقرنادة سنة ١٩٧٩م
(٤١) محمود شيت خطاب / الرسول القائد / دار مكتبة الحياة بغداد ط ٢ سنة ١٩٦٠م ص : ٨٥
(٤٢) رواه البخاري
(٤٣) رواه ابو داود + فتح الباري ص ٩١ باب الجهاد ٥٦ .
(٤٤) رواه ابو داود ايضا
(٤٥) الانفال (٦١).
(٤٦) الحديد (٢٤)
(٤٧) النساء (١١)
(٤٨) الانفال ٤٦ / ٤٧
(٤٩) نحو فزان مصدر سابق ص : ١٢٧
(٥٠) الفوائد الجلية / مصدر سابق ص : ٢٧
(٥١) موسوعة روايات الجهاد مصدر سابق ص : ٢
(٥٢) من داخل معسكرات الجهاد مصدر سابق ص : ٢٠٦
(٥٣) خليفة بن عسكر / مصدر سابق ص : ٢٧
(٥٤) انظر مقالنا في ذكرى الانتصار لجيل عمر المختار بصحيفة الموظف العدد (٩٢) سنة ١٩٨٢م
(٥٥) من الرواة على سبيل المثال صالح عبد المالك في مقابلتي له بالفائدية سنة ١٩٧٩م.
(٥٦) رواية المجاهد محمد عبد الحفيظ الصديقية / موسوعة روايات الجهاد مصدر سابق ص : ١٨١
(٥٧) رواية المجاهد المرحوم حمد جيدار عبد الرازق في مقابلتي له بقرنادة ١٩٦٧م.
(٥٨) رواية المجاهد المرحوم علي محمد عقيلة في مقابلتي له بشحات سنة ١٩٨٠م.
(٥٨)م الانفال ٤١.
(٥٩) نيل الاوطار / مصدر سابق ج ٨ ص : ١٠٨
(٦٠) صحيح مسلم ج ١٢ ص : ٨٣.
(٦١) التوبة (٢٠)
(٦٢) نيل الاوطار / مصدر سابق ج ٨ ص : ٣٤
(٦٣) العاديات ١/٢/٣/٤/٥
(٦٤) نيل الاوطار / مصدر سابق ج ٨ ص : ٣٠
(٦٥) اخرجه الترمذي.
(٦٦) موطا الامام مالك / مصدر سابق ص : ٣٤٥
(٦٧) النحل (٦٩)
(٦٨) صحيح البخاري ومسلم
(٦٩) مجلة الثقافة العربية عدد مجهول الرقم سنة ١٩٧٩
(٧٠) رواه مسلم
(٧١) نحو فزان مصدر سابق ص : ٣١٠/٣١١
(٧٢) نحو فزان مصدر سابق ص : ٤١٥
(٧٣) رواية المجاهد حسن بوعزيزة في مقابلتي له بالابرق سنة ١٩٨٢م
(٧٤) مع الهلال الاحمر / مصدر سابق ص : ٨٣
(٧٥) محمود شيت خطاب / الرسول القائد / مصدر سابق ص : ٢٠٩
(٧٦) مجلة الشهيد العدد (٣) / مصدر سابق ص : ١٨٤
(٧٧) المواطن يوسف حامد مجحود من منطقة ابلخنة في روايته لي سنة ١٩٨١م

(٧٨) نحو فزان / مصدر سابق ص : ٤١٥

(٧٩) ليبيا ارض الميعاد / مصدر سابق ص : ٢٨٦

(٨٠) الرسول القائد / مصدر سابق ص : ١٦٨

(٨١) اعتمدت في هذه المعركة على روايات كل من :
عبد العاطي بوبعيدة، وشعبان المسماري، ومحمد وصالح عقيلة، وشعيب ابويحي وخالد عوض وكلهم من المجاهدين، ومحمد الشرافيه وسعيد الشنكروف من المجندين مع الطليان، وعبد الرازق عبد المولى وفرج حمد فليفل من الاهالي المقيمين قرب موقع المعركة وكثيرين غيرهم.

(٨٢) الدكتور شكري فيصل / حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول / دار العلم للملايين بيروت / ط ٥ ١٩٨٠م ص : ١٥٧

(٨٣) نحو فزان / مصدر سابق ص : ٣٤٥/٣٤٤

(٨٤) سعد بالحمد من منطقة شحات في مقابلتي له سنة ١٩٨٠م

(٨٥) قراتسياني / نحو فزان / مصدر سابق ص : ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦.

(٨٦) مجلة الشهيد العدد (٢) / مصدر سابق ص : ١٥١

(٨٧) احمد عادل كمال / مجلة العربي / العدد ٢١٩ سنة ١٩٧٧م ص : ١١٣.

(٨٨) الرسول القائد / مصدر سابق ص : ٢٠٩

(٨٩) رجال حول الرسول / مصدر سابق ص : ٥٠٤

(٩٠) سعدون / مصدر سابق ص : ١٣٣ــ١٦٤ــ١٦٦ وكذلك انظر الطريق الى الاسلام / مصدر سابق ص : ٣٥١.

(٩١) المصدر / بحثنا بكتاب عمر المختار / مصدر سابق ص : ١٥١ وكذلك مخطوط بعنوان الادب الشعبي المقاتل / لم يطبع.

الفهارس العامة

أولا : فهرس الاعلام

الحرف «ب»

الحرف «ج»

الحرف «ح»

الحرف «خ»

الحرف «د»

الحرف «ر»

الحرف «س»

الحرف «ش»

الحرف «ص»

الحرف «ض»

الحرف «ط»

الحرف «ظ»

الحرف «ع»

الحرف «ف»

الحرف «ق»

الحرف «ك»

الحرف «م»

الحرف «ن»

الحرف «هـ»

الحرف «ي»

ثانيا : فهرس المعارك

الحرف «أ»

ثالثا : فهرس الأماكن

الحرف «أ»

الحرف «ك»

الحرف «ل»

الحرف «م»

الحرف «و»

المصـادر والمـراجـع

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع

١ ــ سورة البقرة ــ الايات : ١١٩، ١٨٩، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٤٧، ٢٤١.

٢ ــ آل عمران ــ الايات : ١٠٣، ١٢٣، ١٣١، ١٤٥، ١٥١، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ٢٠٠.

٣ ــ النساء ــ الايات : ٧١، ٧٦، ٨٣، ٩١، ٩٢، ١٠٢.

٤ ــ الانفال ــ الايات : ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٦٧.

٥ ــ التوبة ــ الايات : ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١١٢.

٦ ــ يونس ــ الايات : ٩٩.

٧ ــ هود ــ الايات : ٨.

٨ ــ النحل ــ الايات : ٦٩.

٩ ــ الانبياء ــ الايات : ١، ٢، ٣.

١٠ ــ الحج ــ الايات : ٣٦، ٣٧، ٣٨.

١١ ــ القصص ــ الايات : ٧٧.

١٢ ــ الروم ــ الايات : ٤٦.

١٣ ــ الاحزاب ــ الايات : ٢٣.

١٤ ــ الصفات ــ الايات : ١٧٣.

١٥ ــ الشورى ــ الايات : ٣٥.

١٦ ــ محمد ــ الايات : ٧، ٨.

١٧ ــ الحجرات ــ الآيات : ١٠، ١٥.

١٨ ــ الحديد ــ الآيات : ٢٥.

١٩ ــ الحشر ــ الآيات : ٨.

٢٠ ــ المنافقون ــ الآيات : ٨.

٢١ ــ العاديات ــ الآيات : ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

ثانيا : كتب الدراسات الاسلامية

١ ــ ابن الخوجة، محمد الحبيب : مواقف الاسلام ــ تونس دار الكتب الشرقية ١٩٧٢.

٢ ــ ابن عاشور، «الامام» محمد الطاهر : تفسير التحرير ــ مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١١، ١٩٦٤.

٣ ــ أبو السعود «الامام» محمد بن محمد العماري : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ــ مصر، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٥٢.

٤ ــ ابن كثير «الامام» عماد الدين ابي الفداء : تفسير القرآن العظيم ــ بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر.

٥ ــ ابن أنس «الامام» مالك : الموطأ، تحقيق ابراهيم عطوة ــ مصر، مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٦١.

٦ ــ الشوكاني «الامام» محمد بن علي بن محمد : نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار ــ مصر، دار الجبل، ج ٧ــ٩، ط ١٩٧٣.

٧ ــ البهى «الدكتور» محمد : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ــ بيروت، ط ٦، ١٩٧٧.

٨ ــ الغزالي، محمد : فقه السيرة ــ القاهرة، ط ٥، ١٩٦٥.

٩ ــ القاسمي، ظافر : الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام ــ بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٢.

١٠ ــ النجار «الدكتور» محمد مصطفى ومصباح «الدكتور» أحمد مجاهد : العرب وظهور الاسلام ــ القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٦٩.

١١ ــ خالد، محمد خالد : رجال حول الرسول ــ بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٢.

١٢ ــ شلتوت «الامام» محمود : من توجيهات الاسلام، دار القلم، ط ٣، ١٩٦٦.

١٣ ــ طبارة، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الاسلامي ــ بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢٠، ١٩٨٠.

١٤ ــ طنطاوي «الدكتور» محمد السيد : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ــ بيروت، منشورات جامعة بنغازي، مركز الطباعة الحديثة، ط ١، ١٩٧٤.

١٥ ــ عبد الباقي، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ مصر، دار مطابع الشعب، ١٩٧٤.

١٦ ــ عبد العال «الدكتور» أحمد عبد العال ولاشين «الدكتور» موسى شاهين : المنهل الحديث في شرح الحديث ــ مصر، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٥.

١٧ ــ عبد ربه، السيد عبد الحافظ : فلسفة الجهاد في الاسلام ــ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢.

١٨ ــ مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري والنووي، محي الدين ابو زكريا يحيى : صحيح مسلم بشرح النووي ــ مصر، المطبعة المصرية، ١٩٢١.

ثالثا : الكتب التاريخية

١ ــ المصراتي، على مصطفى : سعدون البطل الشهيد ــ بيروت، المكتب التجاري، ط ١، ١٩٦٤.

٢ ــ السويحلي، صلاح : رمضان السويحلي حياة وجهاد، ط ١، ١٩٧٤.

٣ ــ ابن خلدون، عبد الرحمن : المقدمة، دار احياء التراث العربي، ط ٤.

٤ ــ الاشهب، محمد الطيب : عمر المختار، ط ١، ١٩٥٧.

٥ ــ الباروني، زعيمة : صفحات خالدة من الجهاد، مطابع الاستقلال الكبرى، ج ١، ١٩٦٤.

٦ ــ انسباتو، انريكو : العلاقات العربية الايطالية ١٩٠٢ــ١٩٢٠ ــ مذكرات كارلو قوتى بورشنارى ــ ترجمة عمر الباروني، مراجعة عبد الرحمن سالم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٠.

٧ ــ العيساوي، محمد الاخضر : رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار ــ القاهرة، مطبعة حجازي، ط ١، ١٩٣٦.

٨ ــ الزاوى، طاهر : جهاد الابطال في طرابلس الغرب ــ بيروت، دار الفتح، ط ٢، ١٩٧٠.

٩ ــ الاشهب، محمد الطيب : برقه العربية أمس واليوم ــ القاهرة، مطبعة الهوارى، ١٩٤٧.

١٠ ــ أسد، محمد : الطريق إلى الاسلام، ترجمة عفيف البعلبكي ــ بيروت، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٧٧.

١١ ــ الدجانى «الدكتور» أحمد صدقي : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، المطبعة الديثة، ط ١، ١٩٧١.

١٢ ــ القشاط، محمد سعيد : القرضابيه ــ بيروت، دار المسيرة، ط ١، ١٩٧٨.

١٣ ــ التليسى، خليفة : معجم معارك الجهاد في ليبيا ــ بيروت دار الثقافة، ١٩٧٢.

١٤ ــ ابراهيم، محمد لطفي : تاريخ حرب طرابلس ــ مصر، مطبعة بنها، ١٩٤٦.

١٥ ــ الشريف، أحمد بن السيد محمد علي : بغية المساعد في احكام المجاهد ــ القاهرة المغربية، مطبعة جريدة الشعب، سنة ١٣٣٢هـ.

١٦ ــ القشاط، محمد سعيد : خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ــ بيروت، دار المسيرة، سنة ١٩٧٨.

١٧ ــ الزاوي، طاهر : عمر المختار ــ طرابلس، منشورات مؤسسة الفرجاني ١٩٨٠.

١٨ ــ الشلماني، محمد عبد السلام : شيء عن بعض رجال عمر المختار ــ بنغازي، الشعبية للكتاب والتوزيع، ١٩٨١.

١٩ ــ الساعدي، المبروك : موسوعة روايات الجهاد، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ١٩٨٣.

٢٠ ــ الجهمي، محمود : تقديم محمد عبد الرازق ــ بنغازي، دار الاتحاد للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٧٣.

٢١ ــ القذافي، معمر محمد «قائد الثورة» : اراء جديدة في السوق والتعبئة ومبادىء الحرب ــ طرابلس، منشورات الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط ٤، ١٩٨١.

« ب »

١ ــ باشا، انور باشا «الضابط التركي» : مذكرات انور باشا ، ترجمة «الدكتور» عبد المولى الحرير، مراجعة «الدكتور» حبيب وداعة الحسناوي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ١٩٧٩.

٢ ــ برتيشارد، ايفانز : السنوسيون في برقة، تعريب عمر الديراوي، طرابلس، ليبيا، مكتبة الفرجاني ط ١٩٤٨.

٣ ــ بن علي، عبد المالك بن عبد القادر : الفوائد الجلية، ط ١٩٦٦.

٤ ــ باولو، مالتيزي : ليبيا أرض الميعاد، ترجمة عبد الرحمن سالم العجيلي، مراجعة محمود التايب، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ١٩٧٩.

« ح »

١ ــ حسنين، أحمد محمد : في صحراء ليبيا، مطبعة شركة مصر ١٩٢٢.

« خ »

١ ــ خشيم، حسن علي : صفحات من جهادنا الوطني، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط ٢، ١٩٧٤.

٢ ــ خطاب، محمود شيت : الاسلام والنصر، دار الفكر، ط ١، ١٩٧٢.

٣ ــ خطاب، محمود شيت : قادة فتح المغرب ــ بيروت، دار الفتح، ط ١، ١٩٦٦.

٤ ــ خطاب، محمود شيت : الرسول القائد ــ بغداد، ط ٢، ١٩٦٠.

« ر »

١ ــ ريمون، جورج «الفرنسي» : من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ترجمة «الدكتور» محمد عبد الكريم الوافي، مكتبة الفرجاني، ط ١، ١٩٧٢.

« ز »

١ ــ زيادة، نقولا : برقة الدولة العربية الثامنة ــ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٠.

« س »

١ ــ ستودارد، لوثروب : حاضر العلم الاسلامي، تعريب عجاج نويهض وشروح شكيب ارسلان ــ طرابلس، دار الفكر ط ٣، ج ١ و٢، ١٩٧١.

٢ ــ سيف النصر، رياض : الشعب المسلح فلسفة وتطبيق في الجهاد الليبي، منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان، ط ١، ١٩٨١.

« ص »

١ ــ شكري، محمد فؤاد : السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي ١٩٤٨.

« ص »

١ ــ صبيح، محمد : بطل لا ننساه عزيز المصري وعصره ــ بيروت، المكتبة العصرية ١٩٧١.

٢ ــ صالحية «الدكتور» محمد عيسى : صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، وثائق من تاريخ السيد احمد الشريف، اصدار جامعة الكويت، كلية الآداب ١٩٨٠.

٣ ــ صالحية «الدكتور» محمد عيسى : الادوارق حركة الجهاد الليبي، منشورات جامعة الكويت، كلية الآداب ١٩٨٠.

« ق »

١ — قراتسياني «الجنرال» رودلفو : برقة «المهدأة»، ترجمة ابراهيم سالم بن عامر، بنغازي، منشورات مكتبة الاندلس، ط ١، ١٩٧٤.

٢ — قراتسياني، رودلفو : نحو فزان، ترجمة طه فوزي، القاهرة، مكتبة صايغ ١٩٧٦.

« م »

١ — ماكولا، فرنسيس «الايرلندي» : الغزاة، تعريب عبد الحميد شفلوف، العامة للنشر والتوزيع، ١٩٧٩.

٣ — مناع، محمد عبد الرازق : جذور النضال العربي في ليبيا، الناشر مناع، ط ٢، ١٩٧٢.

٣ — مالجيري، فرانشسكو : الحرب الليبية ١٩١١—١٩١٢، ترجمة الدكتور وهبي البوري، ليبيا — تونس، الدار العربية للكتاب، ط ١، ١٩٧٨.

٤ — محمود «الدكتور» حسن سليمان : ليبيا بين الماضي والحاضر، مطبعة المعرفة، نشر مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٢.

« هـ »

١ — هولمبو، كنور «الدانمركي» : رحلة في الصحراء الليبية، طرابلس، ليبيا، مكتبة الفرجاني، ١٩٦٩.

رابعا : الروايات والمقابلات

١ — رواية المجاهد التواتي عبد الجليل العرابي من مقابلتي له بالفائدية ١٩٧٩.

٢ — رواية المجاهد ابراهيم سليمان ادريس أبو بقوشة في مقابلتي له بمنطقة اشنيشن ١٩٨٠.

٣ — رواية المجاهد انبيه صالح الطايش للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له ١٩٧٨ بالمكتبة المسموعة شريط ١٢/٨.

٤ — رواية المجاهد المهدي ميلاد سالم قراره المصراتي في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٧٩.

٥ — رواية المجاهد المهدي ابو خليل العيطي في مقابلتي له بمنطقة عمر المختار ١٩٨٢.

٦ — رواية المجاهد الصديق أبو هزاوي في مقابلتي له بدرنة ١٩٨٠.

٧ — رواية المجاهد أبو بكر لملوم الحمري في مقابلتي له بقرنادة ١٩٧٩.

٨ — رواية المجاهد أبو عجيلة أبو رميله للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له بمنطقة القريات الغربية ١٩٧٨.

« ح »

١ — رواية المجاهد حمد متوبل الجارح الدرسي في مقابلتي له بالفجر الجديد ١٩٨٢.

٢ — رواية المجاهد حمد بكار الغويل في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨١.

٣ — رواية المجاهد حسن أبو عزيزة المسماري في مقابلتي له بالابرق ١٩٨٢.

٤ — رواية المجاهد حمد جيدار عبد الرازق في مقابلتي له بقرنادة ١٩٦٧.

« خ »

١ — رواية المجاهد خالد البراني في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨٢.

٢ — رواية المجاهد خالد عوض عبد الدايم في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

« س »

١ ــ رواية المجاهد سعد عبد القادر البرزان في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

٢ ــ رواية المواطن سعيد محمد «الشنكروف» الموظف المدني مع الطليان سابقا في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

٣ ــ رواية المجاهد سعد بالحمد الهادي في مقابلتي له بشحات ١٩٨٠.

« ش »

١ ــ رواية المجاهد شعيب عبد ربه الصولدي المحجوبي في مقابلتي له بقرناده ١٩٨٠.

٢ ــ رواية المجاهد شعبان عبد القادر المسماري في مقابلتي له بمنطقة امريور حمناد الصحراوية في جولتي الموسعة سنة ١٩٨٢.

٣ ــ رواية المجاهد شعيب رويعي في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

« ص »

١ ــ رواية المجاهد صالح عقيله حسلوك في مقابلتي له بشحات ١٩٨٠.

٢ ــ رواية المجاهد صالح محمد أبو عرقوب «رئيس الادارة لقائد المجاهدين احمد الشريف» في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨٢.

٣ ــ رواية المجاهد صالح عبد المالك عبد الرحيم في مقابلتي له بالفائدية ١٩٧٩.

« ع »

١ ــ رواية المجاهد علي عبد الخالق مخيون في مقابلتي له بقرنادة ١٩٨٠ وكان جهاده بمناطق ليبيا الغربية.

٢ ــ رواية المجاهد علي محمد عقيلة في مقابلتي له بشحات ١٩٨٠.

٣ ــ رواية المجاهد عبد الله سويل الرقاعي في مقابلتي له بشحات ١٩٨١.

٤ ــ رواية المجاهد عبد العاطي محمد أبو بعيده في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

٥ ــ رواية المجاهد عبد الرازق عبد الله في مقابلتي له بالفائدية ١٩٧٩.

٦ ــ رواية المواطن عبد الله حسين فرج المكتوبة عن الشهيد الضابط محمد الملقب بالفالح الدريسي التي سجلها برواية المجاهد محمد النعاس بالفجر الجديد ١٩٨٢.

٧ ــ رواية المجاهد عمر محمد العبيد العريفي في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨٢.

٨ ــ رواية المجاهد عبد الله سليمان ابو عوينه في مقابلتي له بقصر ليبيا ١٩٨٢.

٩ ــ رواية المجاهد على صالح الدويلي في مقابلتي له بشحات ١٩٨٠.

١٠ ــ رواية المواطن عبد الله الحميد أبو فلقة في مقابلتي له بالبيضاء ١٩٨٧ تكملة لمقابلتي لوالده المدونة خطيا سنة ١٩٦٤.

١١ ــ رواية المواطن عبد الرازق عبد المولى لذي عاصر احداث الجهاد في عهد عمر المختار في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

« ف »

١ ــ رواية المواطن فرج حمد افليفل عن معركة الكراهب في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

« م »

١ ــ رواية المجاهد محمد فضيل النافرة في مقابلتي له بالقيقب ١٩٨١.

٢ ــ رواية المجاهد محمد أبو بكر أبو نبا في مقابلتي له بشحات ١٩٨٠.

٣ ــ رواية المجاهد محمد طيب أبو فروة في مقابلتي له بمنطقة عمر المختار ١٩٨٢.

٤ ــ رواية المجاهد محمد عثمان لصيمع في مقابلتي له بمنطقة عمر المختار ١٩٨٢.

٥ ــ رواية المجاهد محمد أبو عبد الله للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له بمنطقة تغرنة ١٩٧٨.

٦ ــ رواية المجاهد محمد الصديقية للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له بمنطقة راس الطبل ١٩٧٨.

٧ ــ رواية المجاهد محمد عبد الحفيظ الصديقية للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له بمنطقة راس الطبل ١٩٧٨.

٨ ــ رواية المواطن محمد ابو الشرافية المجند اجباريا مع الايطاليين في مقابلتي له بشحات ١٩٨٢.

« و »

١ ــ رواية المجاهد ونيس ابراهيم العلاّك الدرسي في مقابلتي له بمنطقة الفجر الجديد ١٩٨٢.

« ي »

١ ــ رواية المجاهد يونس امحمد عطية للباحث المبروك الساعدي في مقابلته له بمنطقة القصبه بغريان ١٩٧٨ شريط ١٢/٨ بالمكتبة المسموعة.

٢ ــ رواية المواطن يوسف حامد مجحود البركاتي في مقابلتي له بمنطقة ابلخنة ١٩٨١.

٣ ــ رواية المجاهد يحيى الطبجي في مقابلتي له بمنطقة الغريقة بالبيضاء ١٩٨٢.

خامسا : البحوث والمقابلات والخطب

« أ »

١ ــ الدسوقي «الدكتور» محمد البناء العقائدي للاسلام، مقال مجلة كلية التربية بجامعة الفاتح العدد ١٩٧٦/٥.

٢ ــ ابو اشويرب «الدكتور» عبد الكريم، المجاهد فرحات الزاوي مقال مجلة الشهيد العدد ١٩٨٢/٣.

٣ ــ الجراري «الدكتور» محمد الطاهر، البطل عبر التاريخ بحث في كتاب عمر المختار للدكتور البربار وآخرين، اصدار مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ١٩٨١.

٤ ــ المصراتي، علي مصطفى : التدريب العسكري في طرابلس استعدادا للجهاد قبل الغزو الايطالي، مجدة الشهيد، العدد ١٩٨٢/٣.

٥ ــ الهاين، مصطفى سعد : أثر الدين في جهاد الليبيين، مقال بمجلة الشهيد، العدد ١٩٨٢/٢.

٦ ــ الهاين، مصطفى سعد : من مآثر الجهاد الليبي، مقال بصحيفة الموظف، العدد ٩٢ الصادرة بمناسبة عيد الثأر ١٩٨٢.

٧ ــ الهاين، مصطفى سعد : بحث بكتاب عمر المختار، نشأته وجهاده، أعمال الندوة العلمية العالمية في الذكرى الخمسين لاستشهاد شيخ المجاهدين باشراف الدكتور عقيل البربار، اصدار مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ١٩٨١.

٨ ــ الباروني، سليمان : جريدة الاسد الاسلامي، العدد ٣/السنة الاولى صادرة في ربيع الأول ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨/٤/٢٢.

٩ ــ القذافي، معمر محمد «قائد الثورة» : من خطبته في ذكرى معركة الهاني ١٩٧٢.

١٠ ــ القذافي، معمر محمد «قائد الثورة» من كلمته المذاعة يوم ١٩٨٢/٢/٢.

١١ ــ الهاين، مصطفى سعد : من أحداث الجهاد العربي الليبي، مؤلف صغير يتناول احداث الجهاد في بلديات الفاتح والجبل الاخضر ودرنة وطبرق، مطبعة الجبل ١٩٨٢.

« ب »

١٢ ــ بغنى، عمرو سعيد : الجمهورية الطرابلسية، بحث بمجلة الشهيد، العدد ١٩٨١/٢.

١٣ ــ بن يونس، مختار الهادي : من سجل الشهداء، بحث بمجلة الشهيد، العدد ١٩٨٢/٢.

« د »

١٤ ــ دياب «الدكتور» احمد ابراهيم : موقف مجلة المنار المصرية من الغزو والاحتلال الايطالي، بحث مقدم لمؤتمر العلاقات العربية التركية بطرابلس ١٩٨٢.

« ع »

١٦ ــ قاسمية «الدكتورة» خيرية : الوطن العربي بين الاتجاه القومي وواقع التجزئة، بحث مقدم لمؤتمر العلاقات العربية التركية المنعقد تحت اشراف مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس ١٩٨٢.

١٧ ــ قاسم «الدكتور» جمال زكريا : بحث في كتاب ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية ١٩٦٨ بعنوان «موقف مصر من الحرب الليبية الايطالية».

« ك »

١ ــ كول اوغلو، الدكتور اورخان : الرأي العام الاسلامي في الاشهر الستة الاولى من الحرب الليبية الايطالية، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية المنعقد تحت اشراف مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بطرابلس ١٩٨٢.

أولا : ملحق ببعض الوثائق التاريخية

الوثيقة الأولى

رسالة من المجاهد احمد الشريف الى المجاهد احمد المريض تتميزة بكونها دعوة صادقة الى توحيد الجهود وجمع الشمل وانها النزاعات وحل المشاكل لمواجهة العدو في صف واحد لاعلاء كلمة الله والدفاع عن العقيدة ولم يكتف بالرسالة فقط بل أوفد معبوثين من طرفه هما محمد بن عبد العاطي البوسيفي ومحفوظ بن حسين الحجازي لنقل رسالة شفوية تدور حول احوال المجاهدين حينذاك والرسالة مؤرخة في ٢١ رجب ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩١٧ م.

مصدر الوثيقة شعبة الوثائق والمحفوظات بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي بطرابلس.

الوثيقة الثانية

ترقية الى رتبة «يوزباش» مع الانعام بالنشيان المجيدي الخامس عالي الشأن صادرة من المجاهد احمد الشريف نائب امير المؤمنين بالقارة الافريقية الى المجاهد محمد الطالب بن امحمد الهمالي الترهوني وتتميز الوثائق الصادرة عن احمد الشريف بالحث المستمر على مواصلة الجهاد بكل أخلاص وجد.

والوثيقة مؤرخة بتاريخ ٢٦ شوال ١٢٢٦ هـ الموافق ١٩١٨ م المصدر / شعبة الوثائق التاريخية بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

الوثيقة الثالثة

منح المجاهد بشير صالح القرطبي الوسام الرابع العثماني عالي الشأن وتتصدر وثائق احمد الشريف كما هي العادة دائما الايات والاحاديث التي تأمر بالجهاد وتحث عليه. والوثيقة مؤرخة في ٣ ذي الحجة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥ م مصدر الوثيقة شعبة الوثائق والمحفوظات بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.

الوثيقة الرابعة

ترقية المجاهد صالح محمد الحمروني الى رتبة (بمباشي) مؤرخة في ٢٧ صفر الخير ١٣٣٦ هـ الموافق ١٩١٨ م.

مصدر الوثيقة ملف أحمد الشريف السنوسي بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي شعبة الوثائق والمحفوظات وثيقة رقم (٨).

الوثيقة الخامسة

ترقية المجاهد عبد الحميد بومحمد أبو فلقة الى رتبة (يوزباش بيادة) صادرة عن احمد الشريف بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤ هـ الموافق سنة ١٩١٦ م.

مصدر الوثيقة مجموعة وثائق كاتب البحث.

الوثيقة السادسة

أمر بتعيين المجاهد عبد الحميد بوفلقة رئيسا للادارة بدور العبيدات والحاسة والامر صادر من محمد الحسن الرضا بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ الموافق سنة ١٩٢٧ م.

مصدر الوثيقة ابن المجاهد عبد الله عبد الحميد بوفلقة من منطقة البيضاء سنة ١٩٨٢ م.

الوثيقة السابعة

رسالة من المواطن المجاهد أبي القاسم أبيض الركاب أبو سيفٍ إلى أحمدِ بن محمد وتمثل هذه الرسالة ومجموعة الوثائق بكاملها الخلفية الفكرية الدينية المؤثرة في اقوال وكتابات وافعال رجال الجهاد الليبي عامة وفي الوثيقة غيرة صادقة على الوطن والعقيدة والشرف والعرض.

مصدر الوثيقة شعبة الوثائق والمحفوظات بمركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي طرابلس وتاريخها ٢ صفر ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤ م والوثيقة منشورة على غلاف مجلة الشهيد الصادرة عن مركز دراسة الجهاد العدد (٢) سنة ١٩٨١ م.

الوثيقة الثامنة

شهادة بمنح وسام (نيشان الهلال الحديدي عالي الشأن) الى المجاهد سعد عبد القادر البرازان.

تاريخ الاصدار جماد أول سنة ١٣٣٥ هـ الموافق سنة ١٩١٧ م مصدر الوثيقة / مجموعة وثائق كاتب البحث.

الوثيقة التاسعة

تعيين المجاهد فضيل لبيرش عضوا بمجلس الشيوخ بدور الحاسة والعبيدات والامر صادر من عمر المختار بتاريخ ٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ الموافق ١٩٣٠ م ونلاحظ ان عمر المختار لم يعد يكتب صفاته السابقة في السلطة — مثل نائب الوكيل العام أو النائب العام بل كتب كما توضح هذه الوثيقة وعدة وثائق أخرى لفظة (رئيس الهيئة الجبلية).

مصدر الوثيقة / مجموعة وثائق كاتب البحث.

الوثيقة العاشرة

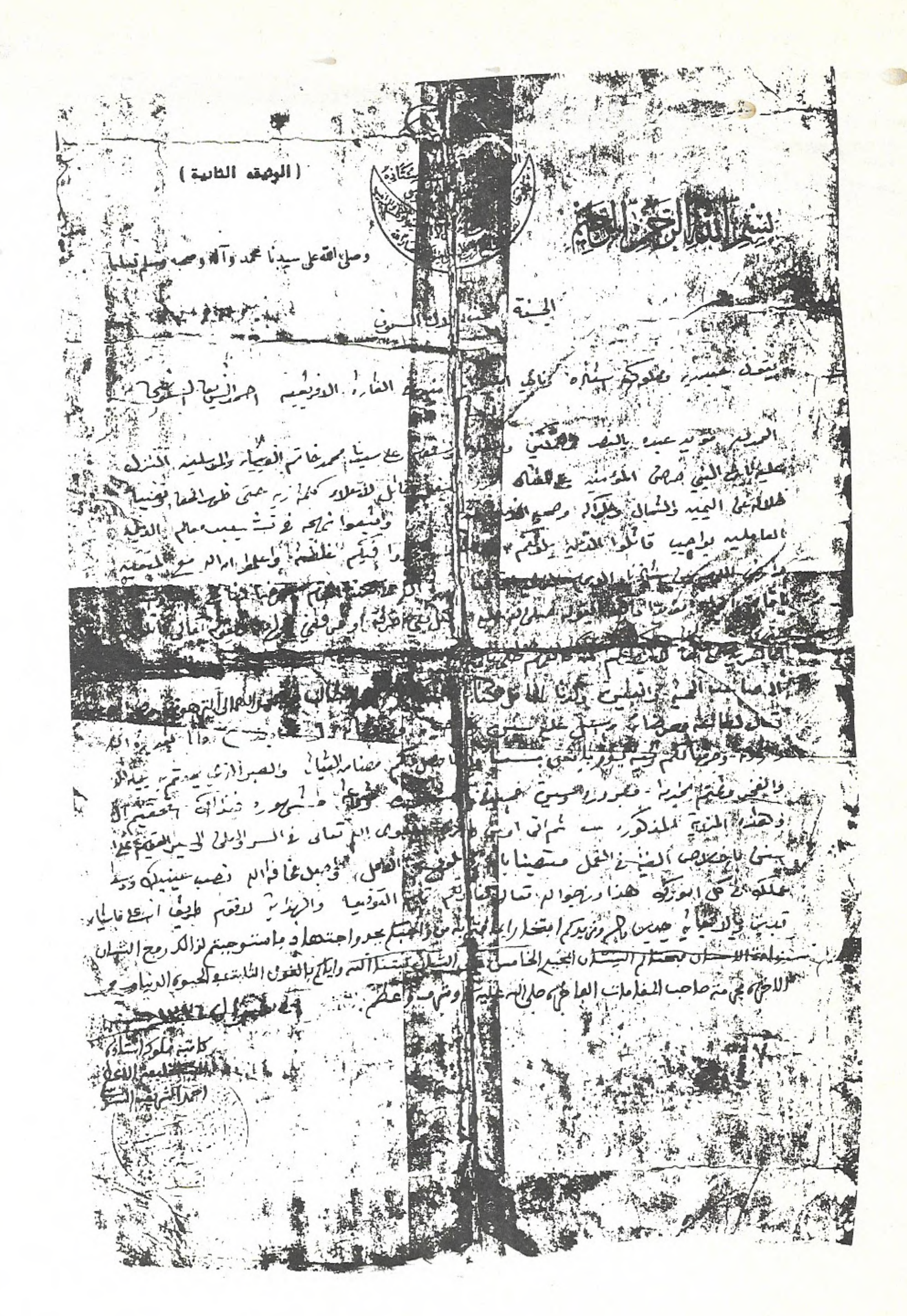
ترقية المجاهد المرحوم عبد الله ابراهيم بوشغميمة الى رتبة ملازم أول بيادة صادر عن نائب الوكيل العام عمر المختار (راجي عفو الستار) كما يوضح ختمة اسفل الوثيقة المؤرخة في محرم سنة ١٣٤٤ هـ الموافق سنة ١٩٢٦ م.

مصدر الوثيقة مجموعة وثائق كاتب البحث.

الوثيقة الحادية عشر

تكليف للمجاهدين حمد متوبل الدرسي وعلي حسن المسماري وعلى بوشريفة ،**الغيزافي** والقاسي الدعاري لاداء مهمة عسكرية اقتضتها مصلحة الجهاد ويقول عمر المختار : «لا مسؤولية عليهم دنيويا وأخرويا».

تأكيدا منه على عظمة المسؤولية المترتبة على القيام بالجهاد الصادق في سبيل الله والوطن وضرورة النهوض بالتزاماته ويلاحظ انه قد وقع الامر ضابط المنطقة التي ستنفذ فيها المهمة المعنية ويستنتج أن جميع الاهالي كانوا يحترمون أوامر عمر المختار وان



(الوثيقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

[illegible]

[illegible] الفاروق الوزير [illegible]

الحمد لله [illegible] على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين [illegible]

[illegible]

وهذا المذكور [illegible] تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible] صاحب [illegible] صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

كاتبه مملوكم [illegible]

أحمد [illegible]

الروح الانضباطية بين الرتب المختلفة كانت سائدة بجدية مطلقة. والوثيقة مؤرخة في سنة ١٣٤٦ هـ تقريبا وتوافق سنة ١٩٢٨ م
مصدر الوثيقة / مجموعة وثائق كاتب البحث.

الوثيقة الثانية عشر

أمر صادر من عمر المختار رئيس الهيئة الجبلية بترفيع المجاهد شعبان عبد القادر المسماري الى رتبة ملازم أول عسكرية بيادة.

وفيها يقول عمر المختار : «اجعل مخافة الله نصب عينيك ودستور عملك في كل أمورك، وان لا سمح الله تكاسلت أو تهاونت وتساهلت فالله رقيب عليك والمسؤولية الدنيوية والاخروية محققة لديك».

والوثيقة مؤرخة في ٢٢ ربيع الثاني حوالي سنة ١٣٤٢ هـ الموافق حوالي ١٩٢٤ م.

مصدر الوثيقة / مجموعة وثائق الباحث.

الوثيقة الثالثة عشر

رسالة من المجاهد أحمد الشريف الى المجاهد عبد الرازق بك العوامي يطلب منه فيها الاستمرار مع اخوانه في الجهاد

ومما جاء فيها قوله :

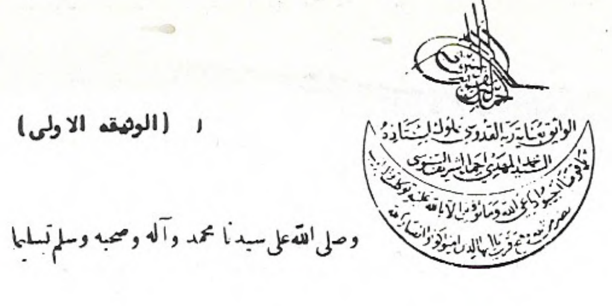
« جدكم وجهدكم واجتهادكم ووقوفكم في وجه الغزاة » وأيضا قوله : « واياكم وحيل العدو » وقوله : « واعلموا ان الله معكم » والرسالة تتضمن بعض الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد وقد كتبها المجاهد الكبير احمد الشريف بعد هجرته خارج ليبيا بدليل قوله : « ولم يخصنا الا الوصول اليكم » وقوله : « وعن قريب سترونا بينكم » مصدر الوثيقة : المواطن محمد يونس من المرج «شكورا» .

ملاحظات ختامية عن الوثائق الملحقة بهذا البحث :

١ ــ ان الوثائق الواردة بهذا البحث هي للتدليل على الموضوعات الواردة به وللتأكيد على صدقها لان «الوثيقة صنو الحقيقة» وهذه الوثائق هي قليل من كثير.

٢ ــ لقد طالبت الكثيرين بتزويدي بصورة من الوثائق الموجودة عندهم وأنني في الوقت الذي اشكر فيه من الاعماق الاخوة الذين زودوني بوثائقهم المنشورة هنا ارجو أن يفهم أولئك الذين لم يقدموا وثائقهم الجهادية بأن تاريخهم هو ملك للاجيال فلا يجوز لهم اخفاءه في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى فهم حقائق الجهاد الليبي.

۱ (الوثيقه الاولى)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الى من عبروا من محلوح اشتاده ونواب امير المومنين في القواعد لنا ومن يليه احمد الشريف السنوسي

الى الاجل الفاضل العمدة الكامل على الهمم وذكي الاخلاق والشيم ولدنا الشيخ احمد باشا المرغني حفظه الله والفضل

والداعي عزه وعلاه امين السلام التام ورضوان الشامل العام تتوالى عليكم بركاته وتعمكم رحمته وبركاته وبعد فموجب

السؤال عنكم وعن احوالكم الحسنة وشيمكم المرضية حفظها الله وصانها بجوده خير البرية ثم ان رسالتكم وصلت الكرم

من المجاهدين ما الجميع لله الحمد في ابر النعم ونبات الجود دوام ان الآن الوالي ذلك انه امر جو ... ولم تحتج

ما يجب من الاعلام سوى الخير وبلوغ المرام وفرحنا بما فرقنا على اولاد حرب خالة ... والله نادم ومتوجهون

بحول الله وقوته الى ... ومقصدنا الاجتماع في ... ورؤساء العمارات الكرام والسبب ... احد ...

... والسعي في اصلاح ذات البين قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين

الناس وقال انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال عليه السلام الفتنة نائمة لعن الله

من ايقظها وقال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلنا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول

قال كان حريصا على قتل صاحبه وقلنا اتحاد الكلمة وجمع شتات ... الامة حيث مولانا امير المومنين ايده الله

افاض ... في الافاق الامر ... ووزراء الدولة الشاهانية وفرقوا على حسب العهود السابقة واللاحقة

التي بيننا وبينكم وانا نزيل عليكم بين اهليكم وعيالكم تحمون ... لاعلاء كلمة الله واحياء شريعة رسول الله

ولم نزل نعتقد فيكم انكم انتم الذين لم تزالوا على ... وتفنى وغيرهم ... وحمية الاسلام لاحياء شريعة

خير البرية ولسنا في قصدنا طلب ملك ولا غيره والله ... والقصد الوحيد هو اعلاء كلمة الله والذب عن شريعة رسول الله

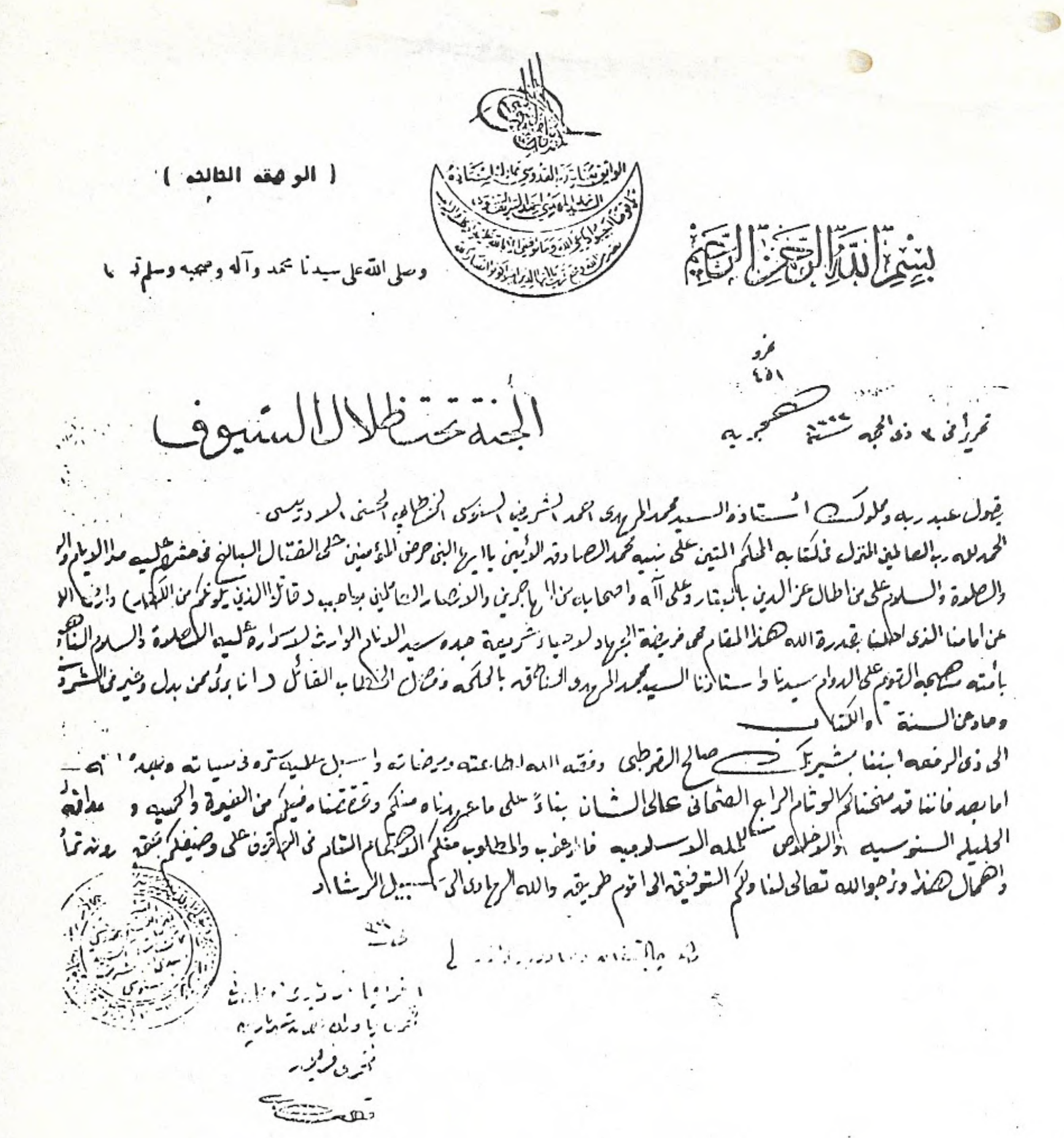
ولولا ذلك ما تحملت هذه المشاق وقطع الفيافي و ... ذلك على الراحة ... الاهل والعيال كل ذلك رجاء

ان يجعلنا الله من ... لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وها هو اقرا

عليكم ولدنا السيد محمد العابد البوسيفي وولدنا الشيخ ... وكافة الاحوال ... وفقنا الله واياكم لصالح

الاعمال ... والسلام ... رجب الفرد ۱۳۲٥ سنة

(الوثيقة الثالثة)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الجنة تحت ظلال السيوف

تحريراً في ٢ ذي الحجة سنة ... هجريه

يقول عبد ربه ومملوكه أستاذه السيد محمد المهدي ابن محمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي

الحمد لله رب العالمين المنزل في كتابه المحكم المتين على نبيه محمد الصادق الأمين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال البالغ في حضرته عليه من الإله و

والصلاة والسلام على من أطال عز الدين بالأبتار وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار التاركين مراتبهم وقاتلوا الذين يلونهم من الكفار وإنما

من أمامنا الذي أهلنا بقدرة الله لهذا المقام هو فريضة الجهاد لإحياء شريعة جده سيد الأنام الوارث لأسراره عليه الصلاة والسلام الناشر

بأمته محجة التوحيد على الدوام سيدنا وأستاذنا السيد محمد المهدي الناطق بالحكمة وفصل الخطاب القائل وأنا بريء ممن بدل وغير من الشريعة

وحاد عن السنة والكتاب

الى ذي الرفعة ابننا بشير بك صالح القرطبي وفقه الله لطاعته ومرضاته وأسبل ... في سياسته ونجابته آمين

أما بعد فإننا قد منحناكم الوسام الرابع العثماني عالي الشان بناء على ما عهدناه منكم وتحققناه فيكم من الغيرة والحمية والمدافعة

الجليلة السنوسية والإخلاص للملة الإسلامية فالمرغوب والمطلوب منكم الاهتمام التام في المحافظة على وصفكم فيه وعدم

وإهمال هذا ونرجو الله تعالى لنا ولكم التوفيق الى أقوم طريقه والله الهادي الى سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الوثيقة الرابعة

الجنة تحت ظلال السيوف

يقول عبد ربه ومملوك أستاذه السيد محمد المهدي [illegible]
بأفريقيا أحمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي

الحمد لله رب العالمين المنزل في كتابه الحكيم المنبه على لسان نبيه [illegible]
الأمين (ولا يزال النبي محرض المؤمنين على القتال) البالغ في تمام عظيمه
مدى الأيام والليالي والصلاة والسلام على من أطال [illegible] بالبشارة
وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار [illegible]
[illegible] من الكفار) وإن من النعم علينا [illegible]
لقد من الله هذا الشام محيي فريضة الجهاد [illegible]
سيد الأنام الوارث لأسراره عليه الصلاة والسلام [illegible]
نهجه القويم على الدوام سيدنا وأستاذنا السيد محمد [illegible]
بالحكمة وفصل الخطاب القائل [illegible]
عن السنة والكتاب

إلى صاحب الفضيلة والحمية ولدنا صالح محمد العروي [illegible]
ومرضاته [illegible] عليه [illegible] في حياته [illegible]

أما بعد فإننا بإرادة الله تعالى قد [illegible]
[illegible]
الله [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] ولكم [illegible] الوثيقة [illegible]

(الوثيقة الخامسة)

تحريراً في ٥ ربيع الثاني [illegible]

يقول عبد ربه [illegible] أستاذ [illegible] أحمد الشريف [illegible]

الحمد لله رب العالمين [illegible]

[illegible]

[illegible]

هذه سيد الأنام [illegible] والسلام [illegible]

[illegible]

الى صاحب الغيرة والحمية ابننا عبد الحميد أفندي بوحمد بوقلقه [illegible]

وبعد عماله

أما بعد فإننا قد رفعنا رتبتكم بإرادة الله وقدرته [illegible] رتبة بيوزباشا [illegible] المصلحة المشعر بخدمتكم المبرورة وسيرتكم الحميدة [illegible] وذلك بما عرفتكم [illegible] وصففكم المذكور والمباشرة فيه [illegible] والإخلاص [illegible] الله [illegible] التام على البلاد والعباد والعمل بمخافة الله [illegible] دستور [illegible] أمورك [illegible] نرجو منكم [illegible] فالله [illegible] عليك [illegible] الدليل [illegible] المزيد [illegible] لديك [illegible] وذكرتوا [illegible] الى أقوم طريق والله الهادي الى سبيل الرشاد

الوثيقة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى علي السيد [illegible]

تحريرا في ٢٨ شعبان ٢٤٥

[illegible] من عبد ربه [illegible] إلى السيد محمد رضا [illegible]

صفة المحترم ولدنا عبد الحميد [illegible]

لنا وعلى الشفقة بكم [illegible]

إذا احببتها [illegible] بيت [illegible]

[illegible] لنا [illegible] الشريف [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على [illegible]

الى الاجل الافضل الاشرف سيدي احمد بن [illegible] حفظ الله تعالى [illegible]

[illegible] من النجب والاكرام انه حضر [illegible]

[illegible]

[illegible] ابو بكر [illegible] الى المحلة [illegible]

[illegible] المحلة [illegible]

[illegible] النصارى [illegible] القصر [illegible]

[illegible] والله اعلم [illegible]

[illegible]

[illegible] الى مصر [illegible]

[illegible] الزرادب ثلاث مرات [illegible]

[illegible]

[illegible] الكفار [illegible] اهل البركة والبلاد

[illegible] بالوسط [illegible]

[illegible]

[illegible] من الكفر [illegible]

[illegible] ان شاء الله [illegible]

[illegible] كل من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هناك [illegible]

[illegible]

[illegible] والسلام [illegible]

[illegible] واهل المحلة جملة [illegible]

[illegible] ١٣٠٣ [illegible]

[illegible]

(الوثيقة صنو الحقيقة)

الوثيقة [illegible]

الواثق بعناية ربه [illegible] ملوك السادة
السيد محمد المهدي [illegible] السنوسي
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

تحريرا في ١١ جمادى الأول سنة [illegible]

[illegible] من [illegible] مملوك [illegible] السادة [illegible] [illegible] أفريقيا [illegible] الشريف [illegible]
الأولادنا [illegible] بوعبد القادر [illegible] [illegible] الرحول [illegible] ان تقديروا [illegible]
من الغيرة والحمية والشهامة في سبيل [illegible] [illegible] الدولة [illegible] على تقوى الله [illegible] في الدولة [illegible]
بدونه تراجعوا واعمال هذا [illegible] الله [illegible] القوة [illegible] والله [illegible]

(الوثيقه التاسعه)

٤ رمضان ٣٤٨

[illegible] ذي القعدة ٣٤٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

الى صاحب الحمية والغيرة الاسلامية ولدنا الشيخ فضيل بو عبيز بن الحاج [illegible] السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته واسبل عليه ستره في حياته وبعد مماته آمين

اما بعد فاننا لنبشرك ان شاء الله تعالى وقدوتك قد عيناك شيخ مجلس لادارة الجامع والمعبدات [illegible]

[illegible] الجد والاجتهاد في ما يعود بنفع صالح الدين والوطن والبلاد والعباد [illegible] اكرم الله

منا [illegible] بالمبادرة والمبادئة واجعل مخافة الله نصب عينيك ودستوري [illegible] والا [illegible]

[illegible] علينا هذا [illegible] الله [illegible]

الى [illegible] في سبيل الله

اخوك [illegible]

عمر المختار

(الوثيقه العاشره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجنة تحت ظلال السيوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الى جماهير [illegible] والمجاهدين [illegible] عبد الله [illegible] بن [illegible]

[illegible] الدولة [illegible]

[illegible] الى [illegible] ان [illegible] باذن الله [illegible]

[illegible] الى [illegible] اول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(الوثيقه الثانية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

[illegible] جميع [illegible] الصلاة [illegible] وجعل الله [illegible]

هو [illegible] عليه [illegible] حياته وبعد مماته دائماً

[illegible] الله تعالى [illegible] أول [illegible]

[illegible] السنوسي [illegible] الدين [illegible]

[illegible] ومستوى [illegible] في كل أمورك [illegible]

[illegible] والمسئولية [illegible] جميع أمورنا [illegible]

رئيس الهيئة [illegible]

الوثيقة الثالثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من عبد ربه [illegible] الإسلام احمد الشريف [illegible] الخطابي الإدريسي الحسني

الى حضرة الأجل الأكمل والكبير [illegible] [illegible] عبد الرزاق بك [illegible] أطال الله بقاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه [illegible] وعميم فضله وإحسانه وبعد فالموجب [illegible]

[illegible] بفضل الله [illegible] رسول [illegible]

[illegible] الاجتماع [illegible] جعله الله [illegible]

[illegible] بالجهاد [illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] بالتأييد والنصر والتسديد [illegible]

[illegible] رضي الله عنهم [illegible]

[illegible] إن شاء الله تعالى

[illegible] التوفيق [illegible]

يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي [illegible] المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل

[illegible] على القاعدين درجة [illegible] وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا

[illegible] الدنيا والآخرة [illegible] العدو فلا يغرركم [illegible]

[illegible] والعاقبة لكم [illegible] للمتقين وقال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون إن كنتم

[illegible] الله [illegible] في الجد والاجتهاد [illegible]

ولا تعسروا واعلموا أن الله معكم ولن يتركم أعمالكم [illegible]

[illegible] والسلام [illegible]

الملحق الثاني «اضافي»
أثر العامل الديني في الجهاد الليبي
كما تؤكده بعض النصوص المختصرة من انواع
الشعر الشعبي الليبي

ظهر تأثير العامل الديني في الجهاد الليبي في جميع نصوص الشعر الشعبي الذي أرّخ لمراحل الجهاد فقد كان المجاهد الاسلامي والبطل القومي الشيخ عمر المختار يعوّل على الرجال الغيورين على دينهم والمتقيدين بأوامره ونواهيه في ادق تفاصيل حياتهم الجهادية فيكلفهم بالمهام القيادية وبالمهام التي تتطلب صحوة الضمير الدائمة ومراقبة الخالق على الدوام، ومن هذه المهام جمع الاعشار لصالح حركة الجهاد، وجميع الرجال الذين اعتمد عليهم عمر المختار في القيادات هم من علماء الدين المتميزين بعلمهم وخلقهم وكذلك كان نظرائهم في مواقع الجهاد الليبية الاخرى غير أنني اختصر الحديث هنا على شواهد شديدة الاختصار من شعر الجهاد بالجبل الاخضر لان الدراسة التي اعددتها واقتطفت منها هذه النماذج البسيطة تتناول هذه المنطقة فقط. ولان القائد المجاهد عمر المختار كان يعتز برجاله البارزين ويحزن لفقدهم في ساحات الجهاد فان الروايات تجمع على انه قد غنى بنفسه على قبر المجاهد حسين مفتاح الجويفي اغنيته الشعبية التي تقول :

« شهيــــــــر لسم **وافـــــــي الديـــــــن** تمـــا غفيـــر فـــى فاهـــق خـــلا »

وكان عمر المختار يرى أن الشعر الشعبي عامل مهم في اثارة الحماس، والمحافظة على ديمومة الروح القتالية ورفع المعنويات عند المجاهدين والاهالي على السواء وخاصة ما يؤكد الحفاظ على العقيدة ويدعو للذود عنها فعندما كان يفاوض الايطاليين في منطقة القيقب، وعند اول بادرة في حديثهم اكدت له حقيقة خداعهم امر فرسانه بالركوب ومروا في مجموعة كبيرة وفي نظام بديع على نجوع الاهالي المتواجدين قرب الايطاليين وانطلقت زغاريد النساء بتلك النجوع افتخارا بهم واستغل عمر المختار هذه الفرصة النادرة ليبعث الحماس قويا في بني وطنه، وليبين للايطاليين قوة حركة الجهاد المستمدة من مناصرة كامل الشعب لها. قام المجاهد حمد محمد الملقب «الحول بالقزع» ان يغني، وكان الحول هذا مغنيا بدويا جهوري الصوت حلو النغمات جيد التعبير، وفي قمة حماسه لم تسعفه القريحة بشيء، والتفت الى قائده عمر المختار قائلا : ماذا اغني يا سيدي؟ فاجابه عمر المختار غني وقل :

« اجـــــــواد راكبيـــــــن الخيـــــــــل علـــــى **دينـــا مـــــا** انماينـــــوا »

ولقد خرجت من نطاق المعتقلات المحلية الايطالية اعداد كثيرة جدا من الاهالي حيث قطعت مسافات كبيرة فرارا من العدو وكانت دوافعهم الى ذلك هي الحفاظ على العقيدة ونصرة الذين كانوا يجاهدون من اجلها وهذه شاعرة مجاهدة كانت تغني حينها قائلة :

« علـــى **دينـــا نـــمشوا** أطنـــا شرهلـــة ولا نقعـــدوا تحتـــه **عـــدو الملـــة** » .

وقد كانت ايطاليا تجند من يستسلم لها من كبار المجاهدين فورا ويرى هؤلاء ان العار كل العار ان يحاربوا في صفوف الاعداء تحت علم الصليبيين أعداء الاسلام فيستبسلون مفضلين الشهادة على ذلك، ومن اشعار المجاهد عبد الكريم الجمل الايتيمي عندما حوصر حصارا شديدا قوله :

« نــــا **للكفـــــر** والله منــــا أنسلـــــم وانشيـــل **الصلـيـب** نــمشى فـــي النهـــار »
« وكيـــف اتضيـــق وتجينـــي حشيـــرة بالفـــوشيك نلـــعب بالقمـــار »

وصنّف الشعر الشعبي الطليان والمتعاونين معهم في صف واحد ورأى ان الجهاد هو جهاد المسلمين ضد النصارى ، وشنّع الشعر الشعبي على المتعاونين مع الطليان وهاجم سوء صنيعهم وبين عقم تدبيرهم وقد حصل ان مجموعة عملاء باعوا اخوانهم للطليان فاجتاحت نجوعهم كتائب المجاهدين واقتطف مما قيل فيهم النص الشعري المختصر التالي :

« نحكــي لكــم علــى العبــد العديــم اللــــي بـــــار خايــــن أفكــــاره »
« مـــن قومـــا شطـــح تـــم جـــزار وييــــع فـــي اسلام لـــنصاره »
« عليــــه ديــــروا ضنـــا جاويـــد خلـــوه زرع حدفـــا غمـــاره »

أما أولئك الذين تجنّدوا مع العدو الايطالي بالاجبار احيانا وبالرغبة احيانا اخرى فنرى الشاعر الشعبي انطلاقا من عقيدته يفسّر ما يلحق بهم بأنه قد وقع بسبب غضب الله الدائم عليهم لوقوفهم في الصف المعادي للاسلام .

يقول النص الشعري الشعبي الذي ورد بشأن مجموعة من المجندين السابقين مع الطليان غادروا ليبيا للحج في الاربعينات ومنعوا من ذلك فرجعوا ما يلي :

« حجاجنـــا اللـــي حجّـــوا خبـيث عملهـــم راديــــن بـــيت الله مـــو قابلهـــم »
« الكل اقربه وفيهم اللى مازلت عارف طبه»
« قصّاصة الجرايــــر وهـــــن وراه اتربّـــه اجبّى على لجواد يقطع هلهـم » *

هذا وقد عدّ بعض المجندين مع الطليان ان ترك الجهاد عيبا كبيرا وتقصيرا مشينا فيما امر به الدين، ورد عليهم احد الشعراء من المجاهدين مبينا ان كل من قبل العمل مجندا في صفوف العدو هو المسيء الحقيقي للعقيدة وهو المخطىء الذي لا شك مطلقا في خطئه وانحرافه، ويتميز الشعر هنا بقوته وتفرد قافيته وقوة دلالته كما في هذه الابيات التي استشهد بها وهي :

ويـــن المافاتــــورى تك رحت اتضك انسيت الديــــن وعــــاو شك

الرد :

ويـن المافتـورى زام، ودرتـو م الطليـان احـزام طهرتو من ملة السلام. نصارى ما عد فيكم شك

هـ * جميع هذه المقتطفات هي من دراسة مخطوطة للكاتب اعدها بتكليف رسمي من مركز دراسة الجهاد وارجو لفت انتباه القارىء الكريم الى انني استبعد الاسماء دائما في وقائع معينة معروفة.

عندما وقعت معركة بئر الغبى المشهورة بطبرق كان المجاهد الشاعر رجب ابو حويشي المنفي في مهمة تتعلق بتموين المجاهدين وقام الايطاليون كعادتهم عقب كل هزيمة تلحق بهم بحرق خيمة «بيت» الشاعر ابو حويش. ويبدو من النص انهم فتشوها اولا ووجدوا بها مستندات تتعلق بحركة الجهاد، وقد تأثر الشاعر ابو عوينة الدبابسي لتلك الواقعة فارسل قصيدة يعاتب فيها من تأخروا عن نجدة عائلة ابو حويش، ووجهها كعادة الشعراء الى الشاعر ارواق درمان مذكرا اياه بأن الجهاد من اجل الدين مستمرا وان الايطاليين سبق لهم القيام بنفس الفعل ضده ومنها هذه الابيات :

يـــا رواق مـــا جـــنّك اظـــلام حكومـــة حـــــرب الديانـــة باينـــات ارسومـــه
صوبك نــــاسي دخاخيــــن فرقــــانك اللــــــى اتقــــول سبــــاسي
سبحانه اللى جاتك ملذه نومه
لـيس منـــا اضمنتـــه وقـلـت هـــى سنداتـــى بيت بوحـويش اللـى اسمـاح هدومـه

ولما قبض الايطاليون على البطل القومي الشيخ عمر المختار في ١٩٢١/٩/١٢ وتم اعدامه بمنطقة سلومة في ١٩٢١/٩/١٦ استمر رفاقه في المقاومة لمدة من الزمن ثم تشتتوا فمنهم من استمر متخفيا في الصحراء البعيدة او في الاودية الوعرة خوفا من الاسر، ومنهم من فضل الهجرة مرغما فارا بدينه، وقد وصل الشاعر والمجاهد محمود سعيد الذمّاليه متخنا بالجراح قاطعا رحلة الشقاء والتعب الى حدود مصر الغربية. وعند وصوله التفت الى ارض الوطن متحسرا حزينا وقال مغنيا :

يـــا وطـــن مـــا فتنـــاك نيـــن عطينـــا جميـع مـا فـرض واجب الديـن علينـا

الملحق الثالث «اضافي»
شواهد الجهاد بالصور



الله أكبر الله أكبر أشهد ألّا إله إلا الله أشهد أن محمّد رسول الله حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

كانت تلك هي دعوة الجهاد وسوف تبقى

مصور الصورة «كتاب المقاومة الليبية التركية»



الهوية القرآنية والعربية ليبيا ١٩١١ــ١٩٣٢ الدين والقومية هما المحركان للتاريخ
مصور الصورة «قسم التصوير بمركز الجهاد»



لهؤلاء ولمشائخهم ولمقار تعليمهم وجّه العدو رصاص بنادقه ودانات مدافعه ليهدم العقيدة ويقتل روح الجهاد
مصور الصورة «قسم التصوير بمركز الجهاد»

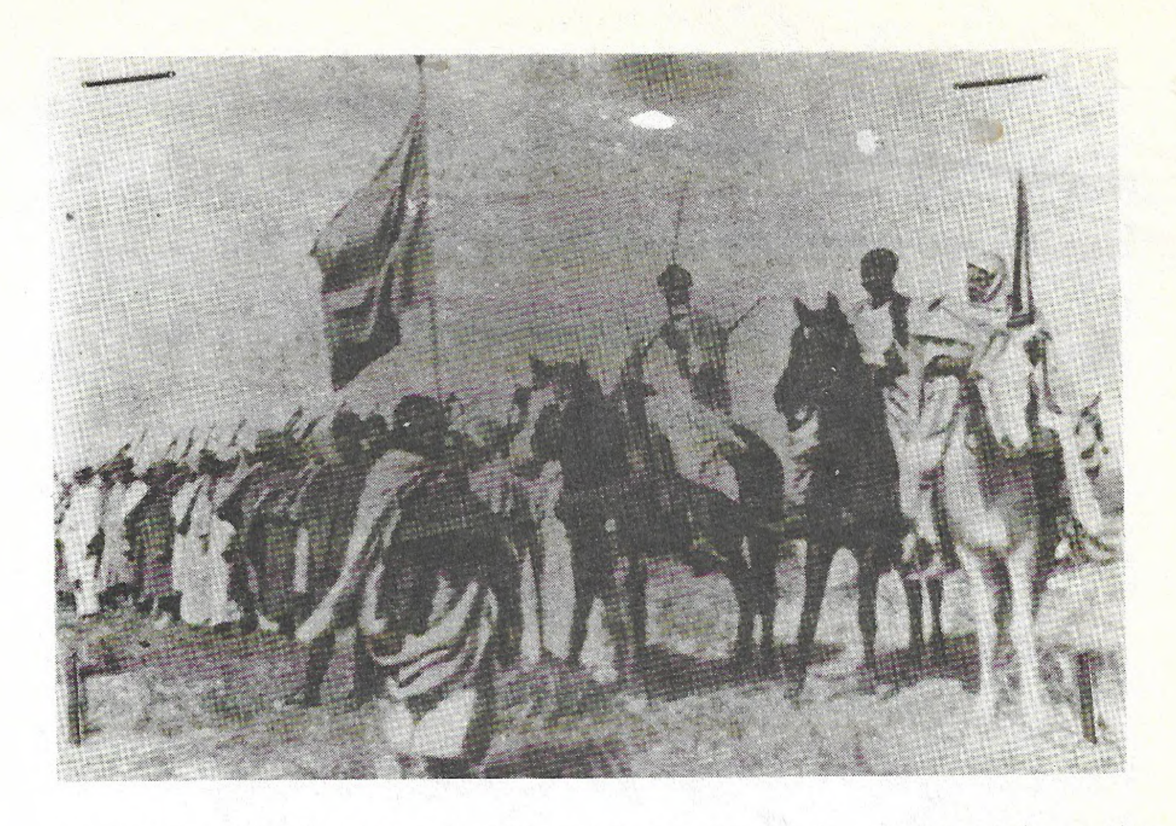


ضارب الطبل في دور الظهر الحمر بدرنة

وشاعر المجاهدين يقول :

« جـــن مـــن فـــوق اطبـــول ارنّـــن   لجهـــاد الكفّـــار ادنـــن »

مصور الصورة «قسم التصوير بمركز الجهاد»

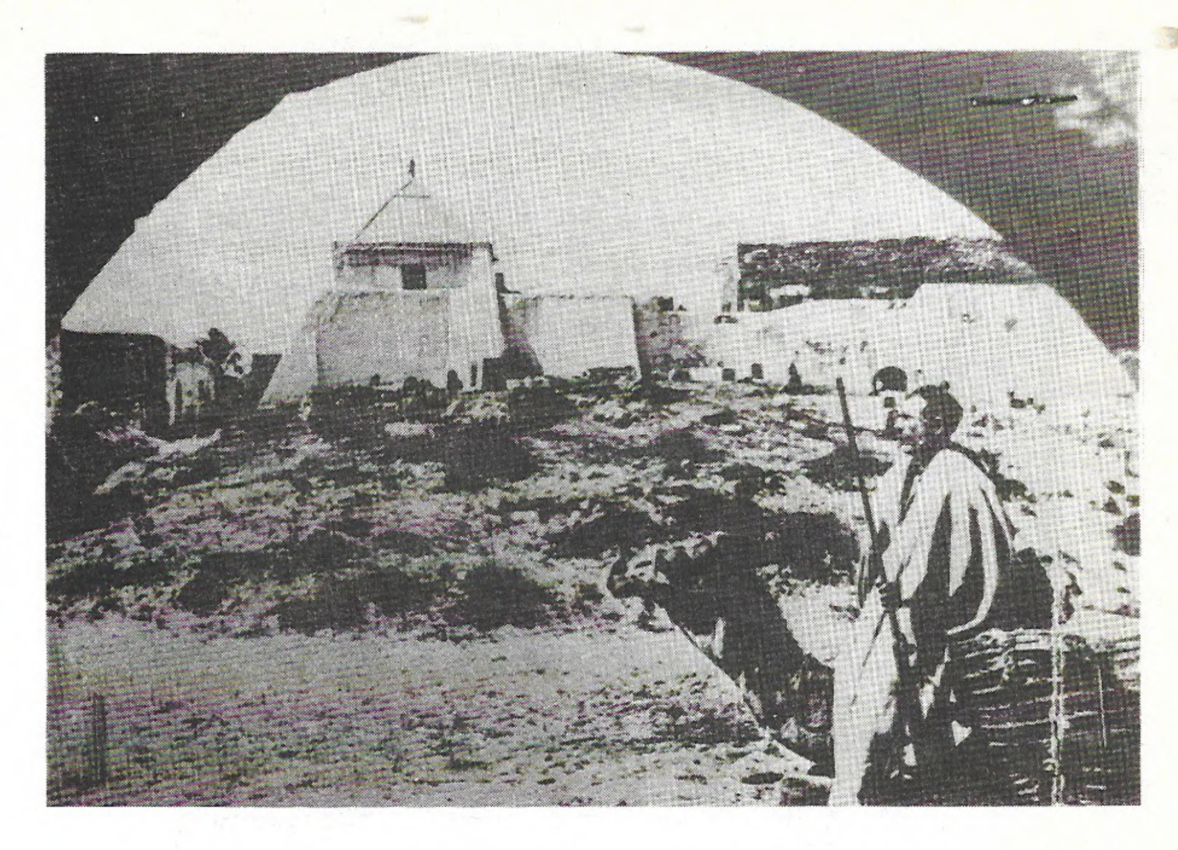


هؤلاء ممن لبّوا دعوة الجهاد وجاءوا فرسانا وراجلين كبارا وصغارا وباعداد كبيرة جدّا دفاعا عن العقيدة والوطن.
الصورة «من قسمن التصوير بمركز الجهاد»



واحد من الجيل القوي في عقيدته وبنيته ونظرته عاصر أحداث الجهاد الاولى وأرسل في أول مجموعة من عمال السخرة للعمل في ايطاليا ورجع وقبض عليه بسبب مساعدته للمجاهدين وحكم بالاعدام ولكنه استطاع القفز من علو شاهق في اللحظات الأخيرة والتحق بالمجاهدين وعاش حتى السبعينات وقد قابلته في سوسة سنة ١٩٦٢.

«انظر موسوعة روايات الجهاد للكتاب»

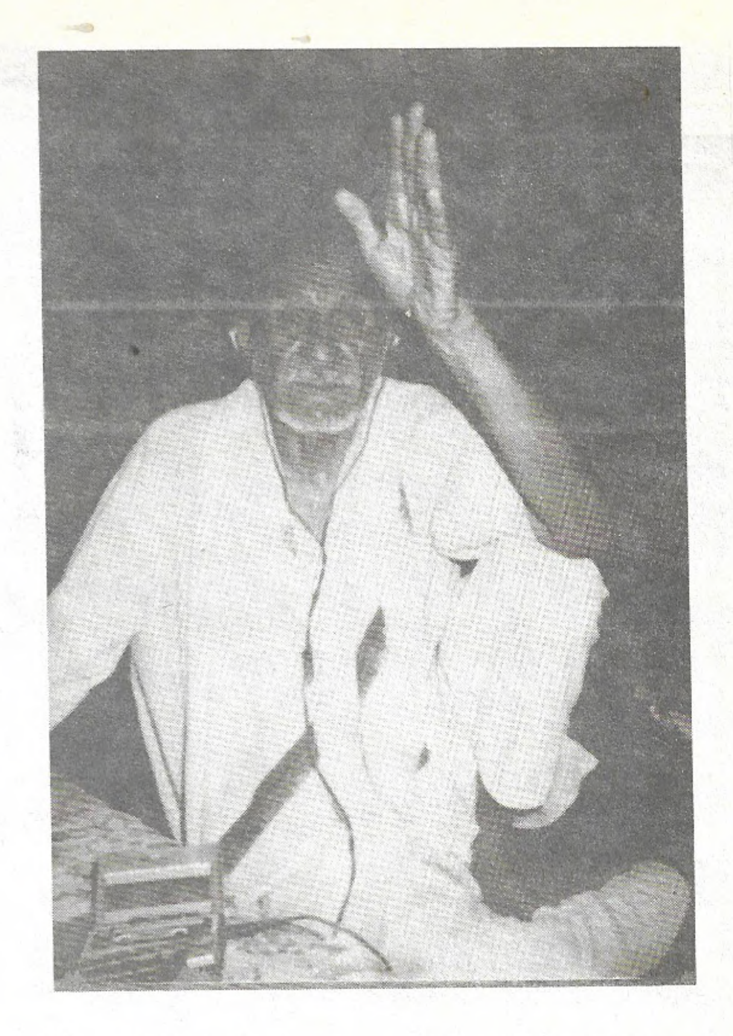


كانت الابل هي مدرعات المجاهدن وسياراتهم ولهذا ركّز العدو الايطالي على افنائها.
وفيها يقول المغني الشعبي :

« دونك ضنـــا لجـــواد يـــا حنّانــــه　　　باتــوا مرامــي مــا هــو وجبّانــــه »



« الحول بالقزع » من فرسان عمر المختار شهد وقائع الجهاد وعاش حتى الستينات.
سلمني صورته مشكورا ابنه وهو من الفرسان الحاليين أيضا .



عمران أبو سريره تولى في فترة من الفترات قيادة الفرسان في مجموعته وقد ذكرت نظرائه في الكتاب سألته عن احدى المعارك فأجاب مشيرا بيده كما ترى قائلا : وقعت في مكان قريب هنا وكان بيننا وبين المكان الذي يعنيه أكثر من مائة كيلومترا! انه من جيل لا يعتد بالمسافات كان يقطعها وكأنه يسافر في طائرة انه الجيل القوي في عقيدته الجيل الذي صمد حتى نهاية الجهاد.

«عدسة الباحث ١٩٨٠»

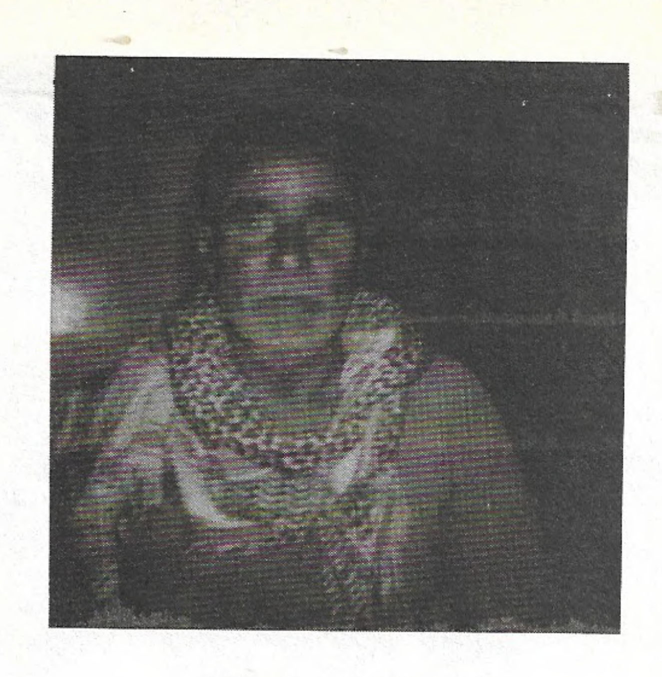


هذه مدنية الفاشست الصليبيين الطليان
«الصورة من ارشيف مركز الجهاد»



من شواهد سنوات القهر الفاشستي الايطالي

صورة تنشر لاول مرة للمشنقة التي اقامها الطليان في منطقة شحات قدمتها مشكورة لمؤلف هذا الكتاب عائلة زوبي التي نكّل الطليان بأحد افرادها لضربه احد الضباط الطليان.



أحد ضحايا لاستعمار الايطالي

استشهد والده على حبل المشنقة الايطالية واقتلعت قنابل ايطاليا التي خلفتها في ليبيا عينه. قابلته مرتين في الابرق ١٩٦٧ و١٩٨٢.

«عدسة الباحث»



قتلوا الرجال والابناء واستخدموا النساء في أعمال السخرة والصورة من الجبل الاخضر وترى احداهن تغطي وجهها استحياء واخرى تحاول ان تستر وجهها على عجل وتبدو واحدة صغيرة السن جدا

«انهن بنات السحايا من الحرابى» وكل مناطق ليبيا قاست الامرين ويمكن للاستعمار ان يعود ويكرر القصة ان نحن فقدنا دوافع الجهاد.



قبر المجاهد الضابط عبد السلام المبروك الهنيد

واحد من آلاف المجاهدين الليبيين الذين حملوا السلاح دفاعا عن العقيدة، وأسرته واحدة من عشرات الاسر التي افنى العدو الايطالي افرادها تباعا، ولم يكن جهادها لمكسب دنيوي ولا دفاعا عن أرض القبيلة لأنها خاضت المعارك في ارض غير ارضها ولكنه الجهاد الحق في سبيل الله وهذه قائمة باسماء شهدائها ومجاهديها البآرزين :

١ ــ عبد الجليل علي الهنيد واستشهد في معركة جعيده بطبرق سنة ١٩١٥.

٢ ــ علي عبد الجليل الهنيد واستشهد في معركة جعيدة بطبرق سنة ١٩١٥.

٣ ــ عثمان حسن الهنيد استشهد في معركة تلغزه سنة ١٩١٤.

٤ ــ محمد المبروك الهنيد استشهد في معركة وادى السهل بطبرق سنة ١٩١٦.

٥ ــ على صالح الهنيد استشهد في معركة الرمله بطبرق سنة ١٩٢٨.

٦ ــ عبد السلام المبروك الهنيد استشهد في معركة الرمله بطبرق سنة ١٩٢٩.

٧ ــ حسن مفتاح الهنيد استسلم بعد القبض على قائده عمر المختار سنة ١٩٢١.

٨ ــ عمر عبد الجليل الهنيد استسلم بعد القبض على قائده المختار سنة ١٩٢١.

٩ ــ حسن عبد الله الهنيد وقد اعدمته ايطاليا بالمرج سنة ١٩٤١ كعادتها في ملاحقة جميع الذين لأسرهم ماض جهادي.

ويرى في الصورة الاستاذ محمد حسن الهنيد المشهور بلقب «الهيلع» في الطرف على اليسار وهو يقرأ الفاتحة على روح الشهيد وهذه نبذة عن اسرة مجاهدة بكاملها وهي للتمثيل ولا حصر للاسر المشابهة لها في كامل التراب الليبي.

الفهرس الختامي

الفصل الرابع :

الفهارس العامة :

المصادر والمراجع :

الملاحــق :

مطبعة براس طبلبة

شارع 23 جانفي 5080

Tél: (03) 79.407

الجمهورية التونسية